# الشخصية المصرية في الأمثال الشعبية



د. عزة عزت

# الشخصية المصرية

## في الأمثال الشعبية

د. عزة عزت

# بسم ا   الرحمن الرحيم

﴿... وتِلْكَ الأمثَالُ نَضرِبها لِلناسِ ومـا يعقِلُهـا إِلا الْعالِمون﴾

﴿... ويضرب ا ُ الأمثَالَ لِلناسِ لَعلهم يتَذَكرون﴾

صدق ا   العظيم

# مقدمة

## لماذا هذا الكتاب؟

راودتني كثيرا فكرة عمل كتاب يضم الأمثال الشعبية المصرية ... بل لعل هذه الفكرة قد بدأت معي منذ حـوالي ثلاثين عاما أو يزيد ... وكنت آنذاك مجـرد طالبـة فـي المرحلة الثانوية ... وبغرور ومشاعر هـذه المرحلـة مـن العمر وطموحاته ... بدأت بالفعل في تجميع الأمثال الشعبية، والتعبيرات، والتشبيهات، بل وأيضا عبارات التحية المتبادلة والأدعية التي تجري على ألسنة العامة ممـن ألتقـي بهـم وأعايشهم ... وبالطبع كانت أكثريتهم من النسـاء، جـدتي، وأمي، ومربية عجوز كانت تعيش معنا في البيت الكبير ... وبينما كانت الصديقات يجمعن في دفاترهن الخاصة كلمـات الأغاني، والأقوال المأثورة، والأشعار الغزلية، كنت أنا أجمع الأمثال الشعبية ... لأضع كتابا واحدا يضمها فأكون بـذلك أول من جمعها – وكان الطموح أيامها يهد الجبـال، ويقـيم الدنيا ولا يقعدها، وفكرة التفرد والتميز بـل والخلـود هـي المسيطرة – وشعاري في ذلك آنذاك توصية أوصـى بهـا الأستاذ خالد محمد خالد في كتابه " الوصـايا العشـر " ...

تقول ... " اجعل مناط سعيك ما لم يفعله أحـد مـن قبـل، واطرق الأبواب غير المطروقة ... ".

وبعد أن قطعت شوطًا كبيرا في مرحلـة التجميـع والفهرسة وفقًا للأبجدية العربية، وقضيت في ذلك أكثر مـن عام ... كنت أجلس فيه إلى جدتي ... وأسـتثير ذاكرتهـا، لتتدفق على لسانها الأمثال، والعبارات التي تلخص الحكمـة كلها في كلمات قليلة، وبإيجاز معجز، وحسم كنت أدهش لـه ... وأعجب به في آن معا.

وبعد أن ملأ نفسي الغرور بـأني سـأقدم للمكتبـة العربية كتابا فريدا ... وقع في يدي وبمحض الصـدفة فـي مكتبة المدرسة الثانوية (*) كتاب العلامة الكبير أحمد تيمور باشا (الأمثال العامية) ووجدتها مرتبة أبجـديا، ومشـروحة لغويا، ومذكور عنها معلومات قيمة عن مناسبة قولها، وفيما تضرب، وكانت بالنسبة لي أكثر مـن صـدمة ... وبـنفس البراءة تخليت عن فكرة مخطوطي النادر، ومؤلفي الفريـد، وأهملت الموضوع برمته ... حتى كدت أنساه، وإن ظلـت الأمثال العامية الشعبية – بعد أن عايشتها وعشقتها لمدة عام

---

(*) مدرسة مصر الجديدة الثانوية للبنات .

أو يزيد – تجري على لساني في كل مناسبة بما يليق بها ... حتى اشتهرت بين الأهل والأصدقاء بضـرب الأمثـال ... رغم أن عادة إطلاق الأمثال كانت قد بدأت تتلاشى إلى حـد ما ؛ لارتباطهـا " بـالعواجيز " أي بكبـر السـن وتقدمـه أحيانًا ؛ ولارتباطها بفئة شعبية من الناس يطلق عليهم أبنـاء الطبقة المتوسطة، وما يعلوها من طبقات في سلم المجتمـع المصري " الناس البلدي " ... بل وكانوا يتهكمـون أحيانًـا على كل من يقول : " على رأي المثل " وكثيـرا مـا كـان معارفي يقولون لي العبارة الإذاعية الشهيرة : " قولي يـا أم علي " وهو اسم الخادمة في أحد أشهر المسلسلات الإذاعيـة الصباحية الموجهة إلى ربات البيوت.

ورغم أن " أم علي " الأصلية ماتت، وتوارى إلى حد ما الاستشهاد بالأمثال من الإذاعة ... وأيضا بـين غالبيـة الناس ... إلا أني ظللت على عشقي لهذا اللون من التراث، وبدا يفزعني تحريف الأمثال الشعبية في الأعمال الدراميـة، وعلى ألسنة العامة ... فاقتنيت كتاب الأمثال العامية لأحمـد تيمور باشا، وكتاب " مجمع الأمثال " مختـارات الميـداني

وتحقيق محمد علي قاسم (*) وهو يضـم مئـات الأمثـال العربية، والتي وجدت أن بعضها يتطابق معنى، ولفظًا مـع الأمثال العامية المصرية، وأن بعضها يتطابق معهـا معنـى فقط، وإن اختلفت الألفاظ والتراكيب تماما ... بل وإن بعض هذه الأمثال كان متداولاً بـين العامـة المثقفـة المصـرية، ويستشهد به في مناسبات عدة، وكأنه مثل شعبي، رغم كونه عربيا فصحيا، كما سيأتي بيانه في أحد فصول هذا الكتاب.

ثم كان الحافز الحقيقي الذي جعلني أعود إلى سـياق اهتمامي بموضوع الأمثال العامية المصرية، هـو صـدور كتاب الدكتور سـيد عـويس " أمثـال وتعبيـرات شـعبية مصرية " (*) الـذي حرصـت علـى اقتنائـه لاهتمـامي بالموضوع أولاً، ثم لإعجابي الشديد بكتابات د. سيد عويس، إذ تصورت أني سأستمع بدراسة اجتماعية، وتحليل لمضمون الأمثال الشعبية المصرية، وما تفرزه من قيم إنسانية ومبادئ أصيلة، وما تعكسه على الشخصية المصرية، وعلى السلوك

---

(*) منشورات مكتبة المعارف – بيروت – لبنان – ١٩٨٦ .

(*) الصادر عن مؤسسة أخبار اليوم – كتاب اليوم العدد ٣١٦ – ديسمبر ١٩٩٠ م .

اليومي للشعب المصري، ومدى تأثرها أيضا بهذا الشـعب، وتأثيرها فيه.

ولكن صدمني ما وجدته بين دفتـي الكتـاب، إذ لا أتصور أن د. سيد عويس لو امتد به العمر كان سينشر مثل هذه الدراسة بهذا الشكل، وأغلب ظني أنه لم يكـن يقصـد مطلقًا عملية التجميع والتحقيق – لأن هذه المهمة قد قام بهـا باقتدار لا يبارى أحمد تيمور باشا ومن قبله شـرف الـدين الأسدي صاحب مخطوط الأمثال الشـعبية (**) – ولكـن دكتور سيد عويس جمع هذه الأمثال؛ ليخرج منهـا بدراسـة اجتماعية عميقة، تسبر غور الشخصية المصرية، وتغـوص في أعماقها ؛ لأنه كعالم اجتماع ... بل أبو علـم الاجتمـاع المصري الحـديث، لا يقـف دوره عنـد مهمـة التجميـع والفهرسة... ولعل خروج الكتاب على هذه الصـورة هـو الدافع الحقيقي الذي أعاد إلي الرغبة في عمل دراسة للأمثال العامية المصرية ... وتحليل مضـمونها، والتعليـق عليهـا مسترشدة بالدراسات السابقة على كثرتها، مستغنية بها، لأبدأ

---

(**) عثر على هذا المخطوط في منزل والد أحمد تيمور باشا وأغلب الظـن أنـه اعتمد عليه في كتابه .

من حيث انتهوا وليس لتكرار ما قاموا به ... علني أكمل ما بدأه دكتور سيد عويس ولم يمهله العمـر لإتمامـه، وهـي محاولة ستكون مفيدة إلى حد ما ليس من الناحيـة التراثيـة فحسب، ولكن كدراسة اجتماعية وأدبية، وستكون كما أتعشم أول دراسة تحليل مضمون للأمثال العامية المصرية للتعرف على ملامح الشخصية المصرية من خلالها.

**د. عزة عزت**

**مدينة نصر في مارس ١٩٩٦**

# تمهيد

يضم هذا التمهيد تعريفًا بالأسس التي ستقوم عليها هذه الدراسة، وهي : تجميع الأمثال من أفواه العامة، أي الأمثال الباقية حتى الآن، وما زال الناس يرددونها ويحفظونها، واستبعاد ما يعتبر غير متداول أو بطل استخدامه ؛ إما لأنه لم يعد مناسبا للعصر ؛ أو لأن له بديلاً أبسط، أو لإغراقه في الشعبية، بحيث يحتوي على ألفاظ ذات دلالات غير معروفة الآن – أو لأي سبب أخر – فإذا كان أحمد تيمور باشا قد رصد ٣١٨٨ مثلاً، ثم جاء من بعده د. سيد عويس ليرصد ١٨١٥ مثلاً اختارها وفقًا للموضوع وإن احتفظ بترتيبها الهجائي ؛لأنه استخصلها أصلاً من الكشاف التحليلي لكتاب أحمد تيمور، مركزا على موضوعات اجتماعية بعينها ليتناولها بالتحليل ... فإنني في هذا البحث حرصت على أن أركز على المتداول من الأمثال، والأكثر شيوعا بين الناس حتى الآن والذي أقوله وأحفظه وأسمعه، مع الاستعانة بالمراجع للتذكرة فقط، ويلي هذه المرحلة، خطوة أخرى هي : تحليل مضمون هذه الأمثال

التي سأوردها، وفقًا لموضوعها، ومضربها، دون الاهتمـام بالترتيب الأبجدي، الذي سبقني إليه الآخرون.

هذا وسأحاول أن أفرق بـين المثـل الـذي يحمـل موضوعا متكاملاً، وحكمة أو نصيحة محددة وبين التعبيـر الشعبي الذي اكتسب دلالة محددة، لدى المصريين فأصـبح يتفاهم به بين الناس دون إضافة، إذ يكفي ذكـره لتتـداعى للسامع معان محددة وواضحة تماما، وسوف أفرد لهذا النوع من الصيغ الشعبية فصلاً بذاته بعنـوان " اصـطلاحات ذات دلالة " كما سأفرد فصلاً للتشبيهات التي يكفي أن تقال ؛ لنلم بما تعنيه وما تكسبه للشخص أو للشيء الموصـوف، مـن سمات واضحة محددة، ناهيك عن العبارات التي تمثل كناية بليغة، غاية البلاغة، عن أشياء ومواقف، وأشخاص يندر أن نجدها بهذه الدقة في أي عامية أخرى.

وسأخصص فصلاً للأدعيـة أو الـدعوات الشـعبية الموجزة سواء الداعية بالخير، أو بالشر، لأنها جزء من هذا التراث الشعبي الذي أسماه أستاذنا د. سيد عويس باللهجـات والتعبيرات الشعبية المصرية.

وأيضا سأرصد الأمثال الواردة في القـرآن الكـريم والمتداولة بين الناس وكأنها مثل شعبي.

كما أخصص فصلاً أخيرا للأمثال العربية الفصـحى التي تتداول بين العامة على أنها شعبية، في حين أنها عربية لفظًا ومعنى أو محرفة عن العربية.

ذلك كله مع الحرص على أن تكون الأمثال الشعبية هي المحور الأساسي للكتاب، وما الفصول التي أشرت إليها إلا فصول مكملة للموضوع الأصلي ؛ لارتباطها به، ولما لها من أهمية ؛ لتسهيل التعرف على الفرق بين المثل السـائر، والتشبيه الشعبي البليغ، والمصطلح ذي الدلالـة الخاصـة : وكنموذج لهذه الأنماط المختلفة من التعبير نورد فيمـا يلـي نماذج لكل منهم :

*** الأمثال :**

- لبس البوصة تبقى عروسة.
- معاك قرش تساوي قرش، ممعكش حاجة متسـاويش حاجة.
- القرد في عين أمه غزال.

*** التشبيهات :**

- زي الطبخة البايتة.
- زي مأمور الهدد.
- زي السمك بياكل بعضه.

*** المصطلحات:**

- يمسكوا في شواشي بعض (كناية عن الشجار)
- يلبسه العمة، أو ينفخ فيه (كناية عن الإيهام بالأهمية)
- كسبنا صلاة النبي (كناية عن عدم الربح المادي)

*** الأدعية :**

- جار عليك الزمان
- كبرت علتك
- إتخلخلت ضراسك

*** الأمثال العربية :**

- لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين.
- إذا لم تستح فاصنع ما شئت.
- من راقب الناس مات هما.

*** الأمثال في القرآن :**

- نظرة إلى ميسرة.

- لا تكتموا الشهادة.
- وأمره إلى ا .
- ولا هم يحزنون.

هذا وسأتناول في ختام هذه الدراسة مـدى إمكانيـة استحداث تعبيرات، أو مأثورات شعبية جديدة مـن عدمـه، وهل يمكن أن تكون لها صفة الدوام، والاستمرار في وجدان الناس، فتصبح رصيدا جديدا من الأمثـال، والتعبيـرات ... خاصة إن إمكانات انتشارها حاليا متاحة، وأكثر تـأثيرا ... وذلك من خلال ما يسميه البعض " إفيهات " فـي الأعمـال المسرحية، والأعمال الفنية الفكاهية، ودراسـة إمكانيـة أن تكسب صفة الدوام كتراث شعبي متوارث ... وهل يمكن أن تكتسب دلالة خاصة تفهم مباشرة بالتداول ؟

هذا وسأهتم بالأمثال وفقًـا للترتيـب الموضـوعي المتسلسل وليس وفقًا للأبجدية، وسأحاول – قدر الإمكـان – إبراز أن الأمثال قد اهتمت بكل مناحي الحياة الاجتماعيـة، والاقتصادية المتعلقة بالسلوكيات، والحياة اليوميـة، وأنهـا عبرت بدقة عن المفاهيم السائدة بين الشعب المصري عبـر العصور، فعبرت عن رأي الأغلبية، كما أن رأي الأقلية كان

له صوت – ولو خافت – في التراث الشـعبي المـوروث، فالأمثال تعبر عن وجهتي النظر بديمقراطية شديدة ... حتى لنعجب بشدة أن الأمثال الشعبية تعبر في كل الموضـوعات عن وجهتي نظر مختلفتين ... وإن تغلبـت إحـداها علـى الأخرى ... لكن لكل منهمـا احترامـه ومكانتـه ؛ ولـذلك سأحاول من خلال تحليل مضمون الأمثال الشعبية، الوقـوف على وجهة النظر السائدة، أو التي تحظى بكثير من التأييـد، سواء بالتكرار، أو كثرة الأمثال المنادية أو المعبرة عنها، أو بمدى تداول المثل، واستمرار هذا التداول، حتى الآن، وهـو ما يؤكد رسوخ هذا المفهوم، أو ذاك، وثباته فـي الوجـدان الشعبي المصري ... بحيث يعطـي ملمحـا أساسـيا فـي الشخصية المصرية – التي أهدف أساسا إلى رصد سـماتها وملامحها من خـلال تحليـل مضـمون الأمثـال العاميـة والعبارات الشعبية – فعلى سبيل المثال نجد مثال يحبذ السعي في الزواج مثل : " يا بخت من وفق راسين فـي الحـلال " وبالمقابل مثلاً آخر يقول " امشي في جنازة ولا تمشيش فـي جوازة " فأيهما أرسخ في الوجدان المصري؟؟ ذلك ما سيثبته تحليل المضمون ... كما سيدل على كثرة الموضوعات التي

نشعر أن الوجدان المصري منقسم حولها، أو لم يتفق بشأنها على رأي واحد، أو لنقل أنه أعد لكل موقف القول المناسـب له ... وسنلاحظ ذلك بشكل خاص في الموضوعات المتعلقة بالصبر والتحمل ... والقضاء والقدر، والكوارث، فـإذا مـا حلت مصيبة، فهناك مثل يواسي، ومثل يتشفى، ومثل يشاطر المصاب، ومثل يشمت فيه على أنه انتقام وعدالة من السماء، ومثل يقول بأن : " المؤمن منصاب "، وآخر يقول : " مــن أعمالكم سلط عليكم " بل إن هناك العديد من الأمثال للموقف الواحد أو المناسبة الواحدة.

هذا ونكاد نجزم بأن الأمثال الشعبية المصـرية لـم تترك مناسبة أو معنى لم تعبر عنـه، سـواء اجتماعيـا أو سلوكيا أو اقتصاديا أو نفسيا فقد غطت كل منـاحي الحيـاة، وتناولت كل الأمور :

" المرأة والرجل والزواج، وعلاقات الحب والمـودة والعشرة والصداقة والجوار والنسب. والإنجاب، والوراثـة، وتبدل الأحوال. والفقر والغنى.

والجمال، والقبح، والسـمار والبيـاض، والـنقص والكمال، والفكر والـذكريات، والهـم والمـوت، والفشـل والنجاح. والحداثة ".

كما فرقت بين :

" المقـدر والمكتـوب " و " النصـيب والقسـمة " و " الحظ والبخت " و " الشطارة أو المهـارة " و " الصـبر والرضا " و " القناعة والطمـع " و " الحسـد والغيـرة " و "الإدعاء والزهو والخيلاء والظلم " و " الحذر والخـوف " و "التأني والتعجل " و " الخجل والتستر " و " الأعذار والحجج" و " القدرة والاقتدار " و " حسم الأمـور والأعمـال غيـر المجدية ". والسفر وترك الديار والتدخل فيما لا يعني و العلم والجهل. والخذلان أو انقلاب الهدف على صاحبه والوفـاء، والتعود، والتمسك بالقديم، والتكبـر، والمبالغـة والشـماتة والتهكم والسخرية والاستهانة والاستهتار والفرح والتفـاؤل والعمل الطيب أو البر والإحسان والاتكال أو التواكل، واليتيم والإعاقة وسوء الخلق، والمراءاة والإخبار والإسرار والسلف والدين سواء ماديا أو معنويا. بمعنـى ( تخلـيص الحـق ) والمصائب والكوارث والشر والكرم والضيافة.

كما تناولت الأمثال أمورا اقتصادية كثيرة ترتب العلاقة بين الناس مثل:

المال. العوز والعذر. والبيع والشراء، والتعاقد والإنفاق والإسراف.

والاقتصاد والتدبير. والسعي على الرزق والقيمة أو الثمن والاستغناء والشراكة، والعمل أو المهن.

ناهيك عن المعاني والقيم المطلقة، التي تناولتها الأمثال ببساطة تدعو للعجب، والتفريق الدقيق بين المعاني، ووضع أسس وقواعد للسلوك الإنساني وفقًا لقواعد دقيقة مثل : " الحق. والحرية والجمال، والخير "، مفرقة بين الحرية المطلقة والحرية الشخصية وحدود التدخل في شئون الغير، والفرق بين القيم الجمالية الروحية والمادية، وستلاحظ هذا التفريق الدقيق حينما نستعرض نتائج تحليل مضمون هذه الأمثال.

كما تتناول الأمثال أيضا السلوكيات الرديئة فتدينها، وكنموذج لهذه السلوكيات.

" النم، والنميمة، وخلاف الوعد، والنفاق، والنذالة، والخبث، والمعايرة، والذم، وتعاطي الخمور، والطفل،

واللامبالاة، والكسل والكراهية، والكـذب والفتنـة والقـذارة والفساد. والغرور. والغش وإنكار الجميل. والحمق والغباء. وسوء النية. والسـفاهة. والرشـوة والخديعـة، والتسـول. والتـردد. والتجسـس. والتبـرج، والإهمـال والإلحـاح، والانتهازية وسوء الخلق بوجه عام".

هذا ونجد أن الأمثال الشعبية المصـرية بقـدر مـا عبرت عن معانٍ شتى، بقدر ما عكست ملامـح الشخصـية المصرية ... وعبرت عـن وجـدان الإنسـان المصـري، وقناعته، وقيمه، ومعتقداته. بل ومواقفه من كل شـيء فـي الدنيا محسوس أو معنوي.

كما سنلاحظ أن المصري لم يفرق تفريقًـا واضـحا بين قول مأثور، ومثل عربي، وحكمة متوارثة، وقاعدة دينية أو معتقد مصاغ بإيجاز، فتواصل الـروح المصـرية عبـر العصور، وما حدث فيها من تطورات جعل المصري يجري على لسانه، كل هذه الأشكال اللغويـة العاميـة والفصـحى، مجرى اللغة الشعبية الدارجة ... التي تمتزج فيها بقايا ألفاظ من اللغة الهيروغليفية. فالهلينينة ثم القبطية، فالعربيـة، مـع مداخلات لفظية من لغات الغزاة : الأتراك، ثـم الإنجليـز،

أو كما كان يسميهم "الفرنجة" وسنجد ذلك واضحا، حينما نستعرض كل ملح من ملامح الشخصية المصرية، وكيف عبرت عنه الأمثال الشعبية، بما تضمه من ألفاظ، قد تبدو غريبة، وما هي إلا نحت من لفظ من لغة سادت ثم بادت في مصر، أو مرت عليها، لكن اللهجة العامية المصرية الثرية بأصولها ومشتقاتها بقيت، كأحلى ما تكون اللهجات العربية على الإطلاق ... ودون تحيز ... وسنلاحظ كيف أن المثل العربي القديم، أو الحديث النبوي الشريف على رصانة لغته، يجري على اللسان المصري بنعومة، وكأنه عامية دارجة، يرددها الشعب المصري، بكل طوائفه أو معظمها، دون أن يدرك أنها عربية فصحى.

هذا وسنلاحظ أن الإنسان المصري، يستخدم الأمثال وكأنها عبارات مصاغة جاهزة، يسهل بها إعمال الذهن، ومعالجة المواقف المختلفة على نحو تلقائي ومألوف ... وذلك عبر أجيال وأجيال، مما يعكس تمسكه بالقديم والموروث من العادات، والمفاهيم والقيم ... ويجد المصري في استخدام الأمثال اختزالاً للكثير من الكلام، حيث إنها المختصر المفيد، أو الحكمة كلها، مصاغة في عبارة موجزة،

تفيد في موقف محدد، وكأنها فصلت له خصيصا ... وتكون أبلغ ما يكون التعبير، وأفضل مـن الإكثـار فـي الشـرح والتوضيح ... وما أكثر العبادات التي تناسب كل المواقـف على اختلافها، نظرا لكثرة وثراء الأمثال الشعبية المصرية، المتأثرة بالفكر الفرعوني، والتراث المسـيحي، والإسـلامي العربي، وأيضا وهو الأهم – المتأثرة – بطبيعة الشخصـية والروح المصرية الفكهة الساخرة ... التي لم يصل أحد بعد لتحديد أسبابها هل هي موهبة إلهية خص بها ا هذا الشعب دون غيره ؟ أي أنها فطرة ... أم هي نتـاج مكتسـب مـن عصور القهر التي عاشتها مصر؟؟

فكلنا يعرف أن الإنسان المصري طالما عانى، ومـا زال يعاني من الكبت السياسي، والاجتماعي، والديني، ولعل ذلك ما جعله إنسانًا مبدعا، يتحايل على وسائل القهر والكبت، والإحباط باصطناع أقوال أو نكات، أو فنون شعبية، يـتنفس فيها، وبها عما يعانيه من كبت، إذا أجبرته ظروفه أن يكون إنسانًا حضاريا ... وليس مجرد إنسان عادي طبيعي يعـيش الحياة لذاتها؛ ولأن المصري أكثر طاعة وامتثالاً، وتقـديرا للسلطات، بكل أشكالها الأبوية، والسياسية، والدينية أكثر من

غيره من الجنسيات – العربية وغير العربية – ؛ لذلك نجده أكثر احتراما، بل وتقديسا للتقاليد، والقيم السائدة، والعرف، والدين، والتشريعات، وكثير من وسـائل الحظـر والمنـع والتعويق ... ولعل ذلك ما فجر لديه ينبوع الحكمة الساخرة الموجزة، الممثلة في كل ما يجري على لسانه من عبـارات لاذعة في شكل نكتة، أو " قفشة " أو مثل، يلخص القضـية المطروحة، بل ويضع لها الحل، في عبارة موجزة هي:
المثل الشعبي على الألسنة منذ مئات السنين.

ورغم وجود العديد مـن المـؤثرات الفاعلـة فـي الشخصية المصرية كالدين، والبيئة الاجتماعية (سواء حضر أو ريف أو صحراء أو أودية جبلية) ناهيك على المسـتوى الاجتماعي داخل هذه البيئة والمستوى التعليمي، والمســتوى الاقتصادي – أقول رغم تعدد هذه المؤثرات، وتداخلها – نجد أن الأمثال الشعبية دون غيرها من الفنون الشعبية تتردد على ألسنة العامة والخاصة ... بل وتقتحم اللغة المكتوبـة أيضـا بعفوية شديدة، سواء في الأعمال الدرامية أو الأدبية، أو فـي المقالات الصحفية، وحتى في الكتابـات السياسـية نجـد أن الأمثال تتردد في ثناياها، بل وفي عناوينها، بوصفها خلاصة

القول وصفوته، والمعنى الأكثر تركيزا لشرح شتى الأمـور والمعضلات، التي يصعب شرحها إلا بإسهاب! لذا أصبحت الأمثال جزءا من لغة الخاصة المثقفة، وليس فقـط العامـة والبسطاء، وهو ما يعكس وجود سمات متقاربة بـين فئـات الشعب المصري، بغض النظر عن درجة الاختلاف الفردي، والفروق الطبقية، والاجتماعية، والثقافية ... ذلـ ـ ـ ـــك أن الاشتراك في الاقتناع بما تطرحـه الأمثـال الشـعبية مـن قيم، يعكس شخصية واضحة لها سمات متشابهة، إن لم نقـل متماثلة، أو واحدة للإنسان المصري، يظهـر فـي تمسـك المصري بأمثاله العامية، أو معظمها، وحفاظه عليهـا عبـر الأجيال، وترديدها، بما يعنيه ذلك من إعجاب أو موافقة على ما تتضمنه من معان، وإيمان بحكمتها وبلاغتها، فالأمثـال خلاصة الحكمة بالنسبة لأي شعب.

هذا ولا نكون مبالغين إذا قلنا بأن الأمثـال الشـعبية تخلق شكلاً من الارتباط بين الطبقات في مصر، فارتبـاط الطبقة المثقفة المصرية بالتراث، والعادات، والتقاليد، والفنون الشعبية، ارتباط وثيق، لا يقف عند حد الاقتناع، أو الترديـد الشفهي، بل يصل إلى حد ممارسـة طقـوس تقتـرب مـن

الخرافة، والإيمان بالغيبيات، خاصة في الملمات، أو ما قـد يصيب الفرد من إحباط في ممارساته وحياته اليومية، فنجــد أحيانًا أنه لا فرق بين مصري مثقف وأخر من البسطاء، من حيث التمسك بقيم راسخة تعكسها الأمثال الشعبية، التـ ـ ـي يرددها العامة والخاصة، وكأنها مسلمات.

فكثيرا ما نرى أن مجرد إيراد مثل شعبي، قد يحقق النجاح في مساع لعقد صلح، أو فض معركة، أو جعل إنسان مصري– أمـي أو مثقـف – يتخـذ قـرارا حاسـما فـي حياته. كالزواج أو الطلاق أو الارتباط والمشاركة في شيء ما، إلى غير ذلك من علاقات رسمت لها الأمثـال الشـعبية دستورا محكما، لم تفلت من شاردة أو واردة في المعـاملات الإنسانية الاجتماعية والاقتصادية والحياتيـة ... وهـو مـا سيتضح فيما بعد.

هذا وسنلاحظ أن الأمثال الشعبية بقدر تأثيرها فـي حياة الناس وسلوكهم؛ بما لها من آثار نفسية على الشخصية المصرية سنجدها أيضا تتأثر بما يعتري هذه الشخصية مـن تغير وتطور، ويتضح ذلك من احتفـاظ المصـري بـبعض الأمثال دون غيرها، وترديده الدائم لها، في حـين ينقـرض

بعضها الآخر بنسب كبيرة، سنعرض لها كما وكيفًا في فصل من فصول هذا الكتاب، بما يؤكد أن الأمثال تـؤثر وتتـأثر بالشخصية المصرية، بل هي نتاج لهذه الشخصية، بكل مـا يعتريها من تغيرات.

وقبل أن أختم هـذا الحـديث التمهيـدي لدراسـتي للشخصية المصرية كما تعكسها الأمثال العامية لابـد مـن إشارة مهمة إلى الأسلوب الذي سأتبعه في هذه الدراسـة ... التي لم أضع لها نتائج مسبقة وإن كان لدي فروض قد تثبت أداة تحليل المضمون صحتها، أو تدحضها كليا أو جزئيا ... وأجدني مرحبة تماما بما ستأتي به دراسة علمية متأنيـة ... لا تعتمد على الانطباعات الشخصية أو الذاتية، فما حـداني إلى مثل هذه الدراسة هو الشعور بمـا يعتـري الشخصـية المصرية من تغير سريع – أو هكذا أستشعر سـرعته – لا أقول تغيرا إلى أحسن أو إلى أسوأ ... لكنه تغيـر ملمـوس ومحسوس من الجميع، ويتردد ذكـره علـى الألسـنة فـي المجالس، في شكل ترحم على الماضي وأيامه، والعلاقـات الحميمة فيه، وما كان يسوده من قيم نبيلة كنا نحسـد عليهـا ... بل لعلها السبب الأساسي في الريادة المصرية فـي كـل

المجالات ... والتفوق المصري ليس على المستوى الإقليمي وحسب ... ولكن عالميا ... فالحضارة المصرية حضـارة عالمية، خلقها الإنسان المصري القديم، أو جـدنا المصـري الأول ... فهل بقي لنا شيء من ملامحه وسماته؟ أم ترى أن سنوات من التيه محت إنسان هذه الحضارة القديمة!! وسكن مصر بدلاً منه إنسان آخر لا يمت له بصلة أو نسب، ولـم تلعب عوامل الوراثة دورها في إكسابه سمات أجداده؟! هـي تساؤلات حيرى! يحسمها أحيانًا حدث كبير، يظهر المعـدن الأصلي للإنسان المصري، بما يؤكد أنه بالفعل حفيـد بنـاة الحضارة العظماء ... وخلاصة الطبقـات المتراكمـة مـن الحضارات على هذه الأرض من فرعونية وقبطية وإسلامية عربية، وأنه اكتسب الجميل والنبيل من صفات مـن مـروا بأرضه فاتحين أو غزاة، فعلمهم، وتعلم مـنهم ... واحـتفظ بصفاته الأصلية ... ولكن ما تلبث مجريات الأحداث اليومية أن تكذب هذا الظـن وتخلفـه ... وتوضـح الهـوة بـين ما كان، وما آل إليه اليوم حال الإنسان المصـري وسـماته الشخصية.

وعلى أية حال سأسير بهـذه الدراسـة مستعرضـة للسمات الشخصية للشعب المصري، كما وردت في عدد من الدراسات، ثم أحاول دراسة هذه السمات وفقًا لما سأخرج به من نتائج تحليل مضمون الأمثال. الشعبية، دون أن أتحيـز لتأكيد أي فرض مما يدور بخلدي ... ودون أن أتحيز لمعتقد مسبق... فنظرتي ما زالت متوازية تماما ... فأنـا أرى أن أحسن ما فـي مصـر شـعبها أو " ناسـها " كمـا يقـول العامة، فمصر منورة بأهلها ... وهي هبة المصريين وليست هبة النيل. كما تمر بي لحظات – قصار على أيـة حـال – أرى أن أكثر ما يشوه وجه مصر هم الناس فكيف يستقيم هذا التناقض؟! وما وجه الحقيقة فيه وبدقه؟! هذا ما ستسفر عنـه نتائج هذه الدراسة التي أبـدأها بالحـديث عـن الشخصـية المصرية وسماتها، ثم عـن الأمثـال الشـعبية نظريـا ... وأهميتها في تقويم طبيعة الشعب المصري وسـماته ... ثـم أستعرض نتائج تحليل مضمون الأمثال الشعبية كما وكيفًا، مستشهدة بنماذج متعددة لأشرك القارئ في استخلاص النتائج معي، وأمتعه بما استمتعت به من حكمة شعب عظيم علـى

كل حال ... ويكفيه فخرا هذه الصفة ... إلى جانب سـمات أخرى سنخوض في دراستها فيما يلي من صفحات.

# الفصل الأول
## الشخصية المصرية

تتشكل الشخصية القومية بوجه عام من مجموع السمات الفردية التي تكتسب صفة العمومية، والتي يمكن أن نقول عنها إنها سمات سائدة بين معظم أفراد مجتمع ما، وذلك كسمات عامة إيجابية وسلبية معا، وكما تشكل السمات الفردية الشخصية القومية، تشكل أيضا العيوب الفردية في تجمعها عيوب المجتمع، أو الشخصية القومية بإيجابياتها وسلبياتها ؛ ولذلك حينما يراد إصلاح المجتمع لابد أن نبدأ بالتفكير في إصلاح الفرد، لينصلح المجموع.

والشخصية المصرية بالذات قد حظيت بدراسات عديدة اهتمت بها ورصدت سماتها، معتمدة على عدة مناهج تاريخية، رصدت أثر الغزاة – وما أكثرهم – على الشخصية المصرية، وأخرى اهتمت بالأدب الشعبي – الموال والسيرة والأغنية والمثل – وأثره على الشخصية المصرية، ولعل الأخيرة هي الأصدق والأقرب إلى الواقع، بالإضافة إلى الدراسات المهمة المسماة " شخصية مصر " للدكتور جمال حمدان، والتي اهتمت بدراسة شتى الظواهر المؤثرة في

الشخصية المصرية، من أول عبقرية المكان، إلى العنصر التاريخي والاجتماعي، وشتى الظروف المكونة للشخصية المصرية.

وهناك من اعتمدوا في دراستهم على التاريخ منطلقين من فترة أو أزمة ما، ومنهم الدكتورة نعمات أحمد فؤاد التي اهتمت بدراسة شخصية مصر إثر نكسة ١٩٦٧، دراسة خرجت منها بخلاصة عظيمة وهي: أن كل الغزاة الذين أتوا إلى مصر، كانت مصر تقابل غزوهم الخارجي بغزو داخلي يمس الجوهر والكيان، وأن ما كان يحدث للشخصية المصري إنما هو مجرد تكيف قشري، لا يمس الأعماق ولا ينفذ للصميم، وحتى العرب الذين عربوا مصر لغويا ودينيا. قد مصرتهم مصر حضاريا وماديا ... وقد جاء كتاب " شخصية مصر " للدكتورة نعمات فؤاد بمثابة ضماد لجرح عميق وغائر هز الكيان المصري بشدة، وأثر في الشخصية المصرية، وقادها إلى عملية نقد ذاتي لاذع... كان من الممكن أن يهدم الكيان الشخصي الفردي والجماعي للمصريين ... بل يمكن أن نقول إنه أفقد الشخصية المصرية سمة مهمة من سماتها وهي الثقة بالنفس ... وأبرز على

السطح سمة أخرى كامنة وهي : الســــخرية مـــــن الذات، والمقارنة بين المصري والغازي... أو ما اصـطلح على تسميته " عقدة الخواجة " التي تكمن وتطفو ثـم تكمـن وتطفو، عبر عقود وأزمان، وفقًــا للظــروف السياســية والاقتصادية التي تمر بمصر.

هذا وقد اتفق دكتور ميلاد حنا في كتابـه "الأعمـدة السبعة للشخصية المصرية" مع الدكتورة نعمات فؤاد، في أن الشخصية المصرية هي نتاج لتعاقب حضارات توالت علـى مصر، هي الفرعونية، ثم اليونانية– الرومانيـة، والقبطيـة، والإسلامية العربية، ناهيك عن موقع مصر الجغرافي المؤثر في شخصيتها، والمتمثــل فــي انتمائهــا إلــى العــالم العربي، وانتمائها إلى مجموعة دول حوض البحر المتوسـط ثم انتمائها إلى أفريقيا ... وانفتاحها على كل هـؤلاء الـذي جعلها تحتك بأجناس مختلفة تدين بديانات مختلفة وتتحـدث بلغات مختلفة، بحكم الغزو والاحتكاك الحضاري ... لكـن هذه الحضارات مرت على مصر، وسادت ثم بادت، وبقيـت مصر هي مصر، تعلوها طبقات حضارية متباينة ... لكنهـا مصر بشخصيتها المتميزة المنفردة بحلوها ومرها ... تطفو

أحيانًا سماتها الإيجابية الفذة، وتخبو أحيانًا أخرى؛ لتظهـ ـر بعض سماتها السلبية ...

وإذا كنا هنا بصدد دراسة هذه الشخصية، من خلال أحد أهم المؤثرات الشعبية، ألا وهي: الأمثال العامية، وتحليل مضمون الأمثال ... أو لنقل تحديدا، ما تبقى منها، وما زال متداولاً على الألسنة، إذ يمكننا القول بأن هذا المتبقي هو ما يعبر بحق عن فلسفة الشعب المصري الذي نعرفـ ـه الآن ... ولا نكون مبالغين إذا ما قلنا: إن المثل العامي بوصفه فلسفة شعبية تعبر عن قيم أي شعب، فهي أيضا تعكس خصائصـ ـه وسماته، وقيمه وقناعاته ومعتقداته، وتشير إلى عاداته.

لذلك نجد محمد إبراهيم أبو سنة في كتابـ ـه "فلسـ ـفة المثل الشعبي" يربط بين خصائص المثل الشعبي المصري، وسمات الشعب المصري، ويـ ـرى أن أولـ ـى خصـ ـائص المثل، نتيجة لاحتراف المصري للزراعة، ويـ ـرى أن هـ ـذا الصبر يستتبعه بالضرورة تأمل حزين، باحث عن قوة غيبية يستجلبها المصري بالعبادة، وهما سبيله إلى التحمل والصبر والإيمان بالأسرار الغيبية؛ وذلك كرد فعل أو نتيجة لتعاقـ ـب فترات القهر وما عاناه فيها، ممـ ـا خلـ ـق لديـ ـه صـ ـوفية

سلبية، تصل إلى حد الهزيمة أو الروح الانهزامية، ثم أخيرا يــرى أن الفكاهــة وهــي إحــدى خصــائص المثــل المصري، والشعب المصري أيضا واضحة جدا في كليهما ؛ نتيجة لقدرة المصري على تحويل حياته المبتلة بالدموع إلى ضحكة كبيرة لا مبالية. ونكتة عارية نافذة. كوسيلة تفريـغ للمرارة في وضع مقلوب هربا من القيود [١].

ويؤكد ذلك أيضا د. حسين فوزي في كتابه " سندباد مصري" إذ يرى الشعب المصري فيلسوف مسالم، يـ ـتكلم بالكناية، ويقول عنه: إنه شعب علمه (ظالموه الحذر وصون اللسان كما فرضوا عليه ممارسة السخرية المتسترة، فمـ ـا عرفت وا شعبا في مثل قدرته على التندر بالحكام، وفـ ـي قدرته على التلاعب بالألفاظ)، وبالطبع نجد أن المثل الشعبي هو أصدق تعبير مكني عن سخرية هذا الشعب وفلسفته. وقد ذهب عادل حمودة في هذا الصدد إلى منتهاه في كتابه "النكتة السياسية – كيف يسخر المصريون من حكامهم"، والـ ـ ـذي سنستشهد كثيرا بما ورد فيه في غضون مناقشتنا الأولى لأهم السمات المصرية وهي "السخرية والفكاهة وخفة الظل".

---

([1]) عادل حموده ، فلسفة المثل الشعبي . ص ٢١ .

هذا وقد تبرز آراء، تقول بأن اختيار المثل الشـعبي بالذات لتحليل مضمونه، والخروج بنتائج، تحدد سمات شعب مصر، اختيار فيه قدر من التحيز؛ محتجـين بـأن الأمثـال الشعبية غير متداولة إلا بين العامة من الناس، بـل وينظـر إليها البعض على أنها أسلوب سوقي في الحديث، وأنهـــا مجرد تراث، لا يعبر عن قيم العصر ... لكني لاحظـت أن الأمثال – أو المتبقي منها على الأقل – متداول بـين جميـع أفراد الشعب المصري، وأن مـن لا يحفظونـه ويرددونـه يعجبون به عند سماعه، ويستعيدون قائله، ويحاولون تكراره لتذكره. وربما لاستخدامه فيما بعد، كما أن لكل فئة أو طبقة أمثالها المختارة المتداولة بينها، والتي تعبر عن بيئتها وقيمها ... فإذا ما أخذنا في الاعتبار أن مقومات الشخصية الفرديـة لـم تعـد مجـرد نتـاج للتربيـة والتنشـئة والتعلـيم الأسري، أو البيئي فقط، ولكن تؤثر فيها عمليات الاتصـال المختلفة، على المستوى الشخصي، وعلـــى المســتوى الجماهيري، من خلال ما يتعرض له الفـرد مـن إلحـاح إعلامي، فسنجد أن الأمثال الشعبية تنتقل، وتنتشر، وتؤثر في الناس كل الناس، من خلال عمليات الاتصال الشخصي، ومن

خلال الأعمال الدرامية التي تعج بالأمثال الشعبية، لا بـل والمقالات والمواد الصحفية، التي تتضمن العديد من الأمثال الشعبية، وبذلك تتجمع عدة عوامل لتـؤثر فـي الشخصـية المصرية، وفي مقدمتها التنشئة الاجتماعية والثقافيـة التـي يبرز المثل الشعبي فيها بشكل واضـح ... خاصـة إذا مـا اعترفنا بأن الأم هي العنصر الأهم والمؤثر في الشخصية – والنساء وهن مجمـوع الأمهـات – هـن الأكثـر ترديـدا واستخداما للأمثال الشعبية، وهن اللاتي أطلق عليهن د. سيد عويس لقب " حاملات الثقافة "، وهن بحق من حافظن علـى هذا التراث الجميل، بكل قيمه وفلسفته العميقة.

وإذا كان من المتعذر أن نطلق – بوجه عام – حكما أو وصفًا معينًا للشخصية المصرية، أو نحدد سمات بعينها لنصفها بها، كنتاج لدراسة علمية ... فإننا – على الأقل – يمكننا القول بأن هناك صفات متميزة للشعب المصري، ينفرد بها دون غيره من الشعوب، ولا يمكن لأحد إنكارها، وهي التي يتكون من مجموعها خلق عام، وسلوك مشترك حيال الكثير من المواقف والقضايا، رغم التقدم الحضاري المتفاوت بين مناطق الحضر والريف

والبادية، والاتساع الجغرافي المترامي لمصر، ورغم التعارض بين مصالح الأفراد، واختلاف اتجاهاتهم، بل واختلاف نفسياتهم ومواقفهم المتباينة من الأمور، وردود أفعالهم الفردية ... إلا أن هناك مواقف شبه موحدة، وسلوكًا يكاد يتماثل تجاه الكثير من القضايا، رغم البعد الطبقي، والبعد الريفي أو الحضري، والبعد الجنسي، بل والبعد الوظيفي أو المهني، فحيال القيم تكاد تتطابق المواقف.. ويعكس ذلك المثل الشعبي في تقديره أو تقويمه للمال كقيمة، أو للعلم، أو الجمال، أو أي من الموضوعات التي سندرسها تفصيلاً ؛ لنرى كيف تعكس سمات مشتركة للمصريين ... ذلك رغم ما اعترى السلم القيمي في مصر من اختلاف في ترتيب درجاته خلال العقدين الماضيين (السبعينيات والثمانينات).

وقبل الخوض في تفصيل هذه السمات، لا بد أولاً : من الإشارة إلى عدة نقاط يجب أن توضع في الحسبان، قبل القفز إلى النتائج ... أو حتى قبل بداية التحليل، وصولاً إلى النتائج، ألا وهي: أن ما سنصل إليه، هو أبرز السمات العامة، مع القناعة بأن هناك فروقًا فردية، وأن هناك فروقًا

بين الأسر أو الجماعات، ذلك أن لكل أسرة ملامحها الخاصة، التي تجعلنا نراها كوحدة أو كل مستقل ... في اتجاهاته ومبادئه، التي تختلف تبعا لثقافة كل جماعة، وأن التفاصيل تتيح صفات خاصة بكل جماعة، أو صفات قومية مشتركة تصل بنا إلى الشخصية المصرية عامة، بل وتصل ببعض الباحثين إلى الشخصية العربية المشتركة. فيرى " مورو بيرجر " كمثال أن الشخصية العربية ذات أصول متعددة، وأنها تستمد كياناتها من عدة روافد ... لكنه في النهاية يصل إلى سمات مشتركة بين العرب، يلخصها في " الأنانية والكرم، والعداء، كطابع للشخصية العربية". ومع ذلك فهو يشير إلى الأصول المتعددة التي تستمد منها الشخصية العربية كيانها وهي:

١ – قيم البدو والرحل، التي أثرت في الجماعات العربية والإسلامية.

٢ – مطالب الدين.

٣ – تاريخ الاحتلال على طول الأجيال.

٤ – الفقر الشديد.

٥ – أساليب تربية النشء [*]

هذا ولن نركز كثيرا على السمات التي وصف بهـا " مورو بيرجر " الشخصية العربية: ذلك أن كونـه أجنبيـا يجعلنا نقوم هذه السمات ونراها على أنها صـورته الذهنيـة عن الشخصية العربية وليست سمات أصيلة فيها، ومع ذلـك نشير إليها فقط من باب الإلمام بها، وأيضا لنقارن بينها وبين ما خلص إليه الباحثون العرب من سمات، " فمورو" يرى أن ما مر بالعرب من فترات، أو أجيال طويلة يسودها الركـود والتعاسة أكرهوا فيها على إتباع أساليب الغزاة، مع ضـياع جهودهم الكبيرة للسيطرة على شئونهم الخاصة، قــد أبــرز "تأثيرين واضحين هما الكبرياء الجـريح للحصـول علـى المناصب ثم الشعور بالاتهام" ... أما العامـل الأول وهـو الرغبة في الحصول على المناصب فهو من السمات البارزة في الشخصية القومية العربية، لكن مظهر تقدير الذات المبالغ فيه يتضح بجلاء، في سلوك الفرد العربي في علاقاته اليومية بالآخرين، بعيدا عن السياسة وشئونها، ويشير دكتور مـيلاد حنا إلى مثل هذه الصـفات بالنسـبة للشخصـية المصـرية

---

[*] More Berger , The Arab world today a double day . Ancor . look chap . 5 . 19. p . 136 .

بالذات، في مقارنة بـين الشخصـية الصـينية والشخصـية المصرية قائلاً : " إن الشخصـية الصـينية لـديها – مثـل الشخصية المصرية – عقدة الكبرياء لأنهم يدركون أنهم أقدم حضارة في الشرق الأقصى. ولهم تأثيرهم فيهـا حضـاريا وسياسيا وثقافيا ... ولكـن لـديهم أيضـا عقـدة الـنقص مثلنا، لأنهم يعرفون أن أمامهم شوطًا كبيرا لرفـع مسـتوى المعيشة" [١] .

وترى د. فاطمة المصري أن " العربي ينطوي على أعلى درجة من التناقض وهما الأنانية والانقياد. الأول يظهر في شكل توكيد الذات أمام الغير، والكبرياء والحساسية نحـو النقد... والثاني ينعكس في الخضوع لبعض القيم الجماعيـة الخاطئة" [٢]، وعن هذه السـمات بالـذات تحـدثت أيضـا د. نادية سالم في دراستها عن " صورة العرب والإسرائيليين في الصحافة الأمريكية "، كما تناولته سابقًا في دراستي عـن صورة عرب الخليج في الصحافة البريطانية ... لكننا نـرى أنها سمات في الصورة، وليست بالضرورة أن تكون سمات

---

([1]) د . ميلاد حنا ، الأعمدة السبعة للشخصية المصرية ، ص ١٥ ، ١٦ .

([2]) فاطمة المصري ، الشخصية المصرية من خلال دراسة بعض مظاهر الفولكلور المصري ، ص ٢١٣ .

في الشخصية العربية – وبالتالي الشخصية المصرية – ما لم يثبت هذا البحث عكس ذلك، بما ستعكسه الأمثال العامية من أنانية وكبرياء وحساسية للنقد أو نقد للذات، لنرى أيهما أبرز كسمة عامة.

ثانيا : والأمر الآخر الذي لابد من الإشارة إليه قبـل الولوج إلى النتائج ومناقشتها، هو الخلاف بين الباحثين فـي الشخصية المصرية، وهل هي امتـداد طبيعـي للشخصـية الفرعونية ... أم الشخصية العربية ؟ أم هي مـزيج منهمـا معا، تبرز فيه أحيانًا السمات الفرعونية أكثر ... أو العربيـة أكثر؟ وأرى – ويتفق معي كثير من الباحثين – أن الشخصية المصرية الحالية هي مزيج من ثقافات مختلفة، أثـرت فـي حياة هذا الشعب الفرعوني وفكره، بنسب متفاوتة، وفقًا لمدى تقبله، أو رفضه لبعضها، فلا أحد يستطيع أن ينكر أثر الثقافة اليونانية والرومانية ... والديانتين المسيحية والإسلامية، ناهيك عن أثر اللغة العربية والثقافة العربية والتـداخل بـين الحضارات المجاورة جميعها، ليس بالغزو فقط، ولكـ ـ ـ ـن بالاتصال بالحضارات القديمة والجديدة، والاتصال بالأجناس المختلفة بالترحـ ـال أو التجـارة، ووفــود فئــات مــن

الترك، والفـرس، والعـرب والبـربـر، وانصهارهم فـي الروح المصرية ... حتى لا نكاد نميزهم الآن بين الجمهور المصري الصميم ... وحتى أنه يصعب الآن تحديد العنصر المصري الخالص ... ولا أتصـور وجـود خـلاف بـين الباحثين، أو حتى بين العامة من الناس، على خاصية مصر في الجذب والصهر ... فقد اجتذبت مصر عبـر الأجيـال العديد من البشر من كل جنس ولون، جاءوها غزاة فاتحين، أو تجارا، أو مغامرين أو مهاجرين، واستقروا بها، وذابـــوا فيها، فتكلموا عاميتها وبرعوا فيها كأهلها، ومارسوا عاداتها وتمسكوا بها، وكأنها عاداتهم الأصيلة، وعاشوا مصر حتـى النخاع، حتى لا يكادون يميزن عن أهلها، ولا يستطيعون هم أنفسهم أن يميزوا أنفسهم عن المصريين، اللهم إلا في حكايا الجدود عن الأصل والمنشأ، بل إن روح الفكاهة والسـخرية المصرية، وهي أبرز سمات المصريين قد تلبسـت هـؤلاء الوافدين، فجرت على ألسنتهم جريانها على ألسنة المصريين الأصليين، وتشير د. فاطمة المصري إلى نفس الفكرة قائلة :

" إن الشخصية المصرية شخصية عربية ذات ذاكرة تاريخية، تجعلنـا نحـتفظ ضـمن الـلا شـعور بماضـينا

السحيق، فتحدد لنا الكثيـر مـن سـلوكنا وقيمنـا وآدابنـا الاجتماعية، على أنني لا أقف بالذاكرة التاريخية عند الحـد الذي أوضحه لها (هالفاكس) من ارتباط بالماضي القريب بل أتعدى ذلك إلى ماضـي البشـرية برمتهـا إلـى الماضـي السحيق ...

" إذن فماضينا يغلب علينا ويرسمنا بصفات تميزنـا عن غيرنا حتى لو تشابهنا ... فها هم العرب جميعا يتفقـون في صفات جوهرية رئيسية. ولكنهم مع ذلك يختلفون من بلد إلى آخر في تفاصيل، تلك الصفات. وذلك يبدو بجلاء بـين المصري والسعودي النجدي والسوري الصميم. والأمثلـــة على ذلك كثيرة ومعروفة لنا جميعا" [١].

ونذهب إلى أكثر من ذلك فنقول بوجود اختلافات بين سكان بلد أو مدينة وأخرى، داخل مصر نفسها، أو بين سكان الريف، وسكان المدن، وسكان الصحاري ووديان الجبال ... لكن تجمعهم في النهاية سمات عامة سائدة، تعكــس بعــض التجانس، وبعض التباين، وفقًــا للمــؤثرات الاجتماعيــة، والثقافية، والنفسية، والدينية أو الأخلاقية، بما تفرضه التقاليد

---

([1]) د . فاطمة المصري ، الشخصية المصرية ، ص ٦ ، ٧.

والعادات، والمعتقدات أو الموروثات الشعبية المتعلقة بطبيعة كل منطقة وظروفها البيئية، وتداخل عوامل أكثـر مـن أن نحيط بها أو نحصرها، تتفاعل فيما بينها: لتنـتج سـلوكًا يتصف بصفات معينة لها خصوصيتها.

ومن الاختلافات الفردية أو الجماعية التي تفرق بين أفراد الشعب الواحد وجماعاته شبكة من العوامل يمكـن أن نوجزها فيما يلي :

١ – البيئة الاجتماعية: المدينة، القرية، أطراف المـدن، الصحراء والجبال.

٢ – المستوى الاقتصادي: ثري، متوسط الحال، فقيـر، معدم.

٣ – العمل أو المهنة: عامل، فلاح، موظف، صـاحب عمل أو تاجر، وأيضا ( عاطـل أو طالـب ) أو طفيلي، أو " أرزاقي " كما يقولون.

٤ – القناعات الإيمانية: متدين، متعصب، علماني، ملحـد (وينضوي تحت هذا التقسيم فئـات أخـرى هـي " متزمت، مرن، منحل ").

٥ – المستوى التعليمي: مثقف، متعلم (عال أو متوسط)، ملم بالقراءة، وأمي.

ذلك بالإضافة إلى العوامل النفسية المتعلقة بشخصية كل فرد، من حيث اتجاهاته الاجتماعية، كانطوائه أو انعزاله، أو نظرته التشاؤمية، أو شخصيته المنبسطة المتفائلة، وما إلى ذلك من فروق فردية، تحكمها عقده النفسية، ونشأته وتربيته... لكننا وإن وضعنا ذلك في الاعتبار، سنجد أيضا سمات عامة سائدة تحدد ملامح الشخصية القومية العربية، وتشترك فيها الأغلبية العظمى، وهي القاعدة، وما عداها حالات فردية شذت عن القاعدة، أو هي فروق فردية تميز كلاً منا عن الآخر، فمن غير المعقول أن يكون شعب ما نسخا كربونية مكررة ... ومن محصلة ما كتب عن الشخصية المصرية نستطيع أن نستخلص عشرات السمات، وننسبها إلى أصحابها، ثم نحاول فيما يلي من فصول دراسة كل سمة من هذه السمات، وكيف عبرت عنها الأمثال الشعبية دحضا أو تأييدا: لنخرج بصورة أو " بورتريه" للشخصية المصرية، تبرز فيها عشر سمات أساسية، وما يتفرع عنها من سمات ثانوية، في حدود العشر أيضا.

ولنبدأ بالسمات التي استخلصتها من رؤية إبـراهيم أبو سنة في دراسته لفلسفة المثل الشعبي. فهــو يــرى أن المصري:

حساس، سريع الانفعال، يعشق الحرية، لديــه روح المقاومة، شجاع يحب الاستقرار (بوصفه فلاحا). تفكيـــره غيبي محب للفكاهة خاصة الفكاهة العارية (وهــي وســيلته للتنفيس وإظهار أعماقه الحزينة). سلبي فهو (يصــبر وهـو مؤمن بأن ا  ينصر الخير دائما). متســامح ( فالصــبر والتسامح نوع من المقاومة الشعبية المصرية). يهرب مـن المجهول ومواجهته ويسلم بالواقع، متفائل (تفـاؤلاً غامضـا غير مبرر لربما ناتجا عن إيمانه في الغد الأفضل) يستجيب سريعا للحزن (روح عاطفية حزينة) يكره الغربـة ويشـكو منها، ويشعر بالضياع في الغربة (حتى أنه اعتبر الفقر غربة نفسية). متدين (فالمنهاج الديني هو المنهاج الأساسي والثقافي لديه). يؤمن بخلود الروح، ويهتم بالموتى، يؤله القدر وابنـه الصبر، وسفراءه البخت والحظ والنصيب ... يؤمن بالفردية المطلقة (وهي عنده ممثلة في شخصية جحا التي يعتبرها قمة الحكمة والحماقة معا).

أما أحمد صادق الجمال صاحب كتاب "الأدب العامي في مصر" فيرصد سمات الشخصية المصـرية منـذ أقـدم العصور، قائلاً:

"المصـري معـروف بخفـة الـروح منـذ أقـدم العصور، تجده متناقضا مع نفسه، فبينما هو يعـاني حزنًـا وألما يطلق نكتة لا تجعل السامع يراعى المقام، فلا يتمالـك نفسه من الضحك، وكما اختص المصريون بالفكاهة والملحة والنكتة النادرة اختصوا كذلك بالسخرية اللاذعة والتهكم الذي يصل في بعض الأحيان إلى درجة الفحش فـي الهجـاء ... فهم إن أحسوا بظلم الحاكم ليس لديهم سـوى اتخـاذه مـادة لسخريتهم وتهكمهم ... والتلاعـب بالألفـاظ ... والتوريـة العميقة ... وقد استخدم التورية في الفكاهة فحملهـا أعمـق المعاني [١].

وقد حرصت أن أورد في البداية آراء مـن تنـاولوا الشخصية المصرية مـن منطلـق دراسـة الأدب الشـعبي وفلسفته ؛ لأنها في تصوري المنطلق الصحيح للاقتراب من شخصية أي شعب. وقد أضاف الجمال إلى ما سبق بعـض

---

([1]) أحمد صادق الجمال ، الأدب العامي في مصر ، ص ٨٣ ، ٨٤ .

السمات المصرية، التي رصدها من خلال دراسته للفكاهـة فذهب إلى القول بأن المصري يسخر أحيانًا من نفسه وأهله، ويضحك الناس عليهم، فيما يسـمى التحـامق ... بأسـلوب المضحك المبكي، خاصة إذا ما كان يسخر مـن موضـوع مؤلم. فهذه طبيعة المصريين الذي يمزحـون فـي سـاعات الضيق ... ويخلطون الجد بالهزل. والسخرية بالحقيقة [1].

ولعل الجمال هنا قد لمس من خلال دراسته لـلأدب العامي عصبا مهما في الشخصية المصرية، وهو أحد أهـم سلبياتها، وهو خلط الجد بالهزل، وهو إن كان يراها ميزة في الفكاهة المصرية، فهي في رأيي عيب كبير فـي شخصـية المصري، تقلل من مساحة الجد الفاعل في الشخصية القومية لأي شعب ... خاصة إذا ما قارنا فـي هـذا الصـدد بـين المصري والياباني أو الإنجليزي كمثال.

أما التقسيم الذي قام به فريق مـن بـاحثي المركـز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية فـي دراسـتهم للبيئـة المصرية ومشكلات المجتمع المصري فلابد من الإشارة إليها – رغم اختلافنا مع هذه التقسـيمة فـي بعـض التفاصـيل

---

([1]) المرجع السابق ، ص ٨٥ .

والتفريعات كما سأوضح فيما بعد – فقد رأوا أن المصري قد خلط بين الأضداد والمتناقضات. فخرجـ ــت الشخصـ ــية المصرية ذات نمطين كل منهما يحوي جملة سمات، وقـ ــد سموا النمط الأول "ابن البلد"، والثاني " الفهلوي "، وقالوا بأنه لا يوجد حد فاصل بين النمطين إلا شكليا، فالمصري غالبا ما يجمع في طيات شخصيته بين سمات النمطين معا بتداخل.

وذهبت هذه المجموعة من الباحثين إلى أن شخصية " ابن البلد " تتألف من ثـلاث مجموعـات مـن الخصـال المركبة:

فالمجموعة الأولى : التي أطلقوا اسـم " الجدعنـة " ينضوي تحتها الشخص الجدع، وهو عندهم: " الناصـ ـ ـح، الذكي، الكريم، الشجاع، الذي يتميز بإيمانه بالعلم والعمل، وتعينه على ذلك صفاته المميزة، وهـي المهـارة والـذكاء وسرعة الفهم والبديهة، وقوة الذاكرة، وهو يـرفض التبعيـة والتواكل.

أما المجموعة الثانية: وهي ما سميت "ابــن نكتــة" فيندرج فيها الشخص الضاحك المشرق الوجه، الشديد الشغف بالنكتة والمرح، حتى في وقت الشدائد، وهـذا الشـخص

يرضى بما قدر له، ويأمل في رحمة ربه حتى يأتيه الفرج، وروحه متفائلة، ولديه أمل في المستقبل، وهو ذو حس جمالي ذواق، خصب الخيال، وله قدرة على الإبداع والخلق والابتكار، وهو صدوق وودود، يؤمن بالصداقة ويقدسها.

أما المجموعة الثالثة: فتضم الإنسان الطيب، الذي يتصف بالتدين والكرم فهو مضياف محسن، صبور قانع لا يهمه المظهر ويتسم بالجدية والعدالة.

ويذهب هؤلاء الباحثون، في تقسيمهم للشخصية المصرية إلى نمطين، إلى تقسيم النمط الثاني وهو " الفهلوي " (*) إلى أربع مجموعات ذات خصال مركبة لكل منها ملامح محددة وهي :

المجموعة الأولى : وتتصف بالزلفى والاستكانة، وسماتها المميزة الانتهازية، والنفاق، والأنانية، والحقد، واللامبالاة، والسخرية والحزن، والكآبة كصفة ملازمة للسخرية.

---

(*) استخدم هذه التسمية د . حامد عمار في كتابه " بناء البشر " ويعتبرها صفة للشخصية القومية بوجه عام ، وقد أضاف مؤلفو " التربية ومشكلات المجتمع " إلى ذلك " ابن البلد " إذ يرون أن " الفهلوي " يعبر عن الشخصية غير الأصيلة بالنسبة للمصري .

والمجموعة الثانية: وتتصـف بالتواكليـة ؛ وذلـك لاعتمادها على البخت والحظ والقدر والمكتـوب والقسـمة والنصيب، وإن كنت أرى أن مجموع الشعب المصري كلـه يؤمن بهذه الأشياء بنسب متفاوتة، كما تعبر عن ذلك أمثالـه العامية وكما سيتضح فيما يلي .

المجموعة الثالثة: العاطفية والمتزايدة أو المبالغ فيها، ويتضح ذلك من إسرافها في الأفراح والأحزان، نظرا لعـدم قدرتها على الانضباط الانفعالي، كذلك عدم اتزانها وسـرعة انفعالها. وحتى هذه الصفات أرى أنها قد بدأت تخف حـدتها مؤخرا ... فلم تعد المغالاة في إظهار الحزن سمة مصـرية سائدة رغم أنها كانت سمة راسخة قبل عقود.

المجموعة الرابعة: المظهرية كاتجاه يعبر عن قصر النظر، والخواء الفكري، والبعد عن جوهر الحياة والتمسـك بقشورها (*).

وتبرز هذه السمات الأخيرة بالذات لدى الفقـراء إذ يهتمـون بمظـاهر كاذبـة يخفـون وراءهـا شـعورهم

---

(*) راجع عبد الهادي عفيفي وآخرون ، البيئة ومشكلات المجتمع ، الأنجلو .

بالدونية، ويظهرون أثرى من الواقع، في حين نرى بعض الأغنياء يبدون تواضعا، ويخفون ثرواتهم خوفًا من الحسد.

أما الدكتور سيد عويس أبو الاجتماعيين وشيخهم، الذي اهتم في مؤلفات عديدة بدراسة ملامح المجتمع المصري وسماته من خلال الأدب الشعبي تارة، ومن خلال "هتاف الصامتين" تارة أخرى – وهي دراسته الرائعة للعبارات المكتوبة على السيارات والمقطورات – وأيضا تلك الدراسة الفذة للرسائل التي يرسلها المصريون للإمام الشافعي، والتي تكشف عن نفسية المصري البسيط، في تعرية للذات أمام ولي من أولياء ا ، الذين يؤمنون غالبية المصريين – بنسب متفاوتة أيضا – بكراماتهم.

وقد استخلصت من كل هذه الدراسات رؤية دكتور سيد عويس للمجتمع المصري الذي يرى: أنه مجتمع فريد متميز عمن حوله، رغم وجود تشابه وتفاوت بينه وبينهم، وهو أصل حضارة الإنسان منذ وجد، وهو مصدر للقيم الاجتماعية، وهو مجتمع لم يفن، ولم تتغير خريطته رغم الحكام والطغاة، وسنوات القهر والمعاناة.

أما رؤيته للإنسان المصري فتتلخص في أنه:

إنسان يقدس الأم ويقدس بيته ويحبه ويدعو إلى صلة الرحم، رغم حذره من الأهل وتحسبه منهم، إذ أن له دستوره في الحب والعشرة والصداقة والجوار، ونـادرا مـا كـان أعزب: فهو يقدس الزواج ويحرص عليه مبكرا، يقدس الحياة الزوجية، ويسعد بالإنجاب، وعلاقتـه بأبنائـه طيبـة بـل رائعة، ويفضل الذكور على الإناث. ذلك أنه يؤمن بديمومـة الحياة. ومن هنا فأبناؤه امتداد له ولحياتـه ... والمصـري يقدس الأموات ويعتقد في نفوذهم وتأثيرهم في حياته. ذلـك أنه يؤمن بالأساطير والأوليات وبركاتهم. فالشعب المصري شعب متدين، يؤمن بالروحانيات. لديه إيمان عميق في أمـل موعود، لذلك فهو زاهد يرضى بالقليل، وهـو مبـالغ فـي مشاعر حزنه وفرحه وحتى أكله، وهـو يتميـز بالـذكاء والتلقائية والعيش على الفطرة والمصـري يتمسـك بالقـديم والموروث (*).

---

(*) راجع د. سيد عويس ، من وحي المجتمع المصري المعاصر .

ورغم ما رصده دكتور عويس من ميزات للإنسان المصري نراه أيضا – وبمنتهى الموضوعية – يرصد له بعض العيوب والسلبيات، وهي:

الأنا وانعدام روح الفريق والمظهرية، والنهم والاستهلاك والتواكل والسلبية والانكفاء على الذات. والنجومية وحب التفرد، واختفاء التفاؤل بعد أن كان سائدا.

ويرى دكتور عويس أن هذه السلبيات لم تكن موجودة، لكنها ظهرت نتيجة للظروف الاقتصادية ... وأتفق معه في ذلك إلى حد بعيد. فالظروف الاقتصادية بحلوها ومرها تصنع البشر، وتؤثر فيهم بشدة، ولعلها السبب الأساسي الذي من أجله انقلب السلم القيمي المصري منذ عقد السبعينيات وما تلاه، وحتى الآن، فتقديس المال، والأسلوب الاستهلاكي الاستفزازي، والمظهرية الكاذبة، لم تكن من السمات السائدة قبل ذلك، بل كان محلها القناعة والرضا بالقليل، وتقديم قيمة العلم على المال ... إلى غير ذلك من سمات يعد من نافلة القول تكرارها، أو التأكيد عليها كسمات طفت على السطح، وبرزت وتقدمت غيرها من

السمات، التي طالما تميز بها الشعب المصري عبر قرون، ولعلها طفت على السطح في معظم أنحاء العالم أيضا نتيجـة للتقدم المادي.

يجرنا ذلك إلى الحديث عن نقطة مهمة وأساسية في دراسات الشخصية القومية ألا وهي عدم جمـود الشخصـية القومية. بل يمكن القول بديناميكيتها، وتغيرها، أو على الأقل تقدم سمات، وتراجع أخرى بالتبادل، عبـ ــر العصـ ــور والحقب؛ نتيجة لتأثير عوامل سياسية واقتصادية تـؤثر فـي المجتمع، وتشكله أو تعيد تشكيله، وتعيد ترتيب سماته، فتكمن بعض السمات الأصلية الراسخة، التي يمكن إعـادة بعثهـا بتغير هذه الظروف، وببرامج التنميـة البشـرية وبحمـلات التوعية والتنوير؛ ولذلك حرصـت علـى الإطـلاع علـى دراسات الشخصية عبر العصور؛ للتعرف على هذه السمات الأصيلة التي لم تتغير، بل كمنت إلى حين، والتـي يـذكرها معظم الباحثين ... ولنأخذ نموذجا لذلك من كتاب " ملامـح الشخصية المصرية في العصر المسيحي" لمؤلفه رأفت عبـد الحميد الـذي أكـد علـى سـمة أساسـية وهـي التقـوى والتدين، فالمصري متدين بفطرته، سواء مسيحي أو مسلم،

أو حتى في عصر ما قبل الميلاد، إذ يتضح لنا من التـاريخ الفرعوني أنه كان يقدس آلهته، ويمنحها القرابين، ويقـ ـدس رجال الدين أو الكهنة، ويحترم كل رموز الألوهية، ويمارس طقوسا دينية صارمة ... ويقودنا ذلك إلى العودة لما رصده رأفت عبد الحميد في كتابه السالف الذكر، كأبرز مميـزات الشخصية المصرية، والتي بدأها:

بالتقوى والتدين والبساطة، والاطمئنان إلى المعتقد أو الوحدانية والبعث، ومزجه الدين بالدنيا والحياة، والروحانيـة التي تمثلت في تحويله لأحداث البطولـة إلـى أسـطورة أو ملحمة شعبية، وعناده وإصراره حتى الاستشهاد. ذلـ ـك أن روحه صامدة تأبى القهر، وتتميــز بالبســالة والشــجاعة والإباء، خاصة فيما يتعلق بالمعتقد الديني (*). والمصــري صاحب فكر، ومحب للحرية، لــذلك فهــو يخــاف مــن الاضطهاد... خوفًا يصل إلى حد العقدة. وقد خلق الاضطهاد – الذي عانى منه المصري – لديه روحا زاهدة (**).

---

(*) لعل تاريخ الشهداء المسيحي في مصر خير شاهد على ذلك .

(**) راجع رأفت عبد الحميد ، ملامح الشخصية المصرية في العصر المسيحي .

ولعل ذلك ما يفسر لنا الدور العظيم الذي قامت به مصر بالنسبة للديانة المسيحية، وخلق الرهبانية، وبعث الروح القبطية كنظام مستقل، له فكره، ومذاهبه، ومراسيمه اللاهوتية، المتميزة عن غيرها من المذاهب المسيحية العالمية، فروح مصر قادرة على العطاء بأكثر من قدرتها على الأخذ، وذلك ما يؤكده أيضا د. ميلاد حنا في كتابه "الأعمدة السبعة للشخصية المصرية" في حديثه عن العصر القبطي كرقيقة من الرقائق المتعاقبة المكونة للشخصية المصرية.

ونعود مرة أخرى إلى الكتب التي اهتمت بدراسة الشخصية المصرية من خلال الأدب الشعبي. وتحديدا المثل الشعبي سواء كان هدفها دراسة الشخصية المصرية كدراسة اجتماعية، أو دراسة الأمثال المصرية كدراسة أدبية عبرت عن النفس المصرية، وسماتها الشخصية وقناعاتها، ومن هذه الدراسات نذكر كتابا اهتم برصد الأمثال أكثر من اهتمامه بتقويم الشخصية، لكنني خلصت منه إلى سمات وردت في إطار ما ذكره المؤلف من أمثال، فهو يرى أن المصري:

طيب القلب، صبور، حكيم، مجرب، لماح، يمتاز بروح المرح والفكاهة أو الدعابة، حتى في أحلك الأوقات، وهو يقدس الأرض والفلاحة، ويحب الزراعة ثم التجارة، ولديه قدرة ناقدة، أو روح ناقدة تتميز بالفكاهة...

ويرجع ذلك إلى المنابع التي نهلت منها الشخصية المصرية وهي:

الحكمة، والقناعة، والإيمان، وروح الفكاهة، فالمصري المؤمن المتسامح غير المتعصب في معاملاته الاجتماعية. عبرت أمثاله عنه فدعت إلى الصبر، والرضا بالمقسوم والمكتوب، والقناعة وقبول الحياة بحلوها ومرها (*).

وأخيرا يجب أن نذكر أحد الدراسات الحديثة للشخصية المصرية من خلال الأدب الشعبي، والتي كانت في الأصل دراسة لنيل درجة الدكتوراه، وهي دراسة اجتماعية ونفسية – وليست أدبية – استخلصت فيها الباحثة (**) سمات للشخصية المصرية، سأعتمد عليها في تحليلي

---

(*) راجع محمد صفوت، الأمثال الشعبية .

(**) د . فاطمة المصري .

لمضمون الأمثال العامية المصرية، إلى جانب السمات التـي رصدتها دكتورة نعمات فؤاد، رغم ميلي إلى الاعتقـاد بـأن الدكتورة نعمات فؤاد عاشقة لمصر والمصريين، بشـ ـ ـكل عاطفي عنيف، جعلها تهتم بالتركيز على الإيجابيـات مـع مجرد رصد للسبيات أو لنقل على الأقل أنها ركـزت علـى السمات الطيبة وأكدتها، ومرت مرور الكرام على العيـوب والمثالب في الشخصية المصرية، ولعل مرد ذلك إلى الفترة العصيبة التي وضعت فيها مؤلفها القيم "شخصية مصر" عقب نكسة يونيو ١٩٦٧ ... وإن كنت سأورد فيما يلي السـمات التي رصدتها دكتورة فاطمة المصري بعد دراسـة علميـة ميدانية، والسمات التي رصدتها دكتورة نعمات فـؤاد بعـد دراسة تاريخية أدبية فيها تغليب للعاطفة، لأبنـ ـي تحليلـ ـي عليهما معا؛ كي أخرج بنتائج أقرب إلى الحقيقة، دون تغليب للعاطفة وحدها، أو العقل وحده، فدراسات الشخصية، ليست من الجمود بحيث تدرس معمليا أو ميدانيا فقط، وليست مـن الأمور التي تحتمل التنبؤ والاستقراء، والإتيـ ـان بالنمـ ـاذج والأمثلة المؤيدة للجانب الإيجابي فقط، حتى ولو كانت هـذه النماذج حقيقية من قلب التاريخ ومن واقع الحياة ... فـدائما

إلى جانبهما نجد شواهد أخرى تدحضها، وتؤكد عكسها، إذا ما أردنا تقليب صفحات التـاريخ ... خاصـة وأن الشـعب المصري غالبا ما يفاجئ العالم بل ويفاجئ نفسه بأمور غيـر متوقعة، وأحداث غير منتظرة، فقانون الصبر والثورة عنـد الشــعب المصــري قــانون فريــد مــن نوعــه فــي العالم، لا يمكن التنبؤ به، ولعل أبرز مثل من التاريخ علـى ذلك ما أفشل ثورة عرابي من خيانة، وهو ما عبر عنه المثل الشعبي القائل: " الولس قتل عرابي"، وأيضـا كمثـال مـن التاريخ المعاصر ما أسفر عنه حادث المنصة الشـهير فـي أكتوبر عام ١٩٨١، من اغتيال الرئيس السادات، وسط جنده، وضيوفه في مظاهرة عسكرية مهيبة، وممن ؟؟؟؟! من شاب متدين أشد ما يكون التدين، وبعد سنوات قليلـة مـن نصـر عسكري باهر (في أكتوبر ١٩٧٣) وهو أمر لا يتفق وطبيعة الشعب المصري الطيب المتسامح الصابر، الذي طالما صبر على قهر حكام وطغاة غير مصريين، ولم يمـارس حيـالهم مثل هذا المشهد الدموي البشع الذي خالف طبيعته، فهو مـن ثار ثورة بيضاء عام ١٩٥٢. ولم يمارس حيال طاغية تركي فاسد وأسرته، ما مارسه مع ابن بلده، بل تركه يغادر مصر

بسلام – مع الفارق بالطبع في الظرف التاريخي والدافع – لكني هنا أرصد الحدثين من منطلق تواؤم مع الذات المصرية، وطبيعتها السمحة.

وهنا نعود ثانية إلى السمات التي رصدتها " دكتورة فاطمة المصري " فنوجزها فيما يلي :

- تمجيد المال، والعمل (فالجانب الاقتصادي مهم في حياة الشخصية المصرية).
- الاتجاه إلى ا والتعلق بالأمل في التعويض، في الآخرة والجنة.
- السخرية من تبدل الطبقات.
- الأنين من الظلم، وإلقاء اللوم على أشياء غيبية كالأيام.
- اللمسة الفرعونية، المتمثلة في الاعتزاز بالذات حتى بالنسبة لأشد الناس هوانًا (وإن كانت غير معلنة وتتداول في الخفاء).
- الطاعة للسلطة، وولي الأمر أيا كان ( فالمصري عندها سلطوي خاضع).

- تقدير الذات، والشعور بعد تقدير الآخرين له ومعرفة قدره.
- السخرية من الحاكم بشكل دائم (لطغيانه وكتمه للأنفاس).
- المصري فنان بفطرته لذلك يستشعر الفن ويردده ويحبه ويقدره ( فهو مولع بالغناء – يقدر الفنانين – يغني في كل وقت).
- المصري مغرم بالاستقرار، ويعشق الأرض، ويرفض الغربة، ويتباكى على الوطن (بسبب طبيعته الزراعية).
- يؤمن بالقدر ويستسلم له ويتحمله، ويمتثل لمشيئة ا .
- يستسلم للوضع القائم لفترات طويلة دون محاولة للتغيير أو تقدير المستقبل.
- يشعر بالنقص أو بالدونية، ويميل إلى الحزن والمآسي والحسرة.
- روح الفكاهة والسخرية المريرة، التي تصل إلى حد الضحك من البلايا...

- الذكاء وسرعة البديهة (وهي أمور تخدمه في مجال الفكاهة).
- روح المصري تميل إلى ما يمكن تسميته "بالتهكم الاجتماعي" الرامي إلى الإصلاح، فيما يشبه السخرية المتفلسفة.
- الانتقام عن طريق السخرية.
- صفاء المزاج المصري وميله للصراحة والبساطة.
- المصري يشعر بالأمان إلا بالنسبة لغدر الزمان.
- المصري مؤمن غير متشكك في المصير ... وإن كان يقدس الموتى، مع إيمانه وتسليمه بأن الموت حق وطريق لابد من وروده.
- قوة شخصية وجاذبية خاصة تؤثر ولا تتأثر ( بدليل أن المصري لم يتأثر بالغزاة، ولكنه أثر فيهم).
- السلبية وتعليق الأمور كلها على عاتق المسئول، سواء كان الأب، أو الحاكم، أو السلطة.
- يميل المصري إلى المرح واقتناص الفرح والتفاؤل، رغم الشجن.

- الإنسان المصري ذو خبرة بالحياة، ويعلم أنه لا دوام لحال مهما طال.
- المصري لا ينشد الكمال، فهو مقتنع بأن الكمـال وحده.
- المصري يتميز بالغفلة عن العواقب، والانصـراف عن المشاكل (كما يرى ابن خلدون).
- المصري يقدس القناعة ويرضى بالقليل.
- للإنسان المصري ذاكرة حافظة خاصة بالنسبة لتراثه (والدليل على ذلك حفظه للأمثال عبر القرون منـذ القرن التاسع الهجري، وأيضـا بعـض الأمثـال الفرعونية ما زالت باقية) (*)

كل هذه السمات استخلصت مـن الدراسـة العامـة للفولكلور المصري، السيرة، والأغنية الشعبية، والموال، وإن ركزت بعد ذلك على بعض السمات التي برزت بشكل خاص من خلال الأمثال الشعبية، سأشير إليها في حينه في سـياق تحليلي لمضمون الأمثال الشعبية.

---

(*) راجع د . فاطمة حسين المصري ، الشخصية المصرية من خلال دراسة بعض مظاهر الفولكلور المصري – دراسة نفسية تحليلية إنثروبولوجية – مطـابع الهيئـة المصرية العامة للكتاب .

أما دكتورة " نعمات أحمد فؤاد " فقد استخلصت من حـديثها العـذب المتغنـي بالشخصـية المصـرية عبـر العصور، وحتـى الآن العديـد مـن السـمات الإيجابيـة الكثيرة، في مقابل عدد السلبيات التي رصـدتها فـي نهايـة كتابها على استحياء وباختصار وإيجاز، لا يتفق وما أسهبت فـي التغنـي بـه مـن ملامـح طيبـة فـي الشخصـية المصرية ... رغم أن معظم هذه الملامح والسمات قد تلاشت الآن – أو كادت – لدى غالبية الشعب المصري، في إطـار الانقلاب القيمي، الذي بدأ منذ عقدين على التقريب، هـــذا وســـأركز علـــى مـــا ذكرتـــه الـــدكتورة " نعمات فؤاد " كسمات حالية، ولـيس عبـر العصـور التاريخية؛ لأنهـا الآن سـمات شـبه منقرضـة كمـا أتصور، وأعتقد أن الكثير من المصريين يتفقون معي في هذا التصور، وستثبت الدراسة ذلك فيما يلي من فصول، بعد ذكر هذه السمات والسلبيات وهي:

– الودادة، والوداعة، والسماحة، والشفافية، والطيبة، ورقة الإحساس.

– التعاطف، ونزعة التوحد والتعاون وروح الفريـق (أين هي الآن؟).

- التوحيد والإيمان.
- روح التصوف والروحانية.
- النظافة " كانت عند المصريين عقيدة قبل أن تكـون سبيلاً للصحة" ( أين هي الآن ؟ ).
- التلقائية والفطرة.
- الرغبة في الاستشهاد والجهاد (استعذاب الألم).
- الاعتزاز والفخر بالماضي.
- الاعتزاز بالوطن والشغف بالبلاد.
- الجلد والإصرار (حينما يريد ذلك).
- نزعة التنظيم والتنسيق والتحديد (التنظيم الرئاسي).
- الظرف والصفاء.
- عدم التزمت.
- العطاء والوفاء والسخاء.
- طبع فنان (أهل مصر كانوا أصحاب فن وأهل ذوق وعشاق تطريب).
- دقة وتنوع في الفن.

- حس شاعر مرهف.
- حب المساواة ورفض الطبقية.
- عدم الاستخفاف والهدر (أين هو الآن؟!).
- الإحساس بالقيمة (أين هو الآن؟!).
- السلام وسكون النفس المصرية.
- القوة والجبروت (برغم رقته).
- الارتكاز والثبات والدوام.
- روح السخرية والفكاهة، وخفة الظل، والقدرة على التندر والتهكم.
- الشخصية المؤثرة.
- وقدة حس وذهن، تزيد الذكاء اللماح بريقًا وسحرا وبديهة حاضرة.
- المهارة والحيلة والذكاء (أي الفهلوة المصرية).
- مروءة وشهامة، وبارقة رحمة.
- التهويل مزاج مصري، والإفراط في المباهاة والتزيد في الحديث.
- المبالغة في التصرف ( المظاهر المكلفة).
- حكمة النصيحة.

- اصطناع الصبر والأناة والسكينة والهدوء في مقابلة الأحداث.
- المزاج المصري يرتاح إلى التكرار.
- إيمان بالغيبيات والكرامات (إيمـان مؤيـد بـالأدب الشعبي).
- الرغبة في تأكيد الذات.
- المصري متحضر ذات مستوى رفيع.
- الزعامة المصحوبة بقوة الإبداع والصلاحية للقيـادة (كما يبدو من بناية الهرم).
- الجرأة وإرادة التصميم وعزم التنفيذ.
- النضج النفسي نتيجة للبناء والاختراع والتفوق فيهما.
- نضج حضاري مستقر في النفس المصرية.
- الاستكانة والخضوع للغزاة!!.
- الانبهار بالغريب .
- معرفة بالأصول والعيب (قيم أخلاقية).
- التقوقع على الذات لإعادة صياغتها.
- الشخصية المصرية لا تستسلم أبـدا، مهمـا طـال الزمن، ولكن تكمن لتثب.

- الوحدة خـط عـريض مـن خطـوط الشخصـية المصرية.
- المصري لم يعش ترفًا حقيقيـا لـذلك لـم يضـعفه الترف (*).

وإذا كانت الدكتورة نعمات فؤاد قد رصدت خمسـين سـمة تراهـا الآن كسـمات إيجابيـة فـي الشخصـية المصرية، ناهيك عما رصدته لها عبر العصور القديمـة – الفرعونية والمسيحية والإسلامية – من سمات تؤكد أنها لـم تتلاش ولكنها تكمن جميعا في أعماق الشخصـية المصـرية المعاصرة، فالمصري عند نعمات فؤاد له موقـف وعطـاء طوال تاريخه، فهي ترى أن :

| | |
|---|---|
| خلاصـــة المصـــري القـــديم | حضـــــــــــــــارة |
| خلاصـــة المصـــري المســيحي | تجـــرد وشـــهادة |
| خلاصـــة المصـــري المســـلم | جهـــاد وخلـــوص |
| خلاصـــة المصـــري المعاصـــر | أسلوب تفكير تتوافـق فيـه الوسـيلة مـع الغاية. |

(*) راجع د . نعمات أحمد فؤاد ، شخصية مصر ، الهيئة المصرية العامة للكتاب .

وتختلف الأديان والعصور والمصري يجمع في كيانه هؤلاء جميعا [1].

ولذلك نجد د. نعمات فؤاد لا ترصـد للمصـري – الذي تراه قمة التحضر وخلاصة عدة حضارات وأديان – لا ترصد له من السلبيات إلا ما يتعلق بالسلوك وليس بالطبـاع الثابتة، وهي على أية حال أقل عددا قياسا بالإيجابيـات ... لا بل وتتناقض مع بعض مـا ذكرتـه أنـه إيجابيـات ... فالسلبيات كما تراها هي :

- فردية متضخمة مريضة.
- سلبية وتفريط.
- شخصية الخولي ( في مراكز السلطة).
- سوء فهم للتقدم والتخلف.
- تبعية فكرية.
- افتقار للوعي الديني.
- التواكل أو الاتكالية ( المشـيخة بمعنـى أن تعمـل القرية شيخًا وتصدقه).
- مفهوم خاطئ للولاية والأولياء.

---

(1) نفس المرجع السابق ص ٩١ .

- مرض الاسترخاء الفكري.
- كبت الحرية الفكرية.
- نفوس مبعثرة من الداخل.
- فخر إلى حد الطنطنة (أو تهوين بالنفس إلى حد فقدان الثقة).
- شكوى الزمان، والخوف من السرور.
- المصابرة والمراوغة.
- عدم الشعور بضمان الأيام والدهر وما يخبئه.
- نهم في الحياة الاقتصادية، والخلقية (الاستهلاك نتيجة لعدم ضمان بكره).
- الكسب بطريقة مشروعة أو غير مشروعة وبسرعة.
- عدم الثقة بأي نظام سياسي.
- الطابع الغيبي في التفكير.
- التخفي والاحتيال.
- الخوف.
- الرضا والتفويض والتسليم بقضاء ا .

- الحزن الشديد عند الموت (ممـــثلاً فـــي زيـــارة الأضرحة والرحمة والقرابين).
- التقليد إلى حد المسخ (فلم يعـد للمصـري أسـلوب خاص).
- عقدة الخواجة.
- إشاعة العبارات الدينية فـي الحـديث دون عمـل خيري فعلي.
- أمية العقل والشعور.
- القذارة.
- الفضول.
- افتقاد القيم الحقيقية.
- الافتقار إلى منهج (الارتجال).
- المداهنة والنفاق.
- التطرف في الحب والكراهية (وبالتـــالي فـــي المدح والذم).
- خلع الألقاب جزافًا.
- عبادة وتقديس السلطة ورفعها، والذل والاستكانة.
- عدم احترام العلم، وعدم الإيمان بالتخصص.

- الثرثرة.
- إضاعة الوقت. والفراغ والهدر.
- المظهرية والمبالغة والتهويل.
- الإنسان الصفر (ضياع الفرد) [*].

من كل ما سبق نستطيع أن نلحظ مدى التطابق بين الباحثين في رصد العديد من السمات، في حين ينفرد بعضهم بسمات لم يذكرها غيره، ولكل منهم حجته وأسانيده، لكن الذي لا شك فيه أن أبرز السمات هي التي اتفق عليها الجميع ولم يختلفوا فيها، وهي ما سنستخلصه في الختام، وإن كنت أضع من البداية بعض الفروض التي أتصور مبدئيا أن البحث والتحليل قد يؤكدها، فالإنسان المصري إنسان معجز بكل المقاييس، أبهر العالم القديم، وما زال يستطيع ذلك إذا أراد، لذا يجب على البشرية أن تسمع إذا تحدث الشعب المصري، فكما يقول د. يوسف إدريس إن من استطاع بناء الأهرام يستطيع أن يبدع أكثر وأدوم؛ فالمصري قادر على التوافق مع أي موقف. إذ أنه يضع برنامجا لنفسه كل دقيقة. لكن مشكلة الإدارة هي المعوق أمام إبداع

---

[*] راجع د. نعمات فؤاد، شخصية مصر، ص ٢٧٧ وما يليها.

المصري (*)، وأيا كان المعوق أمـام الإنسـان المصـري ليستعيد مجده ... فنحن بصدد دراسة هذه الشخصية الخصبة التي أتفق مع د. إدريس في أنها شخصـية غنيـة تـنعكس سماتها من خلال الأدب الشعبي والأمثال ... فلنتدارسها.

---

(*) حديث تليفزيوني مذاع .

# الفصل الثاني
# الأمثال الشعبية

تعبر الأمثـال الشـعبية كغيرهـا مـن المظـاهر الفولكلورية عن الفكر الشعبي، والاتجاه الشعبي حيال ظواهر وممارسات، تعتمد على طقوس وأساليب ومعتقدات شـعبية أو خرافية، تكشف الخبايا النفسية لكـل شـعب ... وهـي أيضا قوانين اجتماعية شبه ملزمة، تمس كل القيم والمعايير، ويخضـع لهـا الجميـع بصـ ـورة عامـ ـة، أيا كانـت طبقتهم. خاصة الطبقة الشعبية، بـ ـل وأغلبيـ ـة الطبقـ ـة المثقفة، وهذه القوانين لها قوة ونفوذ لدى الغالبية العظمى، أو السواد الأعظم من الشعب، وهـ ـي أحكـ ـام قاطعـ ـة وصريحة، رغم ما تعبر عنه أحيانًا من جمود أو تزمت، أو مفاهيم عفي عليها الزمان، إذا كانت تناسب العصـر الـذي أطلقت فيه وتتواءم معه تماما، في حين أن ما تطرحـه الآن قد لا يناسب الحاضر، أو قد يمثـل قيمـا سـلبية بـالمفهوم الحالي.

والمثل العامي لا يتناقض فقط مـع القـيم السـائدة أحيانًا، ولكنه أيضا يتبنى الكثير من الألفاظ والتعبيرات التي

ظهرت في فترات مختلفة، وهي أحيانًا ألفاظ مقتبسـة مـن لغات أخرى، حدث تقارب بين الشعب المصري، وشــعوب تتحدث هذه اللغات في فترات منصرمة، كما تعبر الأمثـال أحيانًـا عـن اتجاهـات كانـت وافـدة علـى المجتمـع المصري، ومتأثرة بظروف معينة، أو حوادث بعينها، مشتملة على ألفاظ لم تعد نتداولها الآن، أو حوادث لسنا ملمين بهـا الآن جميعا، لكن منطوق المثل المعبر عن هذه الحوادث قـد وصل إلينا – وإن لم يصل الحدث نفسه – لكنا نـردد هـذه الأمثال، دون وعي كامل بمعناها ومراميها، إذ أنها صـارت مثلاً يضرب في موقف معين نلتزم بترديـده فيـه ... وإن كانت الغالبية العظمى من هذه الأمثال انقرضت، أو كــادت وهي موجودة فقط في كتب التراث لكنها غير متداولة علـى ألسنة العامة الآن.

ولذلك سأحرص في هذا البحث على تحليل مضمون الأمثال، التي ما زالت متداولة، ومعروفة للغالبية العظمى من الشعب المصري بفئاته المختلفة، واستبعد لفظًا أو معنى عن حدث تاريخي غير معروف، ذلك أن المصري رغم ما يتمتع به من ذاكرة حافظة لتراثه وتاريخه، وتمسكه بهذا الموروث

العظيم ... إلا أن الأمثال الشعبية – ككل شيء – يصـيبها تقادم الزمن، بنوع من الانقراض أو التناسي ؛ أرى أن سبب اختلاف ما تطرحه مـن قـيم قديمـة مـع القـيم السـائدة حاليا، وأيضا اختلاف ما يتضمنه لفظًا عن المفردات الشعبية المستخدمة حاليا، ناهيك عن تميز بعـض الأمثـال العاميـة بـالفحش معنـى ولفظـًا ممـا جعـل البـاحثين فـي التراث، والحريصين على تدوينه يستبعدون الأمثال المتضمنة لألفاظ بذيئة، فيتجاهلونها تماما أو يشيرون إليها دون ذكـر اللفظ المستهجن، ولعل أبرز مثال على ذلك كتاب المستشرق السويسري " جون لويس بوركهارت" الـذي اعتمـد علـى مخطوط شرف الدين الأسدي [*] عن الأمثـال الشـعبية – والذي عثر عليه في مكتبة إسماعيل تيمور باشا، والد أحمـد تيمور باشا، محقق كتاب الأمثال العامية – الذي اعتمد أيضا على هذا المخطوط ولم يقم بتجميع الأمثـال بنفسـه – فقـد استبعد تيمور باشا الغث والبذيء معنى ولفظًا ... في حـين أشار إليها المحقق السويسري ... ربما لأنه لم يستشعر قـبح

---

[*] ولد عام ٦٧٠ ومات ٧٣٨ هـ

استخدام اللفظ العامي المعبر عن الأعضـاء الجنسـية، وإن أشار إليها في الحشايا معنى وليس لفظًا.

وقد أثار إطلاعي على كتب الأمثـال القـديم منهـا والحديث رغبتي في إجراء تجربـة بسـيطة لقيـاس نسـبة انقراض الأمثال من عصر إلى عصر قياسا على ما ورد في كتاب "جون لويس بوركهارت" الذي شرح وترجم ٧٨٢ مثلاً شعبيا وطبعها في كتاب عام ١٨٣٠ م (**)، فوجـــدت أن المتبقي أو المتداول حتى الآن من هذا العدد هو ١٨٩ فقـط أي بنسبة ٢٤,١٧ % تقريبا، أي أن ما يقرب من الربع فقط الذي بقي متداولاً تداولاً شعبيا، في حين اندثرت ثلاثة أرباع الأمثال التي كانت متداولة حتى عام ١٨٣٠ م، أي خـــلال حوالي قرن ونصف قرن من الزمان.

وقد حاولت الشيء نفسه مع كتاب الأمثـال العاميـة لأحمد تيمور باشا، ويضم ٣١٨٨ مثلاً، فوجدت أن معظمها كاد ينقرض، خاصة ما يضم منها لفظًا أو معنى متداولاً في مفرادتنا العامية، أو استعيض عنه بتبسيط له، ... خاصــة

---

(**) راجع تحقيق هذا الكتاب في اللغة العربية للدكتور إبـراهيم أحمـد شـعلان ، " العادات والتقاليد المصرية من الأمثال الشعبية في عهد محمد علي " .

الأمثال ذات المتن الطويل ... اختصرت فصار المتداول منها الجزء الذي يمثل الخلاصة، وليس كل المثل المسجوع ... كما سيتضح ذلك فيما يلي من صفحات، وذلك ما عبرت أيضا الدكتورة فاطمة المصري من أن تداول الفنون الشعبية بوجه عام – الموال والنكتة والمثل، والسيرة، والأغنية الشعبية – وانتشارها بين العامة وكثرة ترديدهم لها جعلها ملكًا للشعب وكأنما هي نتاج مشترك بين كل أفراد الشعب ينالها التحرير والتهذيب من جيل إلى جيل. وفقًا للاتجاهات العامة في كل زمان [1] وهي تشير أيضا إلى وجود أمثال حية من القرن التاسع الهجري، وردت في كتاب الأبشيهي (المستطرف في كل فن مستظرف) وما زالت هذه الأمثال تتفق في كثير من ألفاظها مع ما ينطق به رجل الشارع اليوم، كما أن مفاهيمها ما زالت تعيش بيننا، وما زلنا نجد لها مكانًا في حياتنا، ويقول:

ولا شك أن هذه الأمثال كانت موجودة تتردد قبل الأبشيهي أي قبل القرن التاسع الهجري، وإنها بقيت على حالتها يرويها الشعب جيلاً بعد جيل، ويأخذها الصغير عن

---

(1) د . فاطمة المصري ، الشخصية المصرية ، ص ١٠٤ .

الكبير بدون تغيير يذكر، لا لشيء إلا لأنهـا تمثـل الحيـاة المصرية بالرغم مما أصاب حياتنا من تغيير وتطور. وهـذا يدل من ناحية أخرى على أن مصر تتمتع بميزة المحافظـة وحب الجديد في الوقت نفسه، فهي تحب الاحتفاظ بشخصيتها وبتقاليدها ... وهذه الأمثلة هي :

- البلاش كتر منه.
- بعد ما شاب ودوه الكتاب.
- بفلوسك بنت السلطان عروسك.
- آخد ابن عمي واتغطى بكمي.
- البهيم من ودنه وبني آدم من لسانه.
- آخر خدمة الغز علقه[١].

ومع ذلك فأنا أقول بانقراض الأغلبية العظمى التـي تربو على النصف، أو الثلاثة أرباع؛ نتيجـ ـ ـة لتغيـ ـ ـر الظروف، وتغير المفردات العاميـة وطبيعـة العصـر ... وكنموذج لذلك الأمثال المتعلقة بالشهور القبطية، التي كادت تندثر، خاصة في المدن، حيث لا نكاد نعمل بها، أو نعــرف ترتيبها ، فيما عدا طوبة وأمشير لتميز الجو فيهما بالبرد في

---

([1]) المرجع السابق . ص ١٠٥ – ١٠٦ .

طوبة والزعابيب في أمشير ... لكن الفلاح المصـري – أو ما تبقى منه – ما زال يعمل بها ويعرفها، وربمـا يحفـظ الأمثال المتعلقة بها، وذلك ما يحدوني للقول بضرورة تدوين الأمثال الشعبية كل نصف قرن على الأقل؛ لحفظها كتـراث قبل أن تنقرض.

ويقودنا الحديث إلى تاريخ تدوين الأمثـال الشـعبية والعناية بحفظها مكتوبة، بدلاً من اندثارها عبر العصور ... نتيجة للحفظ الشفهي الذي يهمل ما لا يناسبه، ويحتفظ فقـط بما يوائم متطلبات كل عصر، وهو ما يحدثنا عنـه محمـد إبراهيم أبو سنة في كتابه فلسفة المثل الشعبي إذ يقول بأن :

أول مدون للأمثال العامية المصرية ربما لا يكـون أقدم من مدون شهاب الدين محمد بـن أحمـد أبـي لفـتح الأبشيهي المحلي ( ٧٩٠ هـ – ٨٥٠ هـ ) (*) في كتابـه المستطرف في كل فن مستظرف، وقد جمع في هذا الكتـاب ما يقرب من ثلاثمائة مثل بعضها ما زلنا نتناوله إلى الآن مع بعض التغيير مثل ما جاء في المستطرف نوايه تسند الجـرة

---

(*) أرى أن مخطوط شرف الدين الأسدي المصري أقدم حيث عاش في الفترة من ٦٧٠ هـ – ٧٣٨ هـ ).

قال وتسند الزير الكبير، ونحن نقول النوايـه تسـند الزيـر فقط [١].

كما يشير أبو سنة إلى أن الشائع مـن أمثـال ذلـك العصر يعكس الأخلاق التركيـة ... كمـا أنهـا محتشـدة بالملاحظات أو التلميحات الجنسية، التي كانـت بـلا شـك مظهرا من مظاهر الانحطاط في العصر التركي ... وهو ما أشرت إليه سلفًا في الحديث عما رصده شرف الدين الأسدي المصري، وحققه الرحالة السويسري بوركهـارت ... فـي كتاب ترجمه وحققه د. إبــراهيم أحمــد شــعلان تحــت عنوان : " العادات والتقاليد المصرية من الأمثال الشعبية في عهد محمد علي " وهو أول من اهتم بمخطوطـات الأسـدي التي أهملت جميعها لاتسامها بـالمجون ... فـالمعروف أن شرف الدين الأسدي ولد في عصر الظاهر بيبرس، وكان – كما يشير الدكتور عبد الحميد يونس أسـتاذ الأدب الشـعبي بجامعة القاهرة في تقديمه لكتاب " الأدب العامي في مصـر في العصر المملوكي" – ماجنــا مــن الأدبــاء الشــعبيين المتحامقين، وأن السلطان الظاهر بيبرس حاول الوقوف أمام

---

(1) محمد إبراهيم أبو سنة، فلسفة المثل الشعبي ص٦.

تيار المجون آنذاك، إذ كانت البيئة المصرية قد أثقلتها هموم الحرب إبان حكم المماليك، فنفست عـن نفسـها بالفكاهـة والخلاعة والمجون... وقد أبدع الأدباء الشعبيون – بـرغم عدم العناية بنتاجهم – آنذاك، إذ كان العهـد يمـوج أيضـا بالاتجاهات الصوفية في القرن السابع الهجري.

كما يقول أحمد صادق الجمال فـي كتـاب " الأدب العامي في مصر": إن شرف الدين بن أسد المصري كما جاء في " فوات الوفيات" كان شيخًا ماجنًا متهتكًا ظريفًا خلعا ... له مصنفات عديدة في النوادر والأمثال والأزجال كما يقـول بأنه – أي شرف الدين– كان له نفـس سـمات الشخصـية المصرية وملامحها وهي:

- الفكاهة الحلوة – التريقة كما يسـميها العامـة فـي مصر.
- تقبل الشدة بتحمل كبيـر للأزمـات بمـرح وخفـة روح.
- يحب الضحك والمزاح ... ويسـخر مـن الرزايـا ومن نفسه أيضا.

- يسلي نفسه ويعزيها ويتأسى بـالمرح الـذي يشـبه الخلاعة، رغم أنه من شدة الألم، وكـأن فـي ذلـك عزاء وسلوى [١] .

وعوضا عن الاسترسال في التأريخ لتدوين الأمثـال الشعبية، يكفينا أن نقول : إنها دائما وستظل أبدا تعبر عـن مكنـون الشخصـية المصـرية بكـل تناقضـاتها عبـر العصور، وستظل ممتدة – رغم اندثار بعضها أو معظمها – ستظل تصل إلينا بعض الأمثال التي يمتد تاريخها إلى ما قبل القرن التاسع الهجري، بل وأيضا إلى العصور الفرعونية، وتشير إلى ذلك عدة مراجع يقول أحدها أن بعض المصريين القدماء أمثال ( بتاح حتب ) قد جاء بحكم وأمثال شبيهة أشد الشبه بما يردده الناس حتى وقتنا الحاضر ... ممـا يـدعم الاعتقاد بأن تلك القوانين الخالدة تعتبر خلقًا عامـا للجماعـة يجب الحفاظ عليه [٢].

وتؤكد دكتورة فاطمة المصري أنها عندما درسـت موضوع الأمثال وفقا للمنهج التاريخي عجبت إذ تبينـت: أن

---

([1]) المرجع المشار إليه ، ص ١٨٢ ، ١٨٤ .

([2]) المرجع السابق، ص ١٣ .

كثيرا من تلك الأمثال قد نطق به حكماء الفراعنة أمثال أمحتب وجاءت على ألسنة آلهتهم وكهنتهم. (١)

وتؤكد ذلك أيضا دكتورة نعمات فؤاد إذ تشير إلى أن من حكم أمينموبي ( لا تقولن لا أحمل خطيئة فليس بين يدي ا إنسان كامل) (٢) وهو نفس المعنى الذي يلخصه المثل الشعبي " الكمال وحده "، أو " الحلو ما يكملش" ... وغير ذلك كثير مما سنتعرض له فيما بعد.

هذا ولا بد قبل الدخول إلى تحليل مضمون الأمثال العامية، والكنايات العامية أيضا، التي قد لا ترقى إلى مستوى المثل، الذي يشكل حكمة بليغة، بل وخلاصة الحكمة، لابد من تعريف كل منها، فالكنايات العامية التي سأحاول أن أجمعها، وأحلل مضمونها ستجعلنا نقف على مدى بلاغة المصري في التشبيه وفي الكناية، فتعبير بسيط بلهجته العامية قد يغني عن مقال طويل مسهب، بل هو عبارة تمثل خلاصة القول، ودقة التشبيه، وعميق الكناية، لذلك قبل الدخول إلى مرحلة التحليل، لابد من وضع تعريفات إجرائية

---

(1) المرجع السابق، ص ١٣ .

(2) نعمات فؤاد، شخصية مصر، ص٤٩.

لما هو : المثل العامي، وما هو التعبير الشعبي، ومـا هـي الكنايات العامية البليغة التي يجب أن ترصد، وتحلل وتقـوم مضامينها، أسوة بالأمثال، فإذا رجعنا إلى التعريفات الغربية للأمثال، سنجد أن " آرثر تايلور " قد عرف المثل بقوله:

المثل أسلوب تعليمي ذائع بالطريقة التقليدية، يوحي في أغلب الأحيان بعمل، أو يصدر حكما على وضع من الأوضاع [١]، ويحدد هذا الباحث الغربي أركان وملامـح المثـل الشـعبي بأنه يتميـ ـز بالاختصـ ـار، والتنغيـ ـم، والمجازية فـي الأسلوب، والواقعية في صورة البلاغية.

أما فريدريك زيلر فقد حدد خصائص المثل الشـعبي في إطار تعريفه للأمثال الألمانية عام ١٩٢٢ بأنهـا أوجـز الأشكال الأدبية وحددها في نقاط أربع هي :

١ – ذو طابع شعبي.

٢ – ذو طابع تعليمي.

٣ – ذو شكل أدبي متكامل.

---

(1) راجع أحمد رشدي صالح ، الأدب الشعبي .

٤ – يسمو عن الكلام المألوف رغـم أنـه يعـيش فـي أفواه الشعب [١].

وتضيف إلى هذه الخصائص د. فاطمـة المصـري ثلاث خصائص أخرى هي :

١ – أنه خلاصة لتجارب الإنسان ومحصلة لخبرته.

٢ – يتمثل فيه جمال الأسلوب من إيجاز وبلاغة.

٣ – يوجه إلى فكرة صحيحة أو تجربة صادقة [٢].

أما إبراهيم أبو سنة فقد وضع تعريفات عدة للأمثال الشعبية، خلال تناوله لفلسفة المثل الشعبي، فهو يراه – كأي مظهر من مظاهر الفكر الشعبي " موقـف صـادق يختـزن وجهة نظر ... قد لا تكـون فـي الامتـداد الأيـديولوجي السليم، ولكنهـا تحمـل غبـار التجـارب الاجتماعيـة المادية، والمثل كتعبير يصوغ الموقف المادي بـلا وسـاطة نظرية " [٣]، والمثـل عنـده هـو " تـاريخ وفلسـفة هـذا الشـعب " [٤]، وهـو أيضـا " حكمـة شـعبنا وفهمـه

---

([1]) راجع د . فاطمة المصري ، الشخصية المصرية ، ص ١٠٣ .

([2]) المرجع السابق ، نفس الصفحة .

([3]) إبراهيم أبو سنة ، فلسفة المثل ، ص ١٠ .

([4]) المرجع السابق ، ص ١٢ .

للحياة " [١]، وهو " حقنة مورفين حالمة" [٢]، ذلك لأنه طافح بالمعاني المواسية والمثبطة والتواكلية، وهو يكـاد " يكـون موعظة شعبية وقورة" [٣]، وهو أخيـرا " فلسـفة شـامخة تتصايح في جوانبها آلام القرون وحكمة الهزيمة " [٤].

وإذا استرسلنا في محـاولات التعـرف علـى آراء الباحثين الغربيين، وأيضا العرب فلن ننتهي، لكنـــي مـــن خلاصة كل ما قرأته عن الأمثال الشعبية – عربية كانـت أم أجنبية – أستطيع استخلاص عدد غير قليل من الخصائص، والصفات، والمميزات، التي يتميز بها المثل الشعبي، والتــي جعلتني بحق أعتبره أصدق، وأقرب، المــأثورات التراثيــة الشعبية تعبيرا عن سمات الشخصـية المصـرية، بإيجـاز معجز، وبصدق معبر، وهو الطريق الأمثل لقياس عوامـل الثبات والتغير في المجتمع المصري، عبر سـنوات تقدمـه وتطوره، وطرحه لقيم معينة جانبا، وتمسكه بقيم أخرى، عبر الأزمان والحقب، كما أنه من خلال دراسة الأمثال – كتراث

---

(1) المرجع السابق ، ص ٢٧ .

(2) المرجع السابق ، ص ١٥ .

(3) المرجع السابق ، ص ١٨ .

(4) المرجع السابق ، ص ٢٣ .

يتميز بالعراقة – يمكننـا التعـرف علـى الحيـاة الفكريـة والروحية، والاجتماعية لأجدادنا، ومعرفة عاداتهم وتقاليدهم ومعتقداتهم، ما كان سائدا منها وما لا يزال، ومـا تلاشـى واندثر مع الأيام، ومن خصائص المثل الشعبي التي توصلت إليها من كل ما قرأت :

- سهولة الحفظ والتداول والشيوع.
- الصراحة والواقعية.
- الشعبية أو العمومية والقرب مـن عامـة النـاس، ومخاطبة وجدانهم.
- العراقة والقدم.
- التعبير بصدق عن الحيـاة فـي وجهيهـا المثـالي الجاد والهزلي المستهتر.
- معالجة المواقف – على اختلاف – كل وفقًـا لمـا تتطلبه.
- البلاغة والدقة في التشبيه والتكنية لغويا.
- الثراء اللغوي، والقدرة على الاشـتقاق مـن لغـات أخرى.

- استخدام السـجع والتنعـيم – ممـا يسـاعد علـى سهولة حفظه.
- الإيجاز السهل الممتع أو الاختصار المحكم.
- المباشرة والجرأة في تناول الأمور بوضوح.
- تلخيص التجربة والخروج بحكمتها وفلسفتها.
- النضج الفني في استخدام الرمز الموحي.
- القدرة على تبني وجهتي نظر متباينتين.
- القدرة على البقـاء خـارج الخصـائص الزمنيـة للأحداث.
- الفهم الـواعي لكـل العلاقـات الاجتماعيـة مـن وجهات نظر مختلفة.
- التفلسف العميق المتسم بالبساطة والتلقائية.
- القدرة علـى رسـم الواقـع الفعلـي دون محاولـة الارتقاء عليه أو تزييفه أو تزيينه.
- التعبيــر عــن كــل فئــات الشــعب علــى اختلافها، وتمثيلهم جميعا.
- الاحتفـاظ بـروح إيمانيـة عاليـة تعـين علـى الاستمرار والتحمل.

- القدرة على البقاء والديمومة.
- القدرة على التـأثير فـي الـنفس والحـث علـى الانفعال والفعل.
- قوة الإلزام التلقائي غير القسـري التـي لا يمكـن تجاهلها.
- القدرة على التعليم، وتأكيد القيم، والنصح، وتوجيـــه السلوك.
- فالمثل أرقى من أي كلام عامي رغـم أن مفرداتـه كلها عامية.

وبعد، فالأمثال الشـعبية أيـا كانـت تعريفاتهـا أو خصائصها ومميزاتها، فهي بلا شك ثـروة شـعبية تمثـل دستورا للحياة بكل جوانبها، وهي تؤثر فـي هـذه الحيـاة وتنظيمها بقدر ما تعكسها، وتعكس ما هو سـائد فيهـا مـن عادات وتقاليد ومفاهيم، وما يتصف به صاحب هذه التقاليـد من سمات شخصية، ولعل ذلك ما جعلني أومن بأنـه الأداة المثلى للتعرف على سمات الشخصية. وقبل الـدخول فـي الدراسة والتحليل لابد من الإشارة إلى أن المثل الشعبي يفوق غيره من الفنون الشعبية الأخرى في أمر مهم، إذ لا يتطلب

انتشاره أداة أو واسطة، فهو لا ينتشر عن طريق نص مكتوب أو مكان محدد أو زمان بعينه، أو موسيقى ... أو وسيلة أو واسطة اتصال غير اللسان والأذن ... فهو يتردد في كل مكان وزمان ... وعلى كل الألسنة، وتسمعه كل الآذان، دون وسيط، ومع ذلك فالمثل قد أصبح جزءا متضمنًا وداخلاً وفاعلاً في معظم الفنون الشعبية الأخرى، ومساهما فيها ومضيفًا إليها ... فالموال والملحمة والأسطورة – بل وحتى الحدوتة – لا تخلو من مثل شعبي يتردد على ألسنة أبطالها أو مردديها، كما أنه في العصر الحديث ... لا يخلو حوار درامي في أي من وسائل الإعلام من إذاعة وتليفزيون ومسرح وسينما ... من مثل شعبي أو عدة أمثال ... بل وحتى الكتابات القصصية والروائية والصحفية لا تخلو منه، كما سبقت الإشارة إلى ذلك؛ ولذا اعتمدته وسيلة لدراسة الشخصية المصرية.

# الفصل الثالث

# الدراسة التطبيقية

## سمات الشخصية من الأمثال العامية

لعل كل ما ورد في الفصلين السابقين عـن سـمات الشخصية المصرية، وتعريف بالأمثال الشعبية وخصائصـها يصلح أن يكون مقدمة نظرية تمهد لفهم المرتكـزات التـي ستبنى عليها الدراسة التطبيقية للأمثال العامية، بهـ ـ ـ ـدف التعرف على أبرز سمات الشخصية المصرية، التي وضحت من مضمون الأمثال الشعبية، وعكسـت القـيم والمعتقـدات المصرية، التي وضحت من مضمون الأمثال الشعبية،

وعكست القيم والمعتقدات المصرية، بل وأخلاقيات المصري وسلوكه في كل المواقف اليومية، وتصـرفه فـي مواجهـة المشاكل، والحلول التي يقترحها أو يمارسها حيال ما يجابهه من معضلات، فيما يتعلق بذاته وعلاقته بنفسه، أو علاقتـ ـه بالآخرين، أيا كانت طبيعة هذه العلاقات ومـدى توثقهـا أو قربها منه، وسواء كانت أمورا تتعلق بالمجتمع المحـيط بـه كعلاقات قربى أو نسب أو صداقة أو جوار، أو علاقـ ـات تتعلق بمشاكله النفسية، وما يعانيه من قلق أو توتر، أو قهـر

أو ظلم، أو خوف، وكيف يجابه كل هذه العلاقات سواء مـع الغير، بالمحبة أو العداء أو التعاون والمشاركة، أو النـزاع والشجار، وأيضا كيف يجابه مشاكله النفسـية بـالانطواء أو التحمل والصبر، أو الاستعلاء على المشاكل، والسخرية منها أو التفكه عليها ... كما سنتعرض لسلوك المصـري حيـال حياته كلها، وما فيها من قدر غير محـدود مـن الإحبـاط والخذلان من الغير، أو من قدره ونصيبه من الدنيا، ومظاهر هذا السلوك المنتمي إلى الخير أو الشر، الصدق أو الكذب، الصراحة، أو النفاق والمراء، والخداع، الأثرة والوفاء، الحذر والخوف، والتستر والخجل، وتحمـل المسـئولية أو الاتكالية والتواكل والكسل، ناهيك عما سـنتعرض لـه مـن مجالات كانت مضربا للأمثال المصرية، عبرت بـأبلغ مـا يكون التعبير عنها وهي تلخص مفهـوم المصـري للحيـاة وتقلبها، والموت كمصير حتمي، والمعـاملات الاجتماعيـة والاقتصادية، وسنرى كيف لم يترك المثل الشعبي شاردة أو واردة لم يلخصها في مثل بليغ، لا يضم بالضرورة حكمة ما أو خلاصة تجربة لكنه يكون أحيانًا مجرد سخرية أو فكاهة، تلخص وجهة نظر المصري في هذا الأمر أو ذاك، وهـو

بذلك يوجه سلوك الأفراد دون تلقين مباشر، ويصل بالفعـل إلى هدفه ومرماه بدقة لا تبارى، وبأفضل من مائة نصـيحة أو توجيه مباشر.

هذا وسوف نسير في عـرض وتحليـل كـل تلـك الموضوعات التي طرحتها الأمثال الشعبية المصرية، وفقًــا لما يقتضيه المنطق تعبيرا عن الذات المصرية، ورؤيـ ـ ــة المصري لبلاده ولذاته، وننطلق من هذه الذاتية بكل معالمهـا إلى العلاقات، فالسلوكيات ... فالرؤيـ ـ ــة المصـ ـ ــرية للقيم، والعموميات المطلقة. ولذا نبدأ بمـا ذكرتـه الأمثـال الشعبية عن مصر والمصريين وهو ما سنطلق عليه تسمية:

## مصريات

المصري يعتز كثيرا ببلاده ... ولذلك لم يكن يرحب بالسفر أو الهجرة حتى وقت قريب، بل لعل ما نراه الآن من هجمة شديدة على السفر للعمل في الخارج أو الهجرة، مرده إلى الظروف الاقتصادية الضاغطة على الأغلبية العظمى من المصريين، خاصة قطاع الشباب الذي تحول ظروفه المادية دون الأمل أو الحلم – ولا نقول تحقيق الحلم ... أو مجـرد الخطو نحو تحقيقه – بالإضافة إلى الإحبـاط الـذي تعانيـه

الأغلبية أيضا، نتيجة لما ألم بالمجتمع المصري حاليا أكثـر من ذي قبل من تفشي المحسوبية والوساطة والرشوة ... ولا تقول أنها سلبيات جديدة بل هي قديمة ... كانت كامنة، أو غير محسوسة بهذا الشكل الفج، ولم يكن من يمارسها يجرؤ على أن يجاهر بها بهذه القحة.

ولعل أهم ما جعل الناس تشعر بالإحباط في مجابهة هذه الآفات هو الكثرة العددية التي قللت من فرص الناس في الحصول على عمل، أو في إيجاد فرصة ترق، أو تقدم، أو ظهور في أي مجال، فالقمة أصبحت مزدحمة بشكل لا يتيح فرصة لأنصاف الموهوبين، ولا حتى للموهـوبين الـذين لا يملكون السند، الذي يدعمهم، ويأخذ بيدهم ويقدمهم ... ولسنا هنا بصدد تقويم أسباب ترحيـب المصـريين الآن بالسـفر والسعي له ... ولكن نريد فقط التأكيد على أن المصري في الأصل كان حريصا على ألا يترك مصر لأي سبب، بل لـم تكن تخطر بباله أصلاً فكرة السفر ... وحتى من تضطرهم الظروف الآن للسفر والغربة، يتأكــد الملاحــظ لحــديثهم ولسلوكهم أنهم يعيشون في الغربة ومصر بداخلهم.. يدخرون لينفقوا فيها، ويعملون بدأب على أمل العـودة والاسـتقرار

والاســتمتاع فــي مصــر ... والبنــاء فــي مصر، والخيلاء بما يملكون على أرض مصر ... فالمصري في الغربة يعد طول العام ليوم بعثه ... يـوم يعـود إلـى وطنه... فالجديد يحتفظ به ليرتديه في مصر ... والجميـل يحمله إليها ... ويمارس شهوة الاقتناء الفرعونية المتأصـلة في أعماقه، انتظارا ليوم يبعث من جديد في أرض مصر ... وهو يعتبر حياته خارجها مرحلــة انتقاليــة، وليســت استقرارا. وهو في أحاديثه يتفكه على أهل البلاد التي يسافر إليها، ويسخر منهم، ويستعلى بذاته – ولو بطرف خفـي – على كل ما يمارسونه ... فهو يدرك قيمته ومعدنه، ويعتبــر احتياجه إليهم انقلابا في الأحوال غير منطقي ... والحـديث يطول إذا ما استرسلنا في تفصيل مشاعر، وتصــرفات المصري بعيدا عن مصر ... وهو ما سنتحدث عنه في إطار تناول موضوع كراهة المصري للغربة، وحبه للاستقرار ... لكنا نذكره هنا ... ليكون مدخلاً للحديث عن رؤية المصري لمصر، كما وضحت في أمثاله الشعبية التي تقول:

- مصر أم الدنيا.
- مصر المحروسة.

- عمار يا مصر.
- عظيمة يا مصر.
- اللي بنى مصر كان في الأصل حلواني.
- والذوق مخرجش من مصر (الذوق ما فتش باب النصر)
- مصر أم الذوق.

فالمصري في الأصل معتز ببلاده، وبمصريته، فهو يراها أحلى وأغلى بلاد الدنيا، وأعظمها، وهي عامرة، ومحروسة دائما، وأن أهلها يتميزون على من عداهم بالذوق، الذي لم يخرج منها إلى غيرها.

ويعبر المصري أحيانًا عن رؤيته لغيره من الشعوب... بل ولأقرب الشعوب إليه بسخريته المعهودة قائلاً:

- العرب جرب.
- كله عند العرب صابون.

ومع ذلك فالمصري بروحه الفكهة التي تسخر من الآخرين لا يتوانى عن نقد ذاته بقسوة سواء بوصفه لكل الشعب المصري بأنه " تجمعهم بطبلة، وتفرقهم

بزقلة" أو " شعب بزرميط" أو لتقسيمه لكل فئـة أو جماعـة والسخرية منهم على حدة، ولعل أشهر أمثاله وأقواله في هذا الصدد ما يطلقه على أهل كل محافظة مـن أمثـال نـورد كنموذج لها:

- المنوفي لا يلوفي ولو أكلته لحم الكتوفي.
- إذا أخذت من الحمار صوف تأخـذ مـن المنـوفي المعروف.
-ماية مالحة ووشوش كالحة ( كوصـف لسـكان الساحل).
- جوز ابنك لدمياطية، ولا تجـوز بنتـك لـدمياطي (لشهرتهم بالحرص).
- يا مريحة العازب يا منصورة.
- إسكندرية مارية.
- ما حوالين الصعايدة فايدة.
- كل شيء ييجي مـن الصـعيد مـايح إلا رجالهـا والريح ( لشدتهم ).
- شرقاوي كريم وعبيط.

ذلك عن رؤية المصري لبلاده، ولشعبه كلاً وجزءا، ولمن يحيطون به... فماذا عن سماته وخصاله الحقيقية التي عبر عنها في أمثاله؟

الأمثال كثيرة، وعبرت عن آلاف السمات، ولكنـــا سنتتبع أبرز السمات وهي التي لا خلاف عليها البتـة بـين جميع الباحثين وهي بداية:

## الفكاهة والسخرية

حب المصري للفكاهة، وخفة روحه أمر لا خـلاف عليه، وهما دافعه للسخرية اللاذعة والتهكم حتى في ساعات الجد والألم ... فهو يسخر من نفسه، ومما يصيبه، وكأنـــه يستعلي على المحن، بأسلوب يبدو للعامـة وكأنـه وسـيلة إضحاك، وإن انطوى على تلمحيات لاذعة، تسخر من الحياة ومن سلوك المجتمع، وتنتقده بشدة، قد تصل إلى حد الفحـش أحيانًا، بهدف التأثير في النفس بعنف، وكأنها دعوة للـرفض والتعبير، وبالطبع يسخر المصري من ذاته أيضا فيما يسميه نقاد الفنون والآداب الشـعبية " بالتحـامق " (*) بأسـلوب المضحك المبكي، وذلك ما جعل الدكتور محمد كامل حسين

---

(*) راجع أحمد صادق الجمال، الأدب العامي في مصر، ص ٨٣ : ٨٥ .

يعلل ظهور الخلاعة والمجون في أقسى فترات المعاناة المصرية من العنت والقهر، في حين لجأ بعضهم إلى الاتكال على ا والزهد في الحياة الذي يصل إلى حد التصوف، مما سهل على الصوفية نشر مبادئهم. ومع ذلك كله لم يترك المصريون لهوهم ومجونهم وهم في هذا الضيق الشديد وهذا شأنهم دائما في كل أزمة تقابلهم لا يجدون متنفسا لهم من الهم والكرب إلا بالمجون والفكاهة [١]، ولعل فترات القهر والبطش التي عانى منها الشعب المصري. هي التي أنتج فيها معظم تراثه الشعبي، وخاصة الأمثال الشعبية التي عبرت عن مشاعره أصدق تعبير، على لسانه أو على لسان بعض الشخصيات التي يصطنعها، أو هي موجودة بالفعل ويصنع على لسانها ما يريد قوله كشخصية " جحا " أو " أبو نواس" كتعبير عن الظرف والتفكه – أو حتى التهريج – ولعل لجوء المصري إلى هذه الحيلة لوضع ما يريد قوله على لسان شخصيات تراثية أو تاريخية، يعد شكلاً من أشكال الحذر والخوف، إذ إن إطلاق الحكمة الشعبية أو المثل الشعبي على لسان هذه الشخصيات قد أكسبها قوة ... مع

---

([1]) دكتور محمد كامل حسين ، دراسات في الشعر ، ص ١٥٣ .

تجهيل لقائلها الحقيقي زيادة في الحرص، ولعل هذا التجهيل هو ما أعطى المثل الشعبي الفرصة للتعبير بحرية وصراحة لا تتوافر لغيره من الفنون المعروفة المؤلف ... أو الفلسفات الكلاسيكية التي تنسب لواضعيها ...

وتقول الدكتورة نعمات فؤاد: إن البشر من أسـرار الشخصـــية المصــرية فهــو يغســل بحــرا مــن الهموم، وإن الشعب المصري يطـرب ويضـحك ويتفكـه فيحسبه الجاهل به سهلاً وهو صعب (*)، وأتفق معها فـي ذلك، لأن المصري البسيط الذي قد يتبادر للذهن أنـه غيـر عابئ بصروف الحياة ... يضحك منها ويتفكه عليها، نجد ما يصدر عنه من سخرية في أمثاله – بل وفـي شـتى فنونـه الشعبية – مليئًا بالشجن والحزن ... حتى لنشعر وكأن لسان حاله يقول : " شر البلية ما يضحك"، وهــو بالفعــل يلجــأ للسخرية والفكاهة هربا من البكاء، وانتصــــارا علــــى البلاء، واستعلاء على الألم، فالمصري يتفكـه فـي أسـوأ الأحوال، ولعل أقرب مثل من التـاريخ المعاصـر للتفكـه المصري على المصائب ... ما خرج من الجعبة المصـرية

(*) راجع نعمات أحمد فؤاد، شخصية مصر.

من نكات في الفترة التي أعقبت نكسة يونيو ١٩٦٧م، ففـــي هذه الفترة بالذات، نشطت البديهة المصرية، لاســـ ـــتخراج النكات اللاذعة، كما كان التحامق على أشده في مصر، فترة حكم المماليك بكل ما فيها من قهر، وقسر، وطغيان.

هذا ويتفق الجميع على أن الشعب المصري ســاخر بطبعه، وبحكم ظروفه، والمصـــري لا يســخر فقــط فــي أمثاله... ولكن له أسلوبا آخر أشد قسوة هو النكات ... ولعل أبرزها النكات السياسية التي يسخر فيها المصري أحيانًا من نفسه، ويشير عادل حمودة في كتابه " النكات السياسية " إلى إصرار صلاح حافظ على أننا نسخر من أي شيء ومن كـل شيء بغض النظر عن علاقتنا به، بل إننا لا نتردد أحيانًا في السخرية من أنفسنا... قائلاً : اشمعنى هيه لا. لكنه يستدرك فيقول : وإذا كنا سخرنا من أنفسنا فليس معنــى ذلــك أننــا مختلفون معها ... أو أننا نكرهها [1] هذا ويرى عادل حمودة أننا شعب ( ابن نكتة ) والسخرية تحتل ثلاثة أرباع مزاجنــا القومي [2].

---

(1) عادل حمودة، النكتة السياسية، ص ١٦٢.

(2) النكتة السياسية ، ص ١٥ .

ولعل النكتة الآن هي التي تحتل الصدارة في مجـال السخرية أكثر من المثل الشعبي. فقريحة المصري الحديث لم تعد تجود بالجديد من الأمثال الشعبية الساخرة التي تلخـص الحكمة .. بل كل ما تجود به هو النكات اللاذعـة، وبعـض العبارات المستحدثة التي لا ترقى إلى أن تصير مثلا .. لكنها تشبيهات وكنايات شعبية موجزة تكتسب مـدلولها بالتـداول، وتتميز بالإيجاز المعجز، فهي لا تزيد عن كلمة أو كلمتـين على الأكثر.. فهو يصف المحسوبية والوساطة بكلمة "كوسة" واكتسبت هذه الكلمة مدلولها بين العامة والخاصة دون نزاع، وبين كل فئات المجتمع المصري.. حتى الريفـي أو كلمـة "همبكة" للتدليل على الشخصية التي تملأ المكان حركـة دون فعل حقيقي مجد.

ولعل أخطر ما يؤخذ على المصري وسخريته حيال الأزمات العنيفة، وسخريته من ذاته أنه يكتفي بالسخرية مـن الشيء أو الشخص أو الأزمة، ويضحك مـلء شـدقيه ... ويسعى لنشر ما يطلقه من سخرية في شكل مثل أو تعبير أو نكتة ... ولسان حاله يقول : " شر البلية ما يضحك" ...

ويكتفي بذلك وكأن السخرية قد حلت الأزمـة... أو غيـرت

الأمور من حال إلى حال غير مدرك أن السـخرية ليسـت وسيلة تغيير، ولا طريقًا إلى حياة أفضل ... وذلك يعني أننا شعب غير مدرك للعواقب ... وذلك في تصوري هو السلبية الأساسية للسخرية المصرية.. ومكمن الخطر فيها، إذ هـي وسيلة تفريغ لشحنة من الكبت والقهر والحزن، يكتفـي بهـا المصري ويستعيض بها عن عمل فاعل مغير ... والغريـب أن هذا هو دأب الإنسان المصري منذ الأزل فقد لاحظ عبـد الرحمن بن خلدون ذلك منذ نزوله مصر وقال : أهل مصـر كأنهم فرغوا من الحساب ... أي كأنهم تجاوزوا كل ما هـو جاد.

أما تلميذه المقريزي فكان أشد صراحة منـه عنـدما قال:

من أخلاق أهل مصر الإعراض عـن النظـر فـي العواقب ... والانهماك في الملذات والاشتغال بالترهات ... وهم بارعون في الملق والبشاشة إلى حد التفوق على كل من تقدم ومن تأخر [١].

---

([1]) أحمد أمين ، قاموس العادات والتقاليد والتعـابير المصـرية ، مكتبـة النهضـة المصرية ، ص ١٠ .

هذا ويلاحظ أحمد أمين أن أشد الناس بؤسا وأسوأهم عيشة وأقلهم مالا أخلاهم يدا أكثرهم سخرية، وهـم صـناع النكات على المقاهي الشعبية، فابن النكتة بينهم محبوب مقدر، يفتقد إذا غاب.

ويعلق على ذلك عادل حمودة قائلاً إنه الألم إذا مـا زاد على الحد انقلب إلى هزل والتراجيديا إذا مـا تجـاوزت الحجم انقلبت إلى كوميديا [١].

إنها طبيعة المصري وفطرته التي فطره ا عليه ... ولم تتغير منذ الأزل ... بل تزداد حدة في فترات القهر ... فالسخرية اللاذعة تحمل فكرة ذكية، ولغة متفلسفة، وحفة ظل وقدرة وكفاءة على التخيل ... والدليل على تمكن المصـري من السخرية وصف هيرودوت لمصر والمرح والمجون الذي كان الأجداد يمارسونه في الأعياد المقدسة، ونقلـه لمقولـة الشاعر الروماني ثيوكريتوس قبل الميلاد بحوالي مائتي عام من أن المصريين شعب ماكر لاذع القول روحه مرحة [٢].

ولكن ... مم يسخر المصري ؟ وعلى ماذا يتهكم؟!

---

([1]) عادل حمودة، النكتة السياسية ، ص ٦٢ .

([2]) صقر خفاجة ، هيرودوت يتحدث عن مصر ، الهيئة العامة للكتـاب ١٩٨٧ ص ١٦٠ .

سنجد أن المصري ساخر بصفة عامة في أمثاله، لاذع في اختيار لفظه، وفي وجه التشبيه أو الكناية، مع استخدام للرمز بشكل أكثر من رائع ... فهو يذكر شيئًا ليعبر عن موضوع أو شيء آخر تماما... ومن أهم الموضوعات التي سخر منها المصري – الذي يتوسم في ذاته الذكاء والفطنة – سخريته من الحمق وقلة الحيلة، ومن عدم تقدير الغير له ولقدراته، ومن التطاول عليه، ومن التسيب والإهمال، ومن التكبر الكاذب والادعاء. ومن الزهو والخيلاء والاهتمام بالمظاهر، ومن العمل غير المجدي وانقلاب الهدف، وهو يسخر ويتهكم على كل ذلك، ويشمت في نتائج هذه الأفعال والتصرفات، معلنًا عن ذلك أحيانًا بكثير من الاستهانة والاستهتار، التي قد تصور المصري لأول وهلة إنسانًا يضرب عرض الحائط بكل القيم، فهو من قال مستهينًا بكل شيء:

- اللي يعرف أبويا يروح يقوله. واللي كاتب كتابي يروح يحله.
- ما بان مني زكاة عني.
- اسرق وصدق يا عبد ا .

- اللي راح راح يا قلبي.
- ضربوا الأعور على عينه قال خسرانة خسرانة.
- السجن للجدعان.
- السكران سلطان زمانه.
- المجانين في نعيم. أو خـذوا الحكمـة مـن أفـواه المجانين.
- اعمل ودن من طين والثانية من عجين.
- طظ يا عاشور.
- كله محصل بعضه.
- علقة تفوت ولا حد يموت.
- الشقي عمره بقي.
- الرشوة حلت عمة القاضي. أو الدعوة الزور تفـتح كيس القاضي.
- إرشوا تشفوا.
- حاميها حراميها.
- إيش على بال القرد من سواد وشه ( أو حمار ... ).
- قالوا للقردة اتبرقعـي قالـت دا وش واخـد علـى الفضيحة.

– يفتي على الإبرة ويبلع المدرة. أو ســألوا القاضــي الحيطة اتنجست قال تتهد وتتبني ســبع مـرات ... قالوا دي الحيطة اللي بيننا وبينك ... قال أقل المـاء يطهرها.

وقد تبدو هذه الأمثال معبرة عما يمكن أن نسميه الآن " الاستبياع "، فلا يهم شيء طالما " كلها محصلة بعضها" فالجنون هو السائد، والشقاوة لن تفني العمر، و " الســكران سلطان" فلا تحريم للرشوة أو السرقة، أو العري والفضيحة، ومرحبا بالسجن، طالما ساد اليأس، وشعر المرء أن من راح لن يعود، وأنها " خسرانة خسرانة" ومن يستطيع المحاسـبة فليحاسب. فلن نسمع لنصح ولن نطيع ... وكل هذه الأمثـال قالها المصري لا شك في أشد حالات يأسه من أي إصلاح، حينما وجد القاضي مرتشيا، وحامي الحمى حرامي، والمفتي يغير ذمته وفتواه لصالحه.

والمصري يطلق تشبيهات أو تعبيرات يصـف بهـا المرتشين ومن يفتون زورا واللصوص فيقول: كرشه واسع ذمته واسعة أو ذمتك أستك أو غير ذمته" وهي على أية حال تعبيرات مستحدثة قد تصير مثلاً مع الأيام ... وهي كناية أو

تشبيه ... لكنها لا تقدم أكثر من الوصف ... فهـي ليسـت كالمثل لها مقدمة ونتيجة ... أو تعرض لمقدمات ثم نتائج أو توابع وجوابات للشرط.

وإذا كانت بعض الأمثال تعكس لونًا من الاسـتهتار يتمثله المصري يأسـا أو تفكهـا مريـرا مـن صـيرورة أحواله، فيقوده ذلك إلى الاستهتار بالقيم، ويكملها بالاسـتهانة بالأشياء، والأشخاص والأعمال، فلا يأبه لشـيء ولا يبـالي بأحد، ويستهين بالجميع فنجده يقول :

- الجنازة حارة والميت كلب.
- الميت مش مستاهل القراية.
- مفيش عليه الطلا.
- ما حد بيجي من الغرب يسر القلب.
- يا ما جاب الغراب لأمه.
- جلاب الكحل الزين.
- يعني فتح عكا.
- جايب رأس كليب.
- يعني جاب الديب من ديله.
- بعجر أغا ما فيه إلا شناب.

- يعني بضاعة والناس عليها جواعى.
- لو كان فيه خير ما كان رماه الطير.
- يا سلام شفت النبي وأنواره.
- كسبنا صلاة النبـي. أي لـيس ربحـا طالمـا أنـه غير مادي.

ويبلغ اليأس مبلغـه بالمصـري، فيتمـادى أكثـر، بتعبيرات قد لا ترقى إلى حـد أن تكـون مـثلاً ... لكنهـا تعبيرات وتشبيهات متداولة بين العامة، يمكــن أن نســميها تعبيرات شعبية شائعة ومنها:

- اخبط راسك في الحيط.
- مطرح ما تحط راسك حط رجليك.
- بلهم واشرب ميتهم.
- اللي يزعل يشرب من البحر.
- هم شاريين أسلافنا.
- هو أنا الحيطة الهبيطة ( أو الواطية )؟!.
- وعلي منن ده بإيه؟!
- إتفلق.

- أعلى ما في خيلـك إركبـه ( ويقولهـا المصـري القوي مستهينًا بغيره).
- آدي دقني لو حصل ( تعرب عن اليأس).
- أقطع دراعي لو حصل.
- أبقى تف على وشي لو حصل.
- إن كنت ميت أبقى " شخ " على تربتي.
- أبقى قابلني لو حصل.
- سعد باشا قـال مفـيش فايـدة ( ويضـيف إليهـا البعض ... غطيني وصوتي يـا صـفية – يقصـد صفية زغلول).

هذا ويسخر المصري أيضا ممن لا يقدرونـه حـق قدره ويقودهم ذلك إلى إنكار تميزه، فيقول في عـدم تقـدير قومه لقدراته:

- مغني الحي لا يطرب.
- لا كرامة لنبي بين قومه.
- الشيخ البعيد سره باتع.
- اللي تملكه اليد تزهده النفس.
- زي القرع يمد لبره.

وعن التطاول عليه، والناتج أيضا عن عـدم تقـدير الغير له، وعدم معرفتهم بأقدارهم يقول :

- سكتنا له دخل بحماره.
- كام " القحبة " تدهيك واللي فيها تجيبه فيك.
- الحيطة الواطية ينطوا عليها الكلاب.
- أول ما شطح نطح.
- خلي لك الجو ( وهو مأخوذ عـن المثـل العربـي القائل ( خلا لك الجو فبيضي وأصفري).

هذا وتكون السخرية المصرية أشد ما يمكن حينمـا يتفكه المصري على الحمق وقليلي الحيلة أو من لا يحسنون التصرف ... فيقول المثل :

- من قل عقله تعبته رجليه.
- رزق الهبل على المجانين.
- الحاجة في السوق تقول : " نينـــي نينـــي فـــين الخايب ييجي يشتريني.
- ما شـافوهمش وهمـا بيسـرقوا شـافوهم وهمـا بيتحاسبوا.
- لما تتخانق الحرمية يبان المسروق.

- دبور زن على خراب عشه.
- لـو جـابوا للمجنـون ألـف عقـل علـى عقلـه ميعجبوش إلا عقله.
- رايح لطيز الكلاب يشمها.
- خالف تعرف ( زي الشريك المخالف).
- إيش دخل طوخ في مليج.
- اشترى وجع قلبه بإيديه ( ألا مـن يشـتري سـهرا بنوم – مثل عربي متداول).
- جه للموت برجليه ( أتتك بجائن رجلاه).
- أصحاب العقول في راحه ( استراح مـن لا عقـل له).
- كانت قاعدة ومرتاحة جايب لها حاجه.
- اللي يوضيهم زي اللي يخريهم.
- الصابونة في إيد و"النجاسة" في إيد.
- اللي يقدر يحلها بإيديه ليه يحلها بأسنانه.
- إن طلع العيب من أهل العيـب مـا يبقـاش عيـب ( أي أن الحمقى لا لوم عليهم).

- قالوا تعرف الهايف بإيه؟ قال بكلامه، وتعـ ـ ـــرف الثقيل بإيه؟ قال بسؤاله.
- فار ما وسعه شقه حط في قعره مرزبة.
- مخه مركب شمال.
- من عجبك يا فتى تلبس هدوم الصيف في الشتا.
- عذر أقبح من ذنب.
- يغرق في شبر ميه.
- ودنك منين يا جحا.
- زود المبلة طين ( أو زاد طين بلة)
- أجسام البغال وعقول العصافير.
- قلة العقل مصيبة.
- قحب ما تقحب، لكن أفعال القحاب تعمل.
- خربها وقعد على تلها.
- لا منه ولا كفاية شره.
- مش ناوي يجيبها البر ( بسلوكه الأحمق أو الأهوج).
- يبييع الميه في حارة السقايين.
- يدلقوا القهوة من عماهم ويقولوا خير من ا   جاهم...

- بيقدم رجل ويأخر التانيه ( كناية عن التـردد وهـو حمق).
- عين في الجنة وعين في النار ( تقال للأحمق المتردد الذي يضيع الفـرص، ويصـفوه بأنـه " مـلألأ " أو " مخه بيجيب ويودي".
- كلمة تجيبه وكلمه توديه ( أي مترد وودني وهو لون من الحمق).
- دوبت هدومك يا هبيل من كتر الغسيل.
- زي الجمل اللي يحرته يبطه ( لمن يفسـد عملـه بحمقه).
- يكري على خرطة زي الملوخية.

ومما يسخر منه المصـري فـي أمثالـه اجتمـاع الحمقى... حيث يدرك بفطرته أن ذلك الاجتماع لـن يسـفر عن شيء ذي قيمة ... إن لم يجلب الأذى، وكنموذج لما قيل في هذا الصدد:

- إتلم المتعوس على خايب الرجا.
- حطوا عيشة على أم الخير.
- أعمى يقول لأعمى صدفة سعيدة إللى اجتمعنا.

- عمية تحفف مجنونة وتقول لها حواجبك سود ومقرونة.
- اتبع البوم يوديك الخراب.
- عايبة بتعلم خايبة ... الاتنين نايبة.

وبالإضافة إلى الحمق وقلة الحيلة، يسخر المصري في أمثاله من التسيب والإهمال، ويعتبرهما أيضا ضربا من الحمق وسوء التصرف فيقول:

- المال السايب يعلم السرقة.
- المفرط أولى بالخسارة.
- اللي ما يربط بهيمه ينسرق.
- البهيم السايب متروك عرضه.
- فاتت ابنها يعيط، وراحت تسكت ابن الجيران.
- فاتت عجينها في الماجور، وراحت تضرب الطمبور.

ويسخر من الكسل من أمثال تقول:

- زي تنابلة السلطان يقوم من الشمس للضل بعلقة.
- زي الكلاب يحب الجوع والراحة.

- راس الكسلان بيت الشيطان.
- طيزه تقيله ( كناية عن قلة الحركة والبلادة والكسل).
- أكل ومرعى وقلة صنعة.
- قشش على ميتك تسخن ( دور على ... ).
- عايز سخام منتوف ومحرمة جنبه.

فالمصري بطبعه الأصيل يقدس العمل ويسخر من الكسالى، وسيتضح ذلك عندما نتناول الأمثال التي تتحدث عن قيمة العمل وضرورته أو حتميته ؛ لتستمر الحياة، فالعمل هو دأب المصري عبر عصور التاريخ، وهو مجال إبداعه، وإن تغير الحال إلى حد ما.

وعوضا عن الاسترسال في استعراض الأمور التي يسخر منها المثل المصري، ويعرض بها، نعود لنحلل مضمون ما سبق من أمثال فنقول: إنه لو حللنا هذه الأمثال كميا فسنلاحظ أن أكثر ما سخر منه المصري هو الحمق والحمقى وعدم جدوى اجتماعهم في أي عمل إذ يصل عدد المتداول حتى الآن من هذه الأمثال ( ٤٤ )، وذلك يعد كثيرا إذا ما قيس بعدد الأمثال التي تعكس روح اليأس أو الاستهتار

بالقيم، التي بلغ عددها ( ٢٠ ) مثلاً فقط، إذا استبعدنا الأمثال التي تعبر عن استهانة المصـري بالأشـخاص والأعمـال والأشياء؛ لأنها قد تعبر بوجه آخر عن اعتـزاز كـل فـرد مصري بذاته، واستهانته بالآخرين، واعتزازه بعمله، والاستهانة بعلم الآخرين، فهو يرى أن أي عمل مهما كان لن يكون فتح عكا! وأن أي شيء لن يكـون بضـاعة نتهافـت عليها، أو شيء عليه الطلا، بل يسخر منه بتشبيهه بما أتى به الغراب الشؤم لأمه – وكأنه هدية – ولا يخفى ما فـي هـذا المثل بالذات من رنة سخرية لاذعة وتفكه نادر بليغ.

وإلى جانب السخرية من الحمق والحمقـى نجـد أن المصري يسخر بنفس القدر تقريبا من التكبر الكاذب، والزهو بالمظاهر، فهو في أعماقه يعتقد أن الزهو لابـد وأن يكـون بالأفعال، وبالجوهر وليس بالمظهر ... وهذا يعكس اهتمـام المصري بالقيمة أكثر من اهتمامه بالشـكل أو القشـور ... وسنجد أن سخريته من المتكبرين بلا داع تبدو أشـد أنـواع السخرية، وأكثرها اقترابا من الفكاهة؛ لجمعها بين الأضـداد والمتناقضات من الأمور، ومثالاً على ذلك قوله:

- زبال وفي إيده ورده.

- ملقوش فول يدشوه، جابوا عبد يلطشوه.
- ملقوش عيش ينتشوه، جابوا عبد يلطشوه.
- عرايا مقفقفين جابوا بعشاهم ياسمين.
- من بره هللا هللا ... ومن جوه يعلم ا .
- من بره طق طق، ومن جوه فاش وبق.
- ملقوش عيش يتعشوا جابوا فجل يدشوا.
- فقرا ويمشوا مشي الأمرا.
- أمه عياشة وعامل باشا.
- بدل اللحمة والبتنجان هات لك قميص يا عريان.
- فقر وعنطزه.
- بواب وما لوش باب.
- عمايم على بهايم ( حمير تحمل أسفارا).
- حسنة وأنا سيدك.
- شحات وعايز رغيف طري.
- زي شحات الترك جعان ويقول مش لازم.
- زي براغيت القنطرة، عري وزنطرة ( أي تتكبـر وتثب من هنا لهناك).
- زي ديك الخماسين عريان ومزنطر.

- قلة وعاملة قناطة.
- سرباتي واسمه عنبر.
- عريان " الطيز " وبحب التأميز ويقول باب الخمارة منين؟
- قال، إيش ناقصك يا العريان؟ قال الخاتم يا مولاي.
- ميغركش الباب وتزويقه ... بص على نشفان ريقه.
- شحاته بالرومي.
- فجل يا كلاب.
- تحتيهم إفي. وفوقهم إفي، ويقولوا ريحه إفي.
- اللي شمها هو ابن عمها ( يقال لمن يتأفف من شيء هو فيه).
- من بره رخام ومن جوه سخام.
- الفشر والنشر والعشا خبيزة.
- نفخة وشمخة وبصلة في الجيب.
- قاعد على نخ وعمال يجخ ( النخ فراش كالحصير).
- كلب أجرب وانفتح له مطلب.

- ويقول المثل عمن يتكبـر ويفتخـر بشـيء بعيـد، متمسحا به وهو على أية حال أمـر غيـر مـدعاة للفخر:
- زي الأغوات يفرحوا بولاد أسيادهم.
- هش يا دبانة أنا حبلى من مولانا.
- أسأله عن أبوه يقول، خالي شعيب.
- قالوا للحمار أبوك مين؟ قال خالي الحصان.
- القرعة تتباهى بشعر بنت أختها.
- ما لك بتجري ما بتدري؟ قال نسـيب نسـيبي فـي الساحل.
- ما لك بتجري وتشلحي؟ قالت: مفتاح القوالح معي.
- يا محلى طولك في اللي ما هو لك، كمـــان شـــوية يقلعوا لك.

وتسترسل الأمثال فـي السـخرية ممـن يزهـون ويتكبرون غير مدركين لقيمتهم الحقيقية، موردة للمتناقضين في أحوال وسلوك البشر ... فتقول :

- أقرع ونزهي.
- غشيم ومتعافي.

- زي الطبل صوت عالـي، وجـوف خـالي( أي منفوخ على الفارغ).
- مكسحة وتقول للصايغ تقل الخلخال.
- أخته في الخمارة، وعامل أمارة.
- إيش كبرك عنه وإنتي بنت عمه.
- إيش إنتي في الحارة، يا منخل بلا طارة.
- بعد العركة ينتفخ المفش.
- قالوا للدبة: طرزي قالت: دي خفة أيادي.
- أنا وحشـة وأعجـب نفسـي وأشـوف الحلـوين تقرف نفسي.

ويرى المثل الشعبي أن الكبر والتكبر، خاصـة فـي مجال العمل قد يعطله ... بل إن الكبر أحيانًا يضيع الفرص، ويقطع النصيب، ويضر بصاحبه، فتقول الأمثال مؤكدة هـذه المعاني بصيغ متشابهة تكرر نفس المعنى:

- أنا كبير وأنت كبير، ومين يسوق الحمير؟
- أنا أمير وأنت أمير، ومين بقى يسوق الحمير؟
- لما أنا ست، وإنتي ست، مين يكـب الطشـط؟ ( أو الدست ).

- الكبر خاطرنا موش بخاطرنا (ويروى أيضا العجب قاتلنا).
- كبر النفس قطع نصيب.
- زي مرزوق يحب العلو، ولو على خازوق.

ويدعو المثل إلى عدم الكبر أو الزهو، فلا مجال لها بين من يعرف بعضهم بعضا فكل شيء لا بد سينكشف، فيقول المثل :

- بلدنا صغيرة، ونعرف بعض.
- الشهر تلاتين يوم والناس تعرف بعضها من زمان (أي لا مجال للكبر).
- نص البلد ما يعجبني، وأنا أعجب مين؟!.
- عيشوا عيشة أهاليكم.
- نشفت البركة وبانت زقازيقها.

ويستمر المثل الشعبي يسخر ممن يزهو بأنفسهم على أمور لا تستحق الزهو أو الخيلاء، فيسفه ما يفخرون به، ويهزأ به وبهم قائلاً :

- الطول على النخل، والتخن على الجميز.
- زي الطاووس يتعاجب بريشه.

- زي الغراب يتعاجب بعوارة عينه.
- كلب أبيض وكلب أسود قال، كلهم كلاب.
- ما تتهزيشي ما في الوسط إيشي.
- من عجبه حسه علاه، ومن عجبه جسمه عراه [*].
- زي قبور الكفار من فوق جنينة ومن تحت نار.

وينبه المثل إلى أن من يفخر بشيء أو يزهو به لـو رأى ذلك الشيء على حقيقته – أي لو أدرك قيمتـه – لمـا وجد مدعاة لهذا الزهو ... ولذا يقول :

- الكلب إن بص لحاله ميهزش ودانه.
- لو الجمل شاف صنمه كان إندار قطمه.

ومن التعبيرات الشائعة عن الزهو والخيلاء تشبيهات بليغة تعبر عن مشاعر من يشعرون بتميـزهم والمزهـويين بأنفسهم، كالقول :

- خرطة الخراط وإتد قلج مات.
- عامل فرخة بكشك.
- عايق ومتضايق ( عايقة ومتضايقة).
- عامل عنب والباقي فراطة.

---

[*] يستعمل عادة لفظ بذيء يدل على عضو التأنيث في المرأة.

- عامل ليمونة في بلد قرفانة.
- ميعجبوش العجب ولا الصيام في رجب ( من شدة إعجابه بذاته ).
- ابن بارم ديله.
- سبع البرومبة.
- زي قنصل الوز.
- عامل قمع.
- عامل أبو علي.
- عامل قعر مجلس.
- قصر ديل يا أزعر ( ويقولها المزهو بنفسه لمن يشعر أنهم دونه إذا لاموه على عجبه).
- يا أرض أتهدى ما عليك قدي، أو ( يا أرض ما عليك إلا أنا ).

ومع أن الأمثال المصرية تسخر من الكبر والزهو كقاعدة... نراها تدعو لذلك في أمور أخرى تستحق الفخر، وهي : العمل والشرف وما يقدم الإنسان من فضل وإحسان، وفي ذلك تقول الأمثال :

- الشباب بسعده لا أبوه ولا جده.

- فخر المرء بفضله أولى من فخره بأصله ( إنما أصل المرء ما قد حصل).
- الشرف بالهمم العالية لا بالرمم البالية.

ويدعو المثل الشعبي إلى الحفاظ على المظاهر مهما كانت حقيقة الظروف فيقول :

- املي بطنك بالتبن، وبل شفافيك بالسمن.
- امشي على عدوك معرش، ولا تمشيش مكرش.

هذا ونجد أنه لو قارنا نسبة الأمثال التي تسخر من الزهو والكبر وتقبحهما، بالأمثال التي تدعو للحفاظ على المظاهر ولو بالكذب، سنجد أن النسبة ٨٠ : ٢، فيما عدا الأمثال التي تبين مواضع الفخر، التي يجب أن يعتز ويزهو بها الإنسان، وذلك يدعونا إلى الإشارة إلى أن الإنسان المصري كغالبية، متواضع بطبعه، غير ميال إلى الفخر بل يسخر منه ... وهي سمة تكررت كثيرا ضمن السمات التي رصدها للشخصية المصرية عدد غير قليل من الباحثين. فالمصري متواضع بطبعه، وإن كانت سمة الفخر والزهو من السمات العربية السائدة، لكنها كما هو واضح من دراسة الأمثال العامية المصرية، سمة غير سائدة لدى

المصريين، رغم اعتزازهم بذواتهم، وبكفاءتهم ... إلا أنهـم ميالين إلى الجهر بذلك، والتعبير عنه في أمثالهم، وبالتـالي في حياتهم اليومية ... لكن كثرة الأمثال التي تسخر مـن الكبر والزهو والفخر لا شك تعكس أن هذه السمات موجودة في عدد قليل من المصريين، وإلا لما صدر عـن الوجـدان الشعبي هذا الكم من السخرية من المتكبرين، داعيا إياهم إلى ترك هذه السمة ونبذها ... فالمثل الشعبي كان وما زال لـه دور تعليمي لا ينكر ... وقد جاء هذا الـدور بشـكل غيـر مباشر بأسلوب ساخر. يتفـق وطبيعـة الـروح المصـرية المتفكهة المعبرة بسخرية عن كل ما لا يعجبها ... مقومـة للمجتمع وأفراده بأسلوبها الخاص، ولعـل سـمة التفـاخر اكتسبت بعد الفتح العربي الإسلامي لمصـر، فاكتسـبها المصريون من العرب، ثم من الترك في العصر العثماني ... وظل الوجدان المصري الأصيل رافضا لها ساخرا منها ... وسيأتي على أية حال تفصيل للفروق بين سمات الشخصـية الإقليمية أو الفرعية للمصريين، وسمات الشخصية العربيـة القومية، وما أخذه المصريون عنها وما لم يتسموا بـه مـن سماتها السائدة.

واستكمالاً لما بدأناه من تتبع للأمور التي يسخر منها المصري في أمثاله سخريته ممن يقومون بأعمال غير مجدية، ولا طائل من ورائها ... فهو يسخر من ذلك، بل ويظهر شماتة شديدة فيمن يمارسون عملاً غير مجد، بل وأيضا يسخر ممن يقومون بأعمال فتنقلب عليهم. وكنموذج للسخرية من العمل غير المجدي فيما هو متداول من أمثال وما زال يتردد على الألسنة :

- كأنك يا أبو زيد ما غزيت، ( كأنك يا أبو زيد لا رحت ولا جيت).
- رجع قفاه يقمر عيش.
- رجع يا مولاي كما خلقتني.
- مين داري بك يا اللي في الظلام بتغمز.
- رجع بخفي حنين ( وهو مثل عربي متداول بين العامة ).
- يا دي الشيلة يا دي الحطة رحت على جمل، وجيت على قطة.
- أكننا يا بدر لا رحنا ولا جينا.
- آخرة الزمر طيط.

- طلع من المولد بلا حمص.
- بيتفخ في قربة مقطوعة.
- لا طال عنب الشام ولا بلح اليمن.
- عمر التشفيط ما يملاش قرب.
- يا مستني السمنة من " طيز " النملة " عمـرك مـا حتقلي.
- تصوم تصوم وتفطر على بصلة ( ويضرب أيضـا في الزواج بعد عزوبية طويلة).
- يصوم سنة ويفطر على بصلة.
- إيـاك علـى الطلـق ده كلـه يكـون المولـود غلام، ولا تكنش بنية وتشمت الجيران ( وهو يعتبر التعب في إنجاب البنت عملاً غير مجد).
- البقرة بتولد والطور بيحزق ليه؟ قال، أهوة تحميـل جمايل.
- طاهرت أنا عمبر قام فرشح سعيد.
- زي جمعية الغربان أولها كاك وآخرها كاك.
- زي اللي رقص على السلالم. لا اللي فوق شافوه ولا اللي تحت شافوه.

- اللي نبات فيه نصبح فيه.
- حلينا القلوع ورسينا وأصبحنا على ما أمسينا.
- المركب أم ريسين تغرق (أي أن العمل عليها غير ذي جدوى ).

أما التشبيهات والتعبيرات الشائعة عمن يقومون بعمل غير مجد فتقول لهم، وتصفهم بعبارات نورد منها على سبيل المثال لا الحصر:

- كان غيرك أشطر.
- أمير وعاقل لا يهش ولا ينش ( عديم الفائدة).
- زي الخيلة الكدابة ( أي ذهاب ورواح دون فائدة).
- لا يودي خبر ولا يجيب أثر ( الشائع منها لا يودي ولا يجيب ).
- قاعد ينش ( وتضرب أيضا للعاطل المفلس).
- بيرعى الكلاب بالنص.
- لا له في الطور ولا في الطحين.
- لا في العير ولا في النفير.
- بنقرأ في سورة عبس ( أي لا جدوى مما تقول).
- بيدن في مالطا.

- لا ينفع ولا يشفع.
- لا يحل ولا يربط.

والمصري دائما يربط بين العمل وجدواه، وبين قيمة الشخص، أو ما نسميه نحن الآن " المكانة" والشخصية أو قوة الشخصية ... ولذلك تزخر الأقـوال والتعبيـرات الشـعبية بالكثير من التشبيهات للشخص عديم الشخصية، نجد معظمها ينصب على أن ما يقوم به لا قيمة له، أو أنه لا يعمل شـيئًا مجديا ... وكنموذج لما ورد في الكنايـات الشـعبية حـول الشخصية ما نورده أيضـا علـى سـبيل المثـال ولـيس الحصر، حيث أن العاميـة المصـرية غنيـة بالتشـبيهات والكنايات المتداولة– القديم منها والمسـتحدث – والتـي لا نستطيع حتى الوصول إلى كنهها أو معرفة مـم اشـتقت أو نحتت ؟ أو المناسبة التي قيلت فيها؟ وتدليلاً على ذلك نـورد صفات الشخص الذي لا جدوى منه أو مما يعمل:

- قاعد زي قرد قطع.
- خايب وخايب ظله ( أي لا أمل فيه ولا فائدة منه ).
- زي دلدول الأحزاب ( أو دلدول فقط بمعنى إمعة أو تابع غير مبادر).

- زي شرابة الخرج ( وهو اختصار لمثل يقـول زي شرابة الخرج لا تعدله ولا تميله).
- قاعد يقشر بصل ( أي عاطل لا يعمل شيئًا مجديا).
- لا شغلة ولا مشغلة ( ويقول الشـوام لا شـغلة ولا عمله).
- قاعد زي الشيخ اللي انقطع نذره.
- سكتم بكتم.
- فنجري بق أو كلام ( لمـن يقـول ولا يعمـل بمـا يقول ).
- طلع على فاشوش.
- قاعد زي العمل الردي.
- زي خيال المآته.
- زي قلته ( أو قلته أحسن).
- وجوده زي عدمه ( أي لا عمل حقيقًا له).
- مهياص أو صبي عالمة ( أي لا عمل حقيقًا له).
- زي الدلو أو الجردل ( يحملونه على العمل ولا يبادر به).
- زي رجل البنطلون ( وهو قول مستحدث ).

وباختصار معجز يطلق المصريون كلمة واحدة، تدل على مئات المعاني، بدلالة بالغة يتفهمها، أو يصطلح عليها الجميع، فهم يصفون بعض الشخصيات بأنها: " هلفوت – حرفوش – فرفور – هفية – دلدول – دخل – خيخة – خرنج – لوح – لطخ – كاورك [1]". إلى آخر هذه التسميات المستحدثة في مجملها ... وإن كان لها بالضرورة أصول قديمة، أو هي تحريف لكلمات، ومعان، ودلالات قديمة، ليس من السهل التعرف عليها، أو ادعاء معرفة أصولها اللغوية – وهو على أي حال ليس موضوعنا – وإن أوردتها للدلالة فقط على صدق ما أسوقه من آراء.

أما بالنسبة لانقلاب الهدف، أو السعي إلى شيء فينقلب على صاحبه، أو يخيب ظنه فيه، فقد عبرت الأمثال عن السخرية من انقلاب الهدف خير تعبير، وبروح فكاهة متميزة، تظهر فيها المقابلة بين الأضداد بذكاء نادر، وتشبيهات غاية في البلاغة، وقد احتفظت الذاكرة المصرية بعدد غير قليل من هذه النوعية من الأمثال نذكر منها :

---

([1]) كلمة كاورك كانت نوعا من السجائر عليه صورة طائرة أو عصفورة أصبحت توشم بها أصداغ البسطاء أو من يسمونهم "داقين عصافير" أي سذج .

- تيجي تصديه يصديك.
- طمعنجي بنى له بيت فلسنجي سكن له فيه.
- مزين فتح، بـراس أقـرع اسـتفتح ( ويضـرب لسوء الحظ أيضا ).
- قال : يا صياد رميت الشبكة، طلعـ ـت ضـ ـفدعة مطلعتش سمكة.
- طلع نقبه على شونه.
- جوزناها تتاخر ... راحت وجابته راخر.
- جت تكحلها عميتها (أو جا يكحلها عماها).

وتضرب هذه الأمثال أيضا في توقع الخير فينقلـب إلى شر، أو الاعتماد والاستعانة بأحد، فلا نجـد لديـه هـذا العون وكنموذج لذلك:

- جبتك يا عبد المعين تعيني ... لقيتك عايز تتعان.
- اتكل على حيطه مايله (أو مسنورد ... أو مركون).
- جبت الأقرع يونسني ... كشف راسه وخوفني ...
- اللي يتكل عليه يبيع هدومه ( أو يبيع عياله).
- اللي تحسبه موسى يطلع فرعون.
- فرحنا بالنيل، جا النيل غرقنا.

- خيرا تعمل شرا تلقى ( ويضرب أيضا فـي نكـران الجميل).

وعدا السخرية والتهكم ... تضيف الأمثال المصرية لونًا آخر من التفكه المرير ... إلى رصيدها الساخر وهـو " الشماتة " ... وفيه يشمت المثل المصري من أمور كثيرة، ونتبينها من رصيد زاخر بقي منه ما يلي:

- وقعتم، ولا حدش سمى عليكم.
- نخنخت يا جمل، ولا طولتش أمل.
- تروح فين يا صعلوك بين الملوك ؟!
- اللي يشيل قربة مخرومة تنز على ظهره.
- إلي يشيل قفة مخرومة تخر على دماغه.
- ربنا يهني سعيد بسعيدة.
- بقى عبرة لمن يعتبر.
- الحجر الداير لابـد عـن لطـه ( أي أن التصـدع نتيجة لا بد منها).
- مبروك الطهارة يا معاشر الأمارة.

ويتضرر المصري جدا من الشماتة، ويعمل لها ألف حساب، خاصة شماتة الأعداء فيما يصيبه من مكاره، فيقول:

- شامتة ومعزية.
- عدوتي وعملت مغسلتي.
- الشماتة تبان في عين الشمتان.
- اللي تعايرني به النهارده تقع فيه بكـره ( أي كلـه سلف ودين).
- إيش حدا فيما بدا ياللي كلامك ضرني ؟! منـــين شمت الناس؟ ومنين صالحتني ؟!!.
- يا بخـت مـن بكـاني ... وبكـى علـي ... ولا ضحكني ... وضحك الناس علي.
- حي طلب موت حي ... مجنـون يسـتاهل الكـي ( أي لا شماتة في الموت).
- ذنبه على جنبه ( وتقـال شـماتة فـيمن لا يسـمع النصيحة).

ويرتبط بموضوع الشماتة مـا يصـيب الإنسـان موضوع آخر، ربطت الأمثال بينه وبين الشماتة ... وهـو السلف والدين – ليس بمعنى السلف المادي ... ولكن بمعنى أن " الدنيا دوارة" ... وأن ما يشمت فيـه النـاس الآن قـد يصيبهم غدا، فلا مفر من ذاك، خاصة في الموت والمـرض

والفقر ... وما إلى ذلك من أمور غير مضمون قدرة البشـر على إتقانها، ويخاص المثل الشعبي المصري إلى نتيجة، أو حكمة بليغة، هي خلاصة الحكمة كلها ... وهـي أن " كلـه سلف ودين " وتضرب بمعنى أن كل ما يفعله الإنسان يـرد عليه – ولو بعد حين – حتى الشماتة والمعايبة، والفرح فيما يصيب الناس من مكروه... وأيضا الأفعـال كلهـا بحلوهـا ومرها، فيما يخص التعامل مع الغيـر ... وسـلوك الفـرد تجاههم بالخير أو بالشـر ... وفـي ذلـك تقـول الأمثـال المصرية :

- كله سلف ودين حتى المشي على الرجلين.
- من عايب ابتلى ( أو من عاير ابتلى، ولو بعد حين).
- كلمة الفم سلف، ولو بعد حين.
- لا تعايرني ولا أعايرك ... الهم طايلني وطايلك.
- عامل تعامل.
- من حفر حفرة لأخيه وقع فيها ( عربي متداول).
- كل عين وقصادها صباع.
- ذنب ناس يخلصوه ناس.
- ربنا بيسلط أبدان على أبدان.

- داين تدان.
- عماك عمالك.
- على الباغي تدور الدوائر ( عربي متداول).
- يمهل ولا يهمل ( عربي متداول ).
- الجزاء من جنس العمل ( عربي متداول).
- من حكى اك حكى عليك.
- حط إيدك على عينك، زي ما توجعك توجع غيرك.
- من قدم شيء بيداه إلتقاه.
- حط إشي تلقي إشي.
- من أعمالكم سلط عليكم ( عربي متداول ).
- تدوس على ديل القط يخربشك.
- العين بالعين والسن بالسن ( عربي متداول).
- إن ا لمخلصان ( تقال شماتة فيمن انتقم ا منه).
- طباخ السم لا بد يدوقه.

ودون تفلسف أو ادعـاء ... يمكننـا القـول بـأن المصري يؤمن إيمانًا يكاد يكون مطلقًا ... بأن ما يمارسـه لابد وأنه مردود إليه يوما ما ... وذلك ما يجعله يتقي الظلم في سلوكه اليومي خوفًا من أن ينقلب عليـه ... ويمـارس

ضده، وهو إذا ما أصابته مصيبة، نجد أن أول ما يتبادر إلى ذهنه تساؤل ملح مؤداه : " أنا عملت إيه في دنيتي كي يحدث لي ذلك؟ " وهو تساؤل يعكس ما لدى المصري من خشـية وتقوى ا ... والإيمان بأنه مخلص الذنوب، والمنـ ـتقم ... ويقودنا هذا الحديث إلى السمة الثانية الأكثـر بـروزا فـي الشخصية المصرية عبر العصور ... والتي ربما لـم تنقـل منها الأيام ... ولم تغيرها الظروف الاجتماعية والاقتصادية المتعاقبة بل زادتها عمقًا.

# التديــــن

أما عن السمة الثانية التي أجمعـت عليهـا معظـم الدراسات الخاصة بالشخصية المصرية، ولم يختلف عليهـا أحد، فهي سمة " متدين" فالمصري في كل العصور تاريخـه القديم والحديث متدين، حتى قبل ظهور الـديانات السـماوية الثلاثة، وحتى في عصور تعدد الآلهة، كان المصري يتصف بالتدين، والتمسك بمعتقده الديني، وممارسة طقوس عبادتـه بالتزام، وفي العصر المسيحي، بلغ التدين حد الاستشهاد في سبيل العقيدة، بل إن الروح المصرية أضافت إلـى الديانـة المسيحية الكثير، وفي مقدمة ذلك الرهابنية ... وفي العصر الإسلامي لا مجال لتكرار الحديث عن الدور الذي قامت به، ولا تزال تقوم به مصر في سبيل نشر العقيدة الإسلامية فـي العالم. ولا يخفى على أحد أن المصري دائما – وفـي كـل عصوره – كان الدين ملجأه الأول والأخير – إلـى جانـب الفكاهة [١] – في مواجهة ما يعترضه من صعاب، ومـــا

---

[1] ولعل ذلك ما يبرر تواكب ظاهرتي المجون والتصوف في كل عصور القهر التي عانى منها المصريون ولعل ما تمر به الآن من تطرف ديني وانغماس في المخدرات والإدمان والتعذيب دليل آخر على ذلك .

يجابهه من قهر وظلم، من حكامه أو مستعمريه، ومن ظروف فقره واحتياجه، أو حتى مواجهة ما يصادفه من أمور غيبية لا يعرف لها مبررا، ولا يردها عنه، ويسري عنه إصابته بها، إلا الإيمان والصبر، واعتبار كل ما يصيبه من عند ا ، ولذلك يقول: " اللي منه هل بت عنه" أي ما هو عند ا لا بد أن يحدث، ولا راد لقضائه.

فالمصري يرى كل شيء من خلال قدرة خفية، أو قوة غير مرئية تسير الأمور، وتحدد المصائر، ولا يملك الإنسان المصري حيالها، إلا الصبر، وقبول الواقع، والتسليم به، مع السخرية من القدر والدنيا، وأحوالها المتقلبة، مستسلما في إيمان – أقرب إلى السلبية – مسلما بالقدر والمقدر والمكتوب، الذي لا مهرب منه، في نظر الإنسان المصري، إلا بالصبر – الذي أصبح كالمخدر بالنسبة لآلام المصريين – منتظرا أن يأتي يوم ينتصر فيه ويعتدل نظام الكون الذي مال به، وهو في ذلك يؤمن بانتصار الخير والحق في النهاية – مهما طال المدى – وذلك نابع من إيمانه بعدالة السماء. أو عدالة الإله أيا كان – واحدا أو متعددا – أي أنه إيمان بالقيم المطلقة وصدقها – مهما بدا عكس ذلك –

وسيأتي ذلك تفصيلاً في حينه – حيث سـنتحدث أولاً عـن إيمان المصري، وتدينه بشكل عام ... ثم نتناول بعد ذلك كل مـــا ترتـــب علـــى هـــذا الإيمـــان المطلـــق مـــن تفريعات، ومنها الإيمان بالقدر، والمكتوب، والنصـــــيب والقسمة، والحظ أو البخت، وما يجره هذا الإيمان من رضا وتسليم، وصبر واحتمال للمكاره... بل سيقودنا الحديث عن تسليم المصري، واعتقاده في كل هذه الأمور، إلى الحـديث عن رؤيته الخاصة للمرض والمـوت ... وهمـا حقيقتـان يجابهها بوسائله الخاصة في المواجهة: " الصبر والتسليم".

وسيقودنا ذلك أيضا إلى الحديث عن نظرة المصري للـدنيا والزمان" وتقلبهما ... و " تبدل الأحوال " تبعا لذلك، ومـــا يستتبع كل هذه الظروف من ظهور طبقات من "المحـدثين" الذين يسخر منهم المصري سخريته المعتادة ... ولكن بمزيد من المرارة.

وبالضرورة سيقودنا الحديث عن معتقدات المصري، وإيمانه بالغيبيات وببعض الأمور التي لا يملك لها درأ – إلا بوسيلته العاجزة " الصبر " والاحتمال ومـن هـذه الأمـور كمثال الاعتقـاد فـي الحسـد كـأمر وارد فـي الـديانات

السماوية، والاعتقاد في بعض الغيبيات التي لا سند لها مـن الواقع، والتي يسلم المصري بنتائجها تسليمه بقدره، وإيمانـه بأن ا وحده هو الذي يمكنه أن يرفع عنه ما يصيبه من بلاء بسببها ... أو من جراء اعتراضها لمسيرة حياته، وتعويقهـا لمساره.

وأقوال أنه يجابه كل ذلك بوسيلته العاجزة... لأنـه حيال هذه الأمور لا يجد ما يعمله سوى القول الخاضـع ... " العمل عمل ربنا" أو " قول : يا رب ". فالمصـري يقابـل تصاريف القدر بالصبر والسلوى، ويتألم حسرة إذا لم يصب مرامه، أو يحقق هدفه ... معتقدا أن ذلك بسبب سوء الحظ، الذي غالبا ما يرجع إليه كل إحباط يصيبه.

وقبل أن ندخل في تعريف الفلسفة المصرية حيال ما يصيب البشر من نكبات، أو ضربات حظ غير مبـررة ... سنتناول أولا سمة " التدين " وكيف انعكسـت بجـلاء فـي الأمثال الشعبية الداعية إلى الاتكال على ا ، والاعتماد عليه في كل الأمور، كالعمل، والرزق والعطاء، والانتقام، والتدبير، والغيب، والستر، والنصر، وهو قبل كل ذلك مؤمن

إيمانًا عقلانيا مطلقًا بالله، لا يمكن التشكيك فيه ... فالمثل المصري يقول:

- ربنا ما شفناه بالعقل عرفناه.
- ربنا كبير ( أي لا تعلوه قوة).
- ربنا موجود.
- ما يعلم الغيب إلا الله.
- ربنا هو المنتقم.
- سلم أمرك لله تسلم ( دعوة صريحة للاتكال على الله ).
- اتكل على اللي خلق الخلق ( دعوة صريحة للاتكال على الله ).
- الخيرة فيما اختاره الله ( رضا بأي شيء).
- خد من عبد الله واتكل على الله.
- اللي سترها في الأول يسترها في الآخر ( أو في الثاني).
- قولي يا رب.
- النصر من عند الله.
- تبات نار تصبح رماد. لها رب يدبر.

فالمصري يعتبر النصر والستر، وتـدبير الأمـور، وعلم الغيب والقوة والقدرة على الانتقام من عند ا ، فليعتمد عليه في هذه الأمور، وإن لم يخل المثل من دعـوة للعمـل والسعي، خاصة في مجال الرزق ... ولكن بنسبة أقل، فالمثل يقول أيضا :

- إسعى يا عبد وأنا اسعى معاك.
- اعقلها وتوكل ( مثل عربي متـداول وهـو أصـلاً حديث شريف).
- استعنا على الشقا با ( تقال عنـد الشـروع فـي العمل).
- اعمـل لـدنياك كأنـك تعـيش أبـدا ... واعمـل آخرتك كأنك تموت غدا ( حديث متداول).
- إذا عزمت فتوكل على ا ...
- كبب وربنا المسبب.
- اعمل اللي عليك وسيب الباقي على ربنا.

فمع إيمان المصري بضرورة العمـل إلـى جانـب الاعتماد على ا – فهو الرازق – نجد بعض الأمثال ترجع مسألة الرزق كاملة ... دون دعوة للسعي والعمل – وهو

ما سنناقشه فيما بعد في الحديث عن الجوانـب الاقتصـادية المتعلقة بالمال والأعمال – وإن أشرت هنا إلى بعض الأمثال التي تبرز مدى اتكال المصري – ولا أقول تواكله – علـى ا اتكالاً مطلقًـا كقـوة إيمانيـة تعينـه علـى اسـتمرار الحياة، وتحمل ما قد يصيبه من انقطاع رزقه، أو كسـاد تجارته ... ومن هذه النماذج الأمثال القائلة :

- مطرح ما ترسي دق لها ( أي لا تعاند القدر).
- اجري يا ابن آدم جرى الوحوش غيـر رزقـك لـم تحوش.
- قال اجري ومد ... شيء يهد (دعوة للتواكل).
- ربك يرزق الهاجع والناجع والنايم على صماخ ودنه.
- اللي خلق الأشداق متكفل بالأرزاق.
- من كان رزقه على ا فلا يحزن.
- أنت تريد. وأنا أريد ... وا يفعل ما يريـد ( عـن المصير كله).
- ربك رب العطا يدي البرد على قـد الغطـا ( عمـا يصيب الإنسان من بلاء).
- ربنا قبل ما يبيلي بيدبر.

- بيخلق في قضاه رحمه (لأنه ا ).

وفي هذا الاعتماد والاتكال المطلق علـى ا نجـد المصري يعتمد على حدسه في ذلك، فهو يرى إن :

- قلب المؤمن دليله.
- النار ما تحرقش مؤمن.

فشرط الاتكال مع إصابة الخير، واتقـاء الأذى هـو الإيمان المطلق، فـالمؤمن هـو الـذي يعتمـد علـى ا فيعطيه، ويكفيه الأذى، وينتقم له أو ( نيابة عنه)...

وعدا الإيمان با ، نرى المصري اتكاليا بوجه عام، فهو يعتمد على أن الأمور تسير في اعنتها، ولا داعـــــي للحرص أو الحذر ... أو الحكمة والتدبير، فمـا سيصـيبه سيصيبه مهما احتاط أو تحسب، فالمصري يؤمن إيمانًا خفيا بأنه مسير لا مخير، وذلك ما تدل عليه أمثالـه الشـعبية ... فهو لا يحسب حسابا للغد ويترك نفسـه نهبـا للأيـام ومـا تقدره... ويصل ذلك أحيانًا إلى حـد الاسـتهتار بـالخطر والإسراف على النفس ... فالمصـير أو كـل مـا يصـيب الإنسان لا يد له فيه، فالمثل يقول:

- إن حلي لك زادك كله كله، ها يجي يوم مـا تقـدر تشمه.
- اصرف ما في الجيب يأتيك ما في الغيب.
- إن جالك الفرج انهبه نهيبة.
- كل الدود قبل ما ياكلاك.
- من عاش بالحكمة مـات بـالمرض ( فـلا داعـي للحذر بل اتكل).
- سيبها لما ييجي وقتها ( وقتها يحلها ربنا).

وإيمان المصري وتدينه هو الذي دعاه إلى الاتكـال على قدرة ا في تصرف معظم شـئونه ... لـيس اليـوم فقط... لكن عبر كل العصور ... فالدكتورة نعمـات فـؤاد تقول عن تدين المصري: إن الإيمان الصفة الأولى لمصـر فحضارتها منذ البداية دينية [١] ولذلك فقد أفردت فصـلاً أو عدة فصول للحديث عن فكرة أن حضارة مصر دينية، وقالت بأنها فلسفتها تقوم على أربعة عناصر هي : النور، والسماء، والماء، والحجر ... وهي في الوقت نفسه عناصر الشخصية المصرية والفلسفة المصرية ... مع ولـع بـالرائع وتعلـق

(1) نعمات فؤاد : شخصية مصر . ص ٤٥ .

بالأعلى ... واستمراء للعمل الجميل ... يجري عليها فترتفع الشوامخ من أعمالها معابد ... ومساجد وفنونًا وعلومًا وحكمة ... تعلمت مصر من الحجر الصبر ومن النور البهجة ومن الماء الرقة والعذوبة، ومن السماء الرحمة والسعة [١].

ولا يتسع المجال هنا إلى استعراض كل النقاط التي أوردتها الدكتورة نعمات عن إيمان المصري، وتدينه الذي خلق لديه قدرة فائقة على الخلق، والذي كان مصدرا لقوة شخصية المصري، وليس لتبعيته أو ضعفه، وهو ما سيتضح لنا من استعراض الأمثال التي تعبر عن إيمان المصري، ليس بالله فقط ... ولكن بكثير من الأمور الأخرى... النابعة من إيمانه المطلق بالله وقدرته وتسييره للأمور ... فإيمان المصري بأن " المقدر والمكتوب " له سيراه إيمان لا حدود له ... فالمثل المصري يرى أن :

- المكتوب على الجبين لازم تشوفه العين.
- المكتوب ممنوش هروب.
- اللي منه هلبت عنه.

---

([1]) المرجع السابق ، ص ٤٦ .

- ساعة القدر يعمى البصر (ساعة القضاء).
- الحذر ما يمنعش قدر.
- يا هارب من قضايا ... مالك رب سوايا.
- خارج م الحريقة قابله الغـراب زغطـه (لأن ذاـك قدره).

والمصري يعتبر الرضا بالمقدر والمكتـوب حتميـة وضرورة فبعض الأمثال تدعو لذلك قائلة:

- ارض بالمكتوب.
- مقدر ومكتوب ( أي لا مفر منه).
- امتحان من ربنا ( لا بد من التسليم به).
- اللي كتب غاب.

ومع ذلك يلوم المثل المصري، من يخطئ ويتصرف بحمق ثم يدعي أن ذلك قدره وما كتب عليه، ويسخر المثـل منه قائلاً :

- يفتح عينه للدبان ويقول دا قضا الرحمن [١].
- العاجز في التدبير يحيل على المقادير.

---

([1]) وتقال أيضا بمجون وتحامق ( يعري طيزه للديان ) .

- أنا كل مـا أقـول التوبـة ... ترمينـي المقـادير ( تغني أيضا في موال). وزيــادة فــي الســخرية من مقدرات البشر. وأقــدارهم يقــول المثــل الشعبي:
- خلــق نــاس وتحفهــم وكبــب نــاس وحــدفهم ( أو اختصاره).
- قدر ولطف ... وكبب وحذف ...

هذا ويرضى المصري بالمقدر له. لكنـــه يـــرفض انتظاره ... فإذا كان فليأت ... وسنتقبله ... بحلوه ومره ... فيقول المثل في ذلك :

- نزول البلا ولا انتظـاره ( وتقـال أيضـا وقـوع البلاء ).
- قال: نام لما أدبك : قال " شيء يطير النوم".
- مفيش أمر من الانتظار.

ويفرق المصري بحكمة بليغة ووعي شديد بين كثير من الأمور التي تصادفه في حياته، فهو يفرق بين " المقـدر والمكتوب" وبين " النصيب والقسمة" ... و " الحظ والبخـت" بذكاء شديد ... وترى دكتورة فاطمة المصـري أن إيمـان

المصري بهذه المسلمات يرجع أيضا لتدينه الشديد، فهي تقول " إن الشعب المصري يؤمن بالقضاء والقدر ... ويرضى بما قسمه ا " وذلك كنتيجة للنزعة الدينية المتوارثة، وقـ ـد لا يكون ذلك دليلاً على تمسك العامة بدينهم. ولكن هناك صفات مصاحبة ... لها من الأثر ما يفوق الصفات الأساسية ولذلك نجد القدرية والرجعية والكـ رم والتسـ امح تعتبـ ر صـ فات مصاحبة للتدين، ولها أثرها الواضح في الجماعة [1].

وترى أيضا أن الإنسان المصري مستسـ لم خـ ائف خاضع راض – طيب السريرة، ساذج ( خاصة في الفئـ ات الدنيا كالفلاحين الفقراء ) ... وهو متواضع ومغلوب علـ ى أمره ... وهذه كلها سمات ترتبط في رأيـ ي أيضـ ا بتـ دين المصري واتكاله وتسليمه بالقدرة الأعلى، التـ ـي تسـ ـير وتصرف أموره، وهي التي جعلته يـ ؤمن بـ الحظ والبخـ ت إيمانه بالقدر والمكتوب الذي لا مهرب من التسليم به.

هذا وقبل أن نتناول الأمثال التي تعبر عـ ن إيمـ ان المصري " بالحظ والبخت" لابد أن نناقش أولاً مفهومه لهاتين الكلمتين ... وفقًا لما ورد في تحليل هذا الفهم لدى عدد مـ ن

---

([1]) فاطمة المصري، الشخصية المصرية، ص ١٤٥.

الباحثين، وكنموذج : أشارت دكتورة فاطمة المصري إلى أن الإنسان المصري يرجع الفشل إلى البخت والقـدر إذا كـان متعلقًا بنفسه، أما إذا تعلق بغيره، فيرجعه إلـى التبـذير أو التجبر أو الانتقام العادل من ا ، فالإيمان بالحظ والبخت هو الذي جعل المصري ما زال متمسكًا بالكثير من الأمثال التي تؤكد جانب الحظ، وتغلبه على الاجتهاد والعمل ... وذلك ما يجعل حتى المثقفين يلجئون أحيانًا للعمل بالغيبيات للتعـرف على الطالع ومستقبل الأيام، وما يخبئه القدر. وأتفق معها في ذلك ... مع إرجاع الأمور إلى أصلها وهي أن هذه القناعات والممارسـات ترجـع إلـى إيمـان المصـري با ، مصرف الأمور كلها، مع إيمانه بأنه " لا يعلم الغيب إلا ا " ... لكن المصري يلجأ إلى معرفة الغيب بفتح المنـدل وقراءة الطالع في الفنجان، أو الكف حينما ييأس، وتحيط بـه الكوارث من كل حدب وصوب، ويطول أمدها دون أن ترفع عنه الغمة، ولا يعرف ذلك مبررا أو سببا ... فلا يلجأ إلـى مثل هذه الوسائل إلا اليائسون المبتلون، وليس السـعداء ... فالإنسان المصري بعفويته المعهودة، أطلق أمثالاً عن " القدر والحظ والبخت" تعبر عن فلسفة عميقة، وتفرق بين كل منها

تفرقة دقيقة، فالمصري يفرق بين " الحظ " السـريع الـذي يجب ألا يفوته ركبه المنطلق، وبين " القدر " العـادل الـذي يجب أن يرضى به، لأنه كما يقول أبو سنة في "فلسفة المثل الشعبي": إننا نؤمن بعدالة القدر وبلاهة الحـظ ولـذلك أورد نصا أو اقتباسا طويلاً، يفسر هذا المعنـى بـأدق أسـاليب التعبير– التي قد أعجز عنها– وإن كنت سأورد بعدها نماذج من الأمثال تؤكد هذا التفسير العميق لمفهوم المصري للقـدر والحظ والبخت وتفريقه بينهما ... إذ يقول أبو سنة نصا :

" وإذا أردنا تصنيفًا فكريا لهذه الكلمات فإننا نستطيع أن نقول: إن القدر كلمة دينية خالصة – أما الحظ والبخـت فكلمتان اجتماعيتان، لهما تاريخ حافل بالسعادة والشقاء فـي حياة البشر. فإذا نظرنا إلى الكلمات الثلاث من خلال وظائفها وجدنا أن:

١ – القدر هو التصرف المطلق بطريقة كلية.

٢ – الحظ أشبه بالثري الأبله الذي يمنح بلا وعـي ويبذر، أموال في جيوب لا تنتظر منه شيئًا فهو كثير ما يدي الحلق للي بلا ودان.

٣ – البخت هو إله خامل فاشل يقود ضحاياه إلى متاعبهم وآلامهم.

ومن هنا ندرك أن القدر أقرب إلى المعتقد الأخلاقي الذي يدرك الجانبين المتنابذين، الجانب الخير والجانب الشرير، وهو في النهاية يفرض على الجميع عدالته المطلقة كما أنه لا يترك الأمور تعتنق سليقتها بل يوجهها ... ويعمل دائبا من وراء ستائره الكثيفة. ولكنه للأسف يترك على الأرض سفراء ليسوا بالذكاء الكافي لتغطية وقاره في أعين ضحاياه " أو رعاياه" فالحظ يعطي الحلق للي بلا ودان وهو ابن بكر للمصادفة العمياء ... وهو يمارس دوره في حدود الشخصيات لا في حدود الأمم أو الجماعات فهو أشبه بمغامر مخمور يوزع هباته بطريقة لا عدل فيها ولا وعي [١].

ولكن كيف عبرت الأمثال عمليا، أو وفقًا للدراسة التطبيقية عن ذلك ... تقول الأمثال معبرة عن علاقة البخت بالمهارة والعمل المتقن كعلاقة عكسية :

- قيراط بخت ولا فدان شطارة.
- سبع صنايع والبخت ضايع.

---

([1]) محمد إبراهيم أبو سنة " فلسفة المثل الشعبي " ص ١٠١.

- سبع صنايع في ايديه والهم جاير عليه.
- ناس تتعب ولا تكسبش وناس تكسب ولا تتعبش.
- أن عمل مهما ( واللا ما ) عمل متعـوس وخايـب الأمل.
- الحظ لما يآتي يخلي الأعمى ساعاتي.
- بتيجي مع العمي طابات ( ويقـال مـع العـور أو الهبل).
- يدي الحلق للي بدلا ودان ... ويـدي الفـول للـي بلا سنان.
- حظ في السحاب وعقل في التراب.
- اعمل أنت يا شقي لده المتكي.
- اجري يا مشكاح للي قاعد مرتاح.
- يا حمار العريس بيدعيك قـال " يـا للسـخرة يـا لكب تراب".
- السعد ما هوش بالشطارة.
- جينا نتاجر في الحنا كترت الأحزان.
- جيت اتاجر في الكتان ماتت النسوان.

وعن مفهوم الحظ الأهوج لدى المصريين، وأنــــه سريع غير متأن، يمكن أن يرفع الشخص من أسفل إلى أعلى بسرعة، دون منطق أو مبرر، تعرف الأمثال الحظ بأنه:

- خبطة حظ أو ضربة حظ ( كنايـة عـن السـرعة وعنصر المفاجأة).
- الحظ ابن لحظة...
- العناية صدف ( أي يا بخت من تصادفه).
- ساعة الحظ ... ما تتعوضش ( أي لا تـأتي مـرة أخرى).
- حسـك تفـوت الحـظ إن كـان حابـك ( بمعنـى السرور والانبساط ).
- يا صابت يا خابت ( أي مرة واحدة لا تكرار لها).
- صابت يا اتنين عور ( في المعنى نفسه).
- السعد وعد ( أي دون ميعاد أو ترتيب مسبق).

وتعبيرا عن حتمية البخت، وكأنه قدر لا فكاك منه، ولا يمكن تغييره – ولا بفروغ الأجل – تقول الأمثال بلهجة ساخرة من قليلي البخت أو الحظ، والتعساء :

- شرد من الموت وقع في حضر موت.

- عديم البخت يلاقي العظـم فـي الكرشـه ( وتقـال قليل البخت).
- قليل البخت عضه الكلب في المولد.
- جت الحزينة تفرح ملقتلهاش مطرح.
- سلم من الدب وقع في الجب.
- راحت من الغز هاربة قابلوها المغاربة.
- ربنا ما يقطع بيك يا متعوس يـروح البـرد ييجـي الناموس.
- جيت أغير البخت لبخت...
- المغلوب مغلوب وفـي الآخـر يضـرب الطـوب ( أي يعمـل فـي ضـرب الطـوب فـي الآخـر أيضا).
- من يوم ما ولدوني في الهم حطوني.
- على ما يسعد المتعوس يكـون فـرغ عمـره ( أي سيئ الحظ طول عمره).

وترى الأمثال أنه لا مفـر لإنسـان مـن بختـه أو حظه، فإذا كان تعيسا فلا سبيل إلى تغير حظه، مهما فعل أو حاول التغيير، أو حتى الاعتراض على بخته، فحظه يتبعـه

أينما ذهب، ولا مفر منه، ولا سبيل لتغييره، وتؤكـد ذلـك الأمثال القائلة بسخرية وبأسلوب فكه، يضحك بقدر ما يؤلم:

- يـا بخـت مالـك مـن دون البخـوت لبخـت ... قال : إن ما كنت تسكت ها اسقط شوية لتحت.
- بختي لقاني في الطريق يعرج قاللي، إرجعـي يـا خايبة لأرقد.
- قلت لبختي أنا رايحة أتفسـح ... قـال لـي وأنـا مانيش مكسح (أي سآتي معك).
- قلت لبختي أنا رايحة للجيران، قال، وأنـا مـانيش تعبان.
- قلت لبختي أنا رايحة لأهلي، قـال وأنـا أمشـي واحدة واحـدة علـى مهلـي ( أي مهمـا حاولـت الهرب منه فهو سيتبعك).
- المنحوس منحوس ولو علقوا في راسه فانوس.

وذلك لأن:

- البخت يتبع أصحابه.

ولذلك فإن:

- بختها معها معها منـين مـا تمشـي يتبعهـا ( إذا كان حسنًا أو سيئًا ).
- له في كل خرابة عفريت.
- ارميه البحر يطل وفـي بقـه سـمكه ( لأن الحـظ الحسن أيضا تابع لصاحبه مهما حدث ).

ولكن ما هي الحظوظ السيئة؟ وما هي الحظوظ الحسنة؟

وكيف عرفتها الأمثال؟ وذلك ما سنعرفه تحديدا مـن مجموعة أمثال تناولتها بسخرية أيضا، فقالت:

- يا بخت مـن كـان النقيـب خالـه ( فـلا داعـي للمهارة فذلك حظ له).
- من سوء بختي حبوني الكلاب.
- عيشك يحلى لي يا خالي، قال ده من سـوء بختـي يا ابن اختي.
- عيشك كويس يا خالتي، قالت: مــن ســوء بختــي يا بنت اختي.
- بختك يا أبو بخيت( أي ما قسم لك).
- خبطتين في الراس توجع.

- الفقي لما يسعد تيجي له ختمتين فـي ليلـة ( مـن سوء الحـظ أن لا يـوزع الـرزق علـى الأيـام لنستطيع السعي له وجلبه).
- جارية تخدم جارية دي داهية عاليـة ( وهـي مـن أمثال عصر المماليـك الـذي كـان الحـظ فيهـا يصعد ببعضهم إلى الإمارة).

وعن التفاوت في الحظوظ بين الناس، وهو أمـر لا مبرر له أو يجب ألا نحاول تبريره، بل نسلم كما يقول المثل بأن:

- ناس تاكل البلح، وناس تنضرب بالشماريخ.
- ناس تاكل البلح، وناس يترموا بالنوى.
- ناس ليهم العنب، وناس ليهم الحصرم.
- شخوا علي كلكم، يا للي الزمان خلاني لكم.
- من لقى بخته، خرى تحت وجـاب عـدي البخـت يمسح له [١].

وعن الحظ الحسن يعبر المثل قائلاً :

- جت له على الطبطاب ( وهو أول قطفة في البوظة).

---

([1]) وقد أوردت هذين المثلين رغم ما بهما من ألفاظ نابية لبلاغتها في التعبير.

- باضت له في القفص ( أي لن يبحـث عنهـا فهـي عنده).

وعن الحظ السيئ يقول المثل:

- من حفرة لطوبة يا قلبي لا تحزن.
- تخلص من حفرة تلاقي دحدوره.
- يطلع من نقرة يقع في دحديره.
- في حزنهم مدعية وفي فرحهم منسية (عـن سـوء الحظ مع الناس).
- يا فرحة ما تمت خدها الغراب وطار.
- جيت أدعي عليه لقيت الحيطة مايلة عليه.
- يا قلة بختي ( وتقال في التحسر).

والمثل يعتبر أن الحظ بحلوه وبسوئه من عند ا ، ومقدر للشخص، ولا يد له في تبديله، بـ ـدليل الاسـ ـتفهام الاستنكاري القائل :

- حد بيقول يا رب اتعسني؟!
- حد يبقى القلم في إيده ويكتب نفسه شقي؟!

ورغم ذلك نجد المثل الشعبي يدعو إلـى اقتنـاص الفرصة إذا عثر المرء على بغيته ومناه، وإن ورد ذلك فـي مثل واحدة انتهازي يقول ناصحا المرأة:

- خدي بختك من حجر أختك (أو حضن أختك).

وهو اختصار للقول:

- إن لقيتي بختك في حضن أختك خديه وأجري.

وهو في تصوري معنى مجازي لا يعني التركيـب اللفظي ذاته ولكن يعني أينما وجد البخـت علـى الإنسـان اقتناصه رغم الاستحالة.

ولهذا يرى أبو سنة – وأتفق معه – أن :

هذا المغامر المسمى بالحظ قادر بطريقته الخاصـة على نقلنا من أدنى درجات السلم إلى المراقي العالية.

والحقيقة أن الحظ والبخت والنصيب مجـرد أقنعـة غامضة تستر طبيعة المتناقضات في هذا الواقع، وتخفــي أعراض العلاقات الاجتماعية في المجتمعـات المتخلفـة ... ووجه المجتمع الدميم الذي ينضح بالرشوة... والفسـق ...

والنفاق ... والوساطات لا يجد من المساحيق إلا مثل هـذه الكلمات الخادعة وهذا ملاحظ في واقع سلوكنا اليومي [١].

وهي على أية حال كلمات نعبر بها عما يصيبنا مـن إحباط غير مبرر ... أو هي وسيلة تعيننا علـى تحملـه ... بإسناد كل الأمور إلى الحظ والقدر والنصيب ... بدلاً مـن تسمية الأمور بمسمياتها الحقيقية – والموت غيظًا أو كمدا – وإن كانت الأمثال تشير إليها بطرف خفي كما فـي القـول السابق الإشارة إليه:

- يا بخت من كان النقيب خاله.
- اللي له ظهر ما ينضربش على بطنه.

وتضيف الأمثال لونًا آخر من المسلمات الغيبية، التي تقحم نفسها على مسيرتنا، ويسمونها القسمة والنصيب، ترى أن لها حظها أيضا من الالتزام بأصـحابها والبحث عنهم وتتبعهم لتلقاهم وتعطـيهم المقسـوم لهـم أو نصيبهم من الدنيا، حتى لو لم يكونوا من الموعودين بـه أو المنتظرين له ... ومن الأمثال الشائعة عن القسمة والنصيب والقائلة بتحكمها في كل شيء.

---

([1]) إبراهيم أبو سنة ، فلسفة المثل ، ص ١٠٢ .

- كل شيء قسمة ونصيب.
- الجواز قسمة ونصيب.
- اللقا نصيب.
- اعزم واكل العيش نصيب ...
- اللي من نصيبك يصيبك ( أو لازم أو لابد يصيبك).
- كل واحد بيأخد نصيبه محدش بيأخد إلا نصيبه.
- النصيب بيدور على صاحبه.
- قل لن يصيبنا إلا ما كتب ا لنا( من القرآن الكريم).
- مش هايصيبك إلا نصيبك.
- اللي من نصيبك محرم على غيرك.
- محدش بياخد نصيب حد.
- ده للمقسومين مش للموعودين.
- إرض بنصيبك تعيش.

وكل هذه الأمثال في معنى واحد، مـع اخـتلاف الصياغة في الألفاظ تقديما وتأخيرا ... ولكن المثل الشـعبي الذي يعطي النصيب بعض سمات القدر والبخت من حيـث لزوميته لصاحبه وتتبعه له، والاعتقـاد فـي أنـه مكتـوب

لا مهرب منه، ولابد من الرضا به، بل إن الرضا بـه مـن الإيمان بدليل المثل القائل : " الرضا بالمقسوم عبادة".

يمنحه أيضا صفة مميزة له، وهي أنه غير طائش، بل إنه يعطي لمن يستحق وذلك يتضح في الأمثال القائلة:

- لكل مجتهد نصيب ( في معنى من جد وجد).
- إذا حضـرتم القسـمة فاقتسـموا (أي أن الوجـود يعطي الحق في نصيب).
- الغايب مالوش نايـب ( أي مـن يتـأخر أو يغيـب يضيع نصيبه).

ويؤكد المثل أيضا أن النصيب والقسـمة لا يمكـن الاغترار بامتلاكهما لمجرد الاقتراب منهما، أو كونهمـا أمامنا، أو في أيدينا ... فإن العبرة بالنهايـة فـي مسـألة النصيب وقد عبر المثل عن هذا المعنى في قوله:

- تبقى في بقك وتقسم لغيرك.
- تكون في إيدك وتقسم لغيرك.
- قالوا للبايرة جالك عـريس قالـت: مـش حصـدق إلا لما أعنق.

هذا وسنجد الكثير من الأمثال التي تعبر عن القسمة والنصيب، ودورهما الفاعل، خاصة في الزواج والحـب – حيث سنتناول هذا الموضوع في حينـه – لكنـا نؤكـد أن النصيب والقسمة قد أدرجهما المثل الشعبي، والأقـ ـ ـ ـ وال والتعبيرات الشعبية كوسائل لمواجهة الإحباط، أو فـ ـ ـ وات الإنسان لشيء ما، معللاً ذلك بأنه :

- ماليش نصيب فيه.
- ده مش من نصيبي.

أو الاكتفاء بالقول:

- قسمة ونصيب

ومنحها المثل الدوام والملازمة لصاحبهما كما فـي الحظ العسر، كما يتضح من المثل القائل:

- قسموا القسايم خدت أنا كومي، قالوا، مسكنية !! قلت من يومي.
- المتعـوس متعـوس ولـو علقـوا فـي راسـه فانوس(*)

(*) وتقال أيضا تأكيدا للاستحالة " لو علقوا على باب طيزه فانوس ".

وهذان المثلان بالذات يؤكدان لنا لما سبق أن ذكرنا عن ملازمة الحظ والبخت والقسمة والنصيب والمقدر والمكتوب للشخص وعدم إمكانية الهروب منها ... فالمثل الشعبي يؤكد على ديمومة واستمرار طابع ما يصيب الفرد طوال حياته، وكأنه بذلك يؤكد له أنه لا داعي لمحاولة التغيير حيث لا فائدة من ذلك نهائيا ... ويعبر عن ذلك إبراهيم أبو سنة إذ يقول :

" إن الاستخدام العربي قد جعل كلمة البخت ظلاً قاتما على مصائب الناس التي يلحق بهم الفشل المتكرر في حياتهم " [1].

ويعود أبو سنة ليؤكد في موضع آخر أن :

" البخت بتعبير أوضح. وفي غالب إطلاقاته، هو مجموعة الظروف الفاشلة، أما الحظ فهو المصادفة الخارجية. وقد توسعوا في كلمة البخت حتى أطلقوها على مطلق الغيب والمجهول. وإذا أردنا التحديد وجدناه " القانون العام لحياة الشخص. وهو الطابع الملازم الذي يعود في أصله إلى أم الكتاب. ولهذا نراهم يطلقون على العرافات

---

(1) إبراهيم أبو سنة ، فلسفة المثل ، ص ١٠٣ .

" قارئات البخت" أي أنه التصميم الأزلي لمواليـد الأبـراج السماوية عند الفلكيين ... حيث تكتـب لبعضـهم السـعادة الأبدية. وللبعض الآخر الشقاء الخالد، فهـو خـط طـولي للأحداث الشخصية ينتهي مع الحياة كما بدأ معها ... وهـذا الاستعمال الشائع الآن لكلمة البخت مأخوذة من إيمان بعض الناس فيما تقوله العرافات أو قارئي الكف للكشف عن الخط العام لحياته المرسوم في لوح الأزل "[1].

هذا ولابد من الإشارة هنا إلى أن إيمـان المصـري بكل هذه الأمور الغيبية، لا يرجع فقط إلى تدينـه ... لكنـه كمعظم تراثه الثقافي الذي ما زال يعتنقه ويمارسه حتى الآن يرتبط بنمط تفكيره الحسي غير العلمي ... ويشير د. سـيد عويس إلى أن هذا النمط من التفكير غيـر مقصـور علـى الفلاحين والجهلاء بل إن بعض المثقفين والكتاب يتناول في الصحف اليومية والأسبوعية أمورا عن :

" السحر وقراءة الكف والفنجان والرمـل والـودع والمندل وقراءة السحب والبـرق وأوراق الشـجر والعمـل

---

([1]) المرجع السابق ، ص ١٠٤ .

والنفخ في العقـد والرؤيـا الصـادقة واستحضـار الأرواح وتجسيدها" (١)

ويعلقون على ذلك بأن هذا ممكن ومعقول ولا يتنافى مع العلم والدين، وأن العقل لا يستطيع أن يرفض ذلك؛ لأن العقل محدود، والـدين يؤكـد مـا تـذهب إليـه هـذه المعتقدات، ويشير إلى نماذج كتابات أنيس منصـور كمثـال على صدق قوله.

هذا ونجد أنه نتيجة لإيمان المصري بأن مصيره قد حدد مسبقًا في اللوح المحفوظ، وأنـه لا سـبيل إلـى تغييره، حيث إنه "قد جفت الأقلام ورفعت الصحف" التـي دون فيها نصيبه من الدنيا وكتبـت فيهـا خطواتـه التـي يمشيها، وهو إيمان نابع من تدينه العميق، وقناعتـه بـأن "الإنسان مسير مش مخير" في هذه الحياة. أقول نتيجة لـذلك نجد أن المصري لم يجد بدا من التعايش مع قـدره بالتسـليم و"الرضا والقناعة" وهي أمور عبر عنهـا المثـل الشـعبي بمنتهى الدقة، ودعى إليها كوسيلة لتحقيق السـلام النفسـي للأفراد، مهددا لهم أيضا بـأنهم إن لـم يرضـوا ويسـلموا

---

(1) د . سيد عويس ، الازدواجية في التراث الديني المصري ، ص ٣٦ .

فسيصيبهم ما هو أشد وأنكى ... وكنموذج لما قيل في هـذا الصدد من أمثال :

- رضي وعين جبنة والتانيـة مـش ( أي مضـطرا للرضا).
- اللي ما يرضـى بحكـم موسـى يرضـى بحكـم فرعون (نتيجة لعدم الرضا).
- اللي عاجبه ده الكحل يتكحل، واللي مـش عاجبـه يرحل.
- لو علمتم الغيب لرضـيتم بـالواقع (مثـل عربـي متداول).
- اللي يبص لفوق يتعب أو توجعه رقبته...

ويدعو المثل الشعبي إلى الرضا والقناعة بالقليل، أو حتى بالبلاء والشر وما يصيب المرء من حادثات، فيقــول المثل بشكل مباشر ودون مواربة:

- الأعور وسط العميان ملك.
- نص العمى ولا العمى كله ( الطشاش ولا العمى).
- شيء أهون من شيء ( شيء خير من لا شيء).

- الحمد   اللي جت على قد كده (تقال كدعوة للرضا بما أصاب).
- أدي ا   وأدي حكمته.
- كده رضا.
- ما كل ما يتمنى المرء يدركه ( مثل عربي متـداول بين العامة).
- القناعة كنز لا يفنى (عربي متداول).
- القناعة مال وبضاعة.
- عصفور في اليد ولا عشرة على الشجرة ( أو فـي الغد).
- بيضة النهاردة أحسن من فرخة بكره ( في الرضـا بالموجود وعدم التطلع).
- اقنع بالحاضر على ما ييجي الغائب.
- ارض بما قسم ا   لك تأتيك السعة (عربي متداول).
- من رضي بقليله عاش.
- غنى النفس هـو الغنـى الكامـل (دعـوة للقناعـة والرضا).
- عز من قنع وذل من طمع ( مثل عربي متداول).

- أقله أبركه.
- أقل موال ينزه صاحبه.
- اللي عنده عيش وبله عند الفرح كله ( أو الخير كله).
- إن حضر العيش يبقى المش شبرقة.
- بخمسة قهوة تقضي الشهوة.
- بيضتها أحسن من ليلتها ( وهو فـي معنـى المثـل العربي قليل دائم خير من كثير متقطع).
- افتكاره رحمة ( ويضرب فـي ضـرورة الرضـا بالمرض).

فا في كل ما يصيب البشر " له في ذلك حكمة "، و " دي إرادة ربنا " وآدي السما وآدي الأرض ".

هذا وتحاول الأمثال الشعبية أن تصف حال الراضين بما لديهم، وبقليلهم، مركزة على الجانب المادي من الرضـا بالمقسوم، وذلك لأن الفقر كان وما زال أحد أهم البلايا التي عانى، ويعاني منها الإنسان المصري، وتجدر الإشارة إلـى أن فكرة القناعة والرضا فكرة مصرية قديمة، فمـن تعـاليم "كا أرسو" لابنه الأكبر:

"إذا جالست قوما فتعفف عن الطعام ولو كنت تشتهيه... فإنها برهة قصيرة تقهر الرغبة فيها ... وقد خسأ من شره جوفه" ... "رب حسنة تقوم مقام الخير كله ... ونزر يسير يغني عن الكثير كله " [١].

ويحاول المثل أيضا أن يصبر على كل مصاب، واعدا بما هو أفضل ... إذ تقول الأمثال عن الراضين بما لهم وما ينتظرهم :

- يشم ضهر إيده يشبع.
- زي بلد أبو راضي. المشنة مليانة والسر هادي.
- السكوت علامة الرضا ( ويضرب غالبا في الزواج).
- زي أبو قردان صايم عن زاد الدنيا ( أي زاهد فيها).
- رطل نحاس بيغني ناس (أي قليل لكنه يرضي).
- ما بعد الضيق إلا الفرج (وعد بالخير بعد الرضا والصبر).

(1) محمد عبد الحميد بسيوني ، آداب السلوك عند المصريين القدماء ، ص ١٠ .

كما يصف المثل الشعبي الإنسـان غيـر الراضـي أيضا، وغالبا ما يسـميه " البطـران " أو المتبطـر علـى النعمة، أو " رافس النعمة". ويتوعده بمـا هـو أسـوأ ممـا أصابه ... فتقول الأمثال عن البطر وعدم الرضا والطمع:

- البطر عقبه وحش.
- البطران عليه قطران.
- رفس النعمة برجله.
- الأكلانة تولد مية، وتقول يا قلة الذرية.
- لا يعجبه العجب ولا الصـيام فـي رجـب ( أي لا يرضى عن أي شيء).
- لما اتفرقت العقول كل واحد عجبه عقله، ولمـــا اتفرقت الأرزاق محـدش عجبـه رزقـه (فالكـل غير راض عما أصاب من رزق).

وتستمر الأمثال الشعبية في تناول موضوع الرضـا والقناعة بما أصاب المرء : لتضع قانونًا لذلك ... يدعو إلى الرضا بالمقسوم، وعدم السعي لما لدى الغير، أو التطلع إليه، حيث لن يغني ولن يسمن، أو يشبع ... بل إن عواقبـه قـد تكون المعايرة والمن والأذى ... إذ يقول المثل في ذلك:

– ألحس مسني. وأبات مهنى، ولا كباب ـــك اللـــي قاتلني.

– لقمة جاري ما تشبعني. وعارها متبعني.

– قطع الطشت الدهب إللى أطرش فيه الدم.

– شعيرنا ولا قمح غيرنا.

– كتاننا ولا حرير الناس.

- لقمة تحت الحيطة ولا خروف بعيطه.

- اللي ينشري ما ينشهى (أو اللي تشـتريه الفلـوس ما تشتهيه النفوس).

لكن المثل الشعبي يستنكر الرضا مرة واحدة، ويسـخر من عاقبته خاصة في التعامل مع الناي السيئين، والرضا بما يلحق المرء منهم، فيقول ساخرا بمرارة:

- رضينا بالهم. والهم مرضيش بينا.

وكأمر ملازم للرضا والقناعة نجد المصـري يتحلـى " بالصبر " والقدرة على الاحتمال مهمـا كانـت الشـدائد والمصائب مادية أو معنوية فالصبر وسـيلته الثانيـة بعـد الرضا والتسليم فالإنسان المصري صبور بطبعه، ويسـتمد قوته على الصبر والاحتمال من إيمانه أيضا، بل هو يـربط

دائما بين " الصبر والإيمان " ويعتبر الصبر امتدادا لإيمانـه العميق، وتسليمه ورضاه بكل ما يصيبه من ا .

ويشير د. سيد عويس إلى أن مفهوم الصبر ومشتقاته قد وردت في الكتاب المقدس في أسفاره وإصحاحاته ٥٢ مـرة، كما ورد هذا المفهوم، لفظه ومشتقاته في القرآن الكريم، في سوره وآياته ١٠٣ مرات [*].

ويصبر المصري على كل ما يصـيبه سـواء مـن ا أو من الغيبيات التي يؤمن بها، والممثلة كما سبق القول فـي القدر والمكتوب، والقسمة والنصيب، والحـظ والبخـت ... فالصبر عند المصري هو التبرير النفسي الـذي يصـطنعه لاحتمال تصاريف القدر، وهو كما يقول أبو سنة:

" مرحلة التعبئة الضرورية قبل الانطلاق، فـإن القـدر لا يصلح أن يكون تبريرا معقولاً في مجتمع تنهشه الأمراض الاجتماعية القاتلة، ويصبح هذا التلوث الخرب (القدر والبخت والحظ) مجـرد عربـة محطمـة علـى طريـق التـاريخ الطويل. [١]

---

[*] راجع د . سيد عويس ، الازدواجية في التراث الديني المصري ، ص٣٢ .

[١] إبراهيم أبو سنة ، فلسفة المثل ، ص ١٠٣ .

كما ترى دكتورة نعمات فؤاد أن الصبر "قدرة مصرية خاصة" وهو عندها أيضا نابع من " الإيمان الراسخ " الذي له رصيد في قلب المصري ... يعتبر كنزه المكنون ... إذ يملك المصري قدرة على امتصاص المحـن، وقهـر الصـعاب، والاستعلاء على الأحداث، نتيجة لثقته بـها ، ويقينـه بـأن النصر لابد أن يكون حليفه في النهاية ... ولذلك تقترن لـدى المصري عقيدة الحياة بالثواب والعقاب والجنة والنار والخير والشر، والإحساس بهذا كله هو بعينه الضمير ... الذي يجعل المصري – في رأيي أنا أيضا – يصبر على مـا يصـيبه، ولا يقابل الأذى بأذى، صابرا محتملاً ... وهو مـؤمن فـي قرارة نفسه، أنه سيعوض في الدنيا، أو في الآخـرة خيـرا جزاء لصبره ... وهذا أيضا نابع من إيمانه بـأن " ا ولـي الصابرين "، وأنه و " لئن صبرتم لهو خير لكم " ... مستلهما في ذلك الصبر، النبي " أيوب " مثال الصبر عند المصـري، والذي يستدعيه في مأثوراته قائلاً:

يا صبر أيوب.

فالنبي أيوب عند المصريين مصري ... وهو من ابتلـي بالمرض، فصبر حتى عجز الصبر عن صبره ... ويسـميه

المصريون "أيوب المصري" أو "أيوب المبتلـى" ... وبقـدر اقتناع المصري بضرورة التأسي بهـذا الصـابر العظـيم، مترسما خطوات سيرته، وكيف انتصر فـي النهايـة علـى المرض، وعلى الشامتين فيه ... وفـي هـذا يطلـق المثـل المصري العديد من الصفات على الصبر والصابرين، واعدا إياهم بكل الخير والفرج والعوض، وتحقيق الأمـل. ونـوال المطالب، وتحقيق الأحلام بل والمستحيلات، فالصـبر عنـد المصري خير دواء لكل داء، وله سمات جيدة. منها أنه طيب وخير، ومع ذلك نجد أمثالاً أخرى يائسة تسخر من الصـبر والصابرين بمرارة. وسأورد أولاً الأمثال الداعيـة للصـبر، والمحبذة له، والواعدة بالخير من بعده ... ثـم أتبـع ذلـك بالأمثال اليائسة الساخرة منه ؛ لنعقد مقارنة، ونقـدم تحلـيلاً كميا لمضمون الأمثال المصرية عن الصبر ؛ لنتعرف علـى الموقف المصري، من هذه الوسيلة الدفاعية ضد كل بلاء ... وهل حقًا يؤمن المصري بالصبر وجدواه ؟ نتيجة لتجربتـه الطويلة معه، عبر عصور من القهـر والعنـت، وشـظف العيش. أم أنه يضج منه ويسخر منه؟ وأي التيـارين أقـوى

لدى المصريين؟ وماذا قال المثل المحبذ للصبر والداعي له؟
هذا ما سنحدده في السطور التالية:

- الصـبر طيـب ... بـس اللـي يرضـى بـه( استدراك).
- الصبر مفتاح الفرج.
- الصبر جميل (أو خير).
- الصبر أحسن دوا.
- الصابرين بخير.
- الصابرين لهم الجنة.
- إن صبرتم أجرتم وأمر ا نافذ. مـ ـا صـ ـبرتم كفرتم وأمر ا نافذ.
- إن صبرتم نلتم وأمر ا نافذ، وإن مـ ـا صـ ـبرتم قبرتم وأمر ا نافذ.
- ما ضاقت إلا ما فرجت (بكره تفرج)
- العوض على ا .
- إذا اشتد الكرب هان (اشتدى أزمة تنفرجي)
- أصبري يا ستيت لما يخلى لك البيت.

- خليك في عشك لا يبجي حد يهشك (ويضـــــرب أيضا في عدم العجلة).
- شدة وتزول (تقال في المرض أيضا).
- طولة البال تبلغ الآمال (أو توصــــل للمحـــال وطولة العمر أيضا).
- المعيشة تحب طولة البال(خاصــة بــين الــرئيس والمرؤوس).
- طولة البال تهد الجبال.
- من صبر نال ومن لح ملوش.
- أصبر تنول (من صبر ظفر) أو صبر ونال.
- إللي يبجي في الريش بقشيش (كــدعوة للتصــبر على المصاب).
- ا جاب ... ا خذ ... ا عليه العوض.
- فرجه قريب (فرج ا قريب).
- إلي يصبر على المر لابد يدوق الشهد.
- وجع ساعة ولا كل ساعة (دعــوة للتحمــل أمــلاً في الشفاء).
- المؤمن دايما منصاب(فمن شيمته الصبر).

- يا قلبي يا كتكت ... اسمع الكلام واسكت.
- كل شـيء دواه الصـبر ... لكـن قلـة الصـبر مالهاش دوا.
- كل شيء في أوله صعب (أي اصـــبر حتـــى تعتاد).
- كل عقدة ولها حلال.
- اتقل على الرز يستوي.
- مسيرها تيجي البر ولو ألواح ( عن المركب).
- خللي أملك في ربنا كبير(أي اصـــبر ســيأتيك الخير).
- تيجي على أهون سبب بس أصبر.

وتستمر الأمثال المحبذة للصبر فـي تعديـد مزايـاه، والدعوة له طالما إن الإنسان يرغب في الخيـر، أو يسـعى لشيء في صالحه وهو طامح في تحقيق نفع من ورائه، فعليه بالصبر والتحمل، ومن جملة الأمثال في هذا الصدد :

- إللي يحب الدح ميقولش أح.
- مفيش حلاوة من غير نار.

- إللي يحب العسل يستحمل قرص النحل (أو يصبر لقرص النحل).
- إللي ينزل البحر يستحمل الموج.

أما عن الأمثال التي تضج من الصبر، وعدم القدرة على التحمل، وترد على الداعين إلى الصبر ومن يطلبون منه الاحتمال بأنهم لا يكابدون ما يكابده، فهي على أية حال لا تعادل كما الأمثال المحبذة للصبر، والواصفة له بكل الصفات الجيدة ... فهناك أمثال تصف الصبر بأنه :

- الصبر مر.
- الصبر حرق الدكان.
- بعد الصبر القبر (أو ما ورا الصبر إلا القبر)
- فرج صرمه خرج (من الصبر والتحمل)

وأمثال تضج من الصبر وترد على الداعين له قائلة:

- فاض بي الكيل. أو الكيل طفح (تعبيرا عن عدم القدرة على مزيد من الصبر).
- يا قلبي يا كتاكت ياما أنت شايف وساكت.
- إللي إيده في المية مش زي إللي إيده في النار.
- ما يشعر بالنار إلا إللي كابشها.

- النار ما تحرقش إلا إللي كابشها.
- إللي ياكل الضرب مش زي إللي يعده.

وبذلك نجد أن نسبة الأمثال المحبذة للصـبر والواعـدة بخير يعقبه. إلى تلك التي تصفه بالمرارة، وعدم الجـدوى، وتضج منه، وترد على الداعين له، حوالي ٣٨: ٩ ... وهذه النسبة تؤكد أن الشعب المصري في مجمل أحوالـه يفضـل الصبر، ويرى فيه خيـره ... وانتظـارا لسـعادته وتفـريج كرباته ؛ وهذا كما سبق القول نابع من إيمانه وتدينه: ولذلك لم يختلف كثير من الباحثين حول وصف الشعب المصـري بأنه شعب " صبور "، وقادر على التحمل ... بل يتخـذ مـن الصبر وسيلة لمواجهة الصعاب.

ويلعب الصبر دورا بارزا كضابط اجتمـاعي يحمـي المجتمع من كثير من الشرور التي قد تنـتج عـن رد الأذى بالأذى، بدلاً من الصبر عليه حتى ينـتقم ا ... فالمصـري يرى أن (دولة الظلم ساعة) وأن (الظالم له يوم) وهو يصبر انتظارا لهذا اليوم أن يأتي، بدلاً من المبـادرة بـالرد علـى الظلم، وقد أثبتت الأيام له صدق هذا المعتقد، وإلا لما بقيـت

كل هذه الأمثال تحبذ الصبر وتعدد مزاياه وتدعو له ... تاركة الأمور لتحلها الأيام، وفي ذلك أيضا قالت الأمثال:

- لو صبر القاتل على المقتول كان انقتل وحده.
- يا يموت العبد يا يعتقه سيده.
- صبري على نفسي ولا صبر الناس علي (أو صبر الجزار عاس).
- الجايات أكثر من الرايحات (وعد بأن الفرص آتية بكثرة للانتقام).
- أصبر على جار السوء يا يرحل يا تجيله داهية.

هذا ويختلف مفهوم الصبر عند المصري ... ويتدرج من قمة الاستعلاء إلى قاع الذلة والمسكنة ... فكما يلاحظ د. سيد عويس :

" إن المفاهيم الثقافية تتطور وتتغير، وإذا بقيت بألفاظها فإن معانيها في ضوء الظروف الثقافية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية في المجتمع تتطور وتتغير كذلك. فقد يعني اللفظ المفهوم معنى معينًا في ضوء ظروف معينة. وفي ضوء ظروف أخرى قد يعني معنى آخر والأمثلة عديدة ".

" فالصبر كقيمة اجتماعية قد يعني في بساطه (حبس النفس عن الجزع) والصبر بهذا المعنى قيمة اجتماعية إيجابية ... فالحياة الإنسانية لا تخلو من الجزع ... وهي كذلك لا تخلو من الطمأنينة، ومع ذلك فإننا نلاحظ أن مفهوم الصبر لا يعني حبس النفس عن الجزع دائما ... فقد يكون صبرا على الضيم ... وقد يكون صبرا على الإهانة. وقد يكون إذعانًا إلى حد الذلة والضعة. وقد يكون صبرا على ضياع الحقوق !" [١].

وأيا كان المعنى والمدلول الخاص بالصبر الذي يمارسه المصريون فهي سمة أساسية في الشخصية المصرية ... يمارسها العامة والخاصة بتسليم، والصبر نابع من التدين المصري الذي لا شك فيه ... وإن كنت أعتبر الصبر على الإهانة والظلم إحدى سلبيات المصري ... في حين أن صبره على المشاق وتحمله لها ... إحدى إيجابياته.

وكعادة الإنسان المصري في السخرية ممن يقحم نفسه في شيء فيصيبه الأذى ... يسخر المثل الداعي للصبر من هؤلاء قائلا:

---

[١] د . سيد عويس ، الازدواجية في التراث الديني المصري ، ص ٣٢ .

- اللي يكرى (طيزه) ميحسش عليها.
- اللي يعمل ضهره قنطرة يستحمل الـدوس (وتقـال أيضا في الخضوع).
- إللي يعمل خده مداس يستحمل الدوس.

ويسخر المثل من اللجوجين حتى في شـيء لا يعنـيهم فيقول:

- أصحاب الميت صبروا ... والمعزيين كفروا.

والمثل المصري يرى أن من لا يصبر كافر ... ذلك أنه يرى الصبر هبة من ا :

- الصبر من عندك يا رب (دعـ ـ ـوة لاسـ ـ ـتجلاب الصبر).
- يا رب ألهمنا الصبر.
- يا رب صبرنا...

وتحبيذا للصبر يدعو المثل الناس إلى المقارنـة، بـين مصابهم ومصاب غيرهم؛ حتى يهون علـيهم، ويسـتطيعون الصبر عليه وتحمله، فيقول:

- من شاف بلوة غيره هانت عليه بلوته.
- إللي يشوف بلاوي الناس تهون عليه بلوته.

هذا وتزخر الأمثال والتعبيرات الشعبية بـالكثير مـن عبارات التهوين من البلايا، وتصبير الناس عليها، بتقريـب البعيد ومحاولة استعجال الحل، ولو بالكلام أو الوعود بـأن الأيام تمر سراعا، وأن الوقت كفيـل بحـل كـل المشـاكل والمعضلات، وكنماذج على ذلك الأمثال القائلة:

- فات الكتير ما بقى إلا القليل.
- كل آت قريب (عربي متداول).
- ربنا يقرب البعيد.
- كلها شهر وشهير والتاني قصير و...
- كل شيء بأوان (أي أصبر ولا تلج ولا تقلق).
- أهي ليلة وتعدي (أو آهي ليلة فراقها صبح).
- كل شيء وله آخر (أو إللي له أول له آخر).

بعد كل ما أوردناه من أمثال عـن الرضـا والتسـليم والصبر والاحتمال، لا شك أن المصري – كنتيجة مستخلصة من واقع الدراسة التطبيقية: ميال إلى الصبر، فهو وسيلته في الاستعلاء على المحن واحتمالها، وترى دكتورة نعمات فؤاد أن المصري تعلم الصبر من الزراعة التي علمته " الصـــبر الطويل الرحيم، وسعة الصدر، والسكينة والمسالمة وطمأنينة

الرضا وجلال التواضع"، وأنا أرد كل هذه السمات، ليس إلى عمل المصري بالزراعة فقط - فهي عامل واحد - نضيف إليه العامل الأهم وهو التدين الذي علم المصري الإدراك العميق للأمور، والعشم في وجه ا . ولذلك فالمصري صابر مع عقيدة ثابتة بأن الصبر والاحتمال بطولة ... فهو بطل لا يبارى في القدرة على التحمل لدرجة الاستشهاد ... وإن كنت أرى أن المصري يبالغ أحيانًا في صبره!! الذي قد يؤدي به إلى حتفه، ويجعله يستكين لأمور غير مقبولة أو معقولة، ويستسلم للظلم والقهر والعنت، ... فيما يشبه الخضوع المطلق، ولفترات طويلة تثير العجب !! لكن ألاحظ أن الشخصية المصرية تستعذب الألم والشكوى، إلى حد يصل أحيانًا إلى المذلة ... بل إنه يستعذب الشعور بأنه شهيد وضحية، ويستعذب الشعور بالظلم والضيم ... ويستشعر البطولة في تحمله للألم والعذاب والهموم. ويرى أنه بذلك يتحمل ما لا تستطيع حمله الجبال أو الأبطال، ويرى نفسه بطلاً في التحمل والصبر، وكأن الصبر الذي هو في الأصل حيلته الدفاعية التي يرد بها الظلم والقهر ... قد أصبح غاية وهدفًا وبطولة، ومن قبل كل ذلك إيمانه وتدينه، ولذلك نجد

أن أحد الحكم العربية التي يلتزم بها المصري، ويجعل منها تحديا للصبر ولذاته معا.

- سأصبر حتى يعجز الصبر عن صبري، وأصبر حتى يأذن ا في أمري، وأصبر حتى يعلم الصبر أني صبرت على شيء أمر من الصبر.

ونجد هذه المقولة ليس فقط على الألسنة ... لكنها مطبوعة في لافتات تعلق في بعض الحوانيت ... وفي بيوت البسطاء من الناس.

هذا ومن الأمور المهمة الأخرى التي تعكس تدين المصري، وإيمانه، وأيضا تسليمه واستسلامه للأمور التي تأتيه من ا ، أو من غيبيات لا يعرف مبررا لها " المرض والموت " وهما أمران يشعر المصري تجاههما بالعجز، والحتمية، ولا يملك أمامها إلا التسليم ... ولذلك نحلل فيما يلي مضمون الأمثال الشعبية التي تناولت المرض والموت؛ لنتعرف على رأي المصري فيهما، وموقفه منهما ... وسلوكه أو تصرفه حيالهما.

بداية لابد من الإشارة إلى خاصية مهمة في الشخصـية المصرية ... ربما متوارثة منذ العصر الفرعـوني، وهـي تقديس الموتى والاهتمام بممارسة طقوس متعـددة لتوديـع الميت، والحزن عليه، كإعلان الحداد والحـزن ثلاثـة أيـام متصلة، ثم إعلانه والتجمع من أجله مرة ثانيـة كـل يـوم خميس، ولمدة أربعة أسابيع، ثم عمل خاتمة للأربعين كيـوم حزن، يستتبعها الاحتفال بالذكرى السنوية، ولعدة سـنوات، والإعلان عن الحزن في الصحف ... ولعل صفحة الوفيـات في الصحف اليومية المصرية، وما تزخر به مـن صـور، ومن عبارات تعلن عن الحزن والأسى والاستمرار في ذرف الدموع، والحفاظ على الذكرى، وهـي عبـارات موجهـة بالخطاب للموتى أنفسهم ... لعل هذا الأسلوب في الإعـلان عن الحزن لا مثيل له في أي بلد عربي آخر، إن لم نقل إنه لا مثيل له في كل أنحاء العالم فهو خاصية مصرية مميـزة وذلك عدا لبس السواد لسنة أو أكثر، وما كان مصاحبا لذلك – إلى ما قبل عقـدين – مـن عـدم اسـتخدام المـذياع أو التليفزيون، وعـدم الاشـتراك فـي أي مناسـبة مفرحـة، أو الذهاب للاصطياف، أو الاحتفال بالأعياد وما يستتبعها من

عمل الكعك وخلافه – وذلك لمدة سنة على الأقل – وكـأن المصريين يستعذبون الحزن والشجن والأسى، ويمارسـونه بحب وشغف ملحوظ ... وإن خفت حدة هـذه الممارسـات الآن، خاصة في القاهرة وفي المدن الكبرى، مع احتفاظ أهل الريف والصعيد وسكان الأحياء الشعبية بمعظم هذه الطقوس والممارسات، ناهيك عن التعبير عن الحزن علـى المـوتى بأساليب أقل ما يقال عنها اتصافها بالعنف والمبالغة – وهي سمة أخرى في الإنسان المصري سنتناولها فيمـا بعـد – إذ يبالغ المصريون عادة في حزنهم وأيضا في فرحهم ... ومن هذه الممارسات ... لطم الخدود وشق الجيـوب والصـراخ والعويل، والندب وتعديد صفات الميت ومحاسنه بكثير مـن المبالغة، وكأنه ملاك مطهر من كل سوء، ومن كل نقيصة... ناهيك عن تعفير الرؤوس بالتراب، وصبغ الوجوه بالطين أو النيلة الزرقاء – وإن كانت هذه المظاهر قد بدأت تخف عـن السابق إلى حد ما – مع الاحتفاظ والاهتمام بإعلان الحـزن على صفحات الصحف، واتخاذه وسيلة للتفـاخر بالأنسـاب والألقاب، والعزوة، والمراكز المرموقـة لأقـارب الميـت، وظاهرة أخرى مستحدثة وهي تكبير صورة الميت ووضعها

في إطار مميز وكتابة النعي أو الشـكر أو الـذكرى بخـط كبير... رغم ما يتكلفه ذلك من أموال طائلة، وما يجره مـن مشاكل إذا ما سقط سهوا اسم من أسماء أهل الميت ... وهي أمور معروفة للجميع ولا يكاد يخلو بيت مصري منهـا ... فيما يتعلق بالصفوة التي تهتم بالإعلان في الصحف، وتلقـي البرقيات، وعمل احتفالات في سرادقات، وجنازات تتكلـف الكثير (*) ومع ذلك يتمسـك بهـا المصـريون بإصـرار، ويتمسك بها من لا يملكون ما يفعلون به ذلك. بالإعلان عن حزنهم بالأساليب البدائية – السابق الإشـارة إليهـا – فـي الإعلان عن الحزن ... والمبالغة في ذلك إلى حد يصل إلى شبه تأليه للميت، واعتباره وليا من الأولياء، بمـا يصـبغون عليه من صفات وألقاب "المرحوم، الغالي" وما إلى ذلك.

ويتناقض هذا الحال مع ما تعسكه الأمثال الشعبية مـن إيمان المصري بأن الموت قدر محتوم لكل حـي، وأنـه لا مهرب منه، ولا وسيلة لتجنبه، والدعوة إلـى الصـبر فـي مواجهته، وتقبله دون جزع كواقع مرير لا مفر منه.

---

(*) لعل تصوير الجنازات بالفيديو هي آخر صرعات بعض المصريين في مناسبة الموت .

ومن الأمثال التي تؤكد على التسليم بـالموت وحتميتـه علينا جميعا، وأنه لا رد له، ولا سبيل إلى تقديمه أو تـأخيره عن الموعد المكتوب في السماء:

- الموت كاس داير على العباد.
- الموت سيف على رقاب العباد.
- الموت علينا حق.
- أبو جوخة وأبو فلة في القبر بيدلى.
- آخرة الحياة الموت.
- كلها عيشة وآخرها الموت.
- لكل أجل كتاب ( قرآن كريم).
- إللي بيروح مبيرجعش.
- ابن يومين ميعيش تلاتة.
- العمر واحد والرب واحد.
- الأجل محتوم.
- إللي جرى وإللـي مشـي مـاراحش مـن الـدنيا بإشي.
- الأعمار بيد ا .
- ما دايم إلا وجه ا .

- محدش بيموت ناقص عمر.
- إحنا ضيوف على الدنيا (أي لابد راحلون).
- النهاردة دنيا وبكرة آخرة.
- اللي ما يموت اليوم يموت بكره.
- اللي ما يموت منين يفوت.
- ربنا ما سوانا إلا بالموت.
- القبر ما يرجعش ميت.
- كتروا باللمة لابد من الفراق.
- يا دوم ما لك يوم.
- إديني عمر وارميني البحر.
- الحي ما له قاتل.
- يا هلترا مين يعيش لبكره؟!

ذلك عن الحتمية على الجميع غنيا وفقيرا، وعن الأجل المقدر باليوم لا يستقدم ولا يستأخر ... ولكـن مـاذا قالـت الأمثال عن الموت ترحيبا أو رفضا وكراهيـة. بمـا يؤكـد أو يدحض حب المصري للحياة بـرغم قسـوتها، وكراهـة الموت ... وإن كان راحة من مشاق الدنيا ... تقول الأمثـال المحبذة للموت، هربا من حياة قاسية أو فضيحة أو عناء :

- الراحة يـوم الراحـة. أي يـوم المـوت سـتكون راحتنا.
- الموت راحة.
- موته سترة. يقال لطلب موت إنسان سيئ.
- موت البنات سترة.
- الندب بالطار ولا قعاد الراجل في الدار (أي الموت أفضل من البطالة).
- من عرف مبتداه هان عليه منتهاه ...

وربما ترجع تلك النظرة إلـى المـوت إلـى أصـول فرعونية قديمة إذ أثر عن عنخ شاشنقي قوله: الموت خيـر من الحاجة [(١)] ويظهر معناه اعتزاز المصـري بكرامتـه. وتفضيله للموت على الاحتياج والفقر وتقديره للمال بوصـفه قيمة وكراهته للفقر وتفضيل الموت عليه.

أما الأمثال التي تؤكد على كراهة الموت ... وأن أسوأ حياة أفضل منه، وأنه أمر محزن حقًا ... فمنها ما يقول :

- الطفل يكبر والشعر يتربى حزني عليك يـا سـاكن التربة.

---

(١) محمد عبد الحميد بسيوني ، آداب السلوك ، ص ١٦ .

- موت وخراب ديار.
- الموت له رهبة. أي مخيف.
- اللي سلم من الموت اتجنن ...
- ما بالميت موته، وما به زنقة القبر (أمــران أســوأ من بعضهما).
- ألف عيشه بكدر ولا نومة تحت الحجر.
- أقل عيشه أحسن من الموت.
- العمر مش بعزقـه. أي لا تـرم بنفسـك للتهلكـة والموت!
- إللي ماتت عشيرته يا حيرته (أهله وزوجته).
- حد يروح للموت برجليه؟!

(استنكار لطلب الموت).

ومما سبق يتضح أن المصري يكره المـوت كقاعـدة عامة ويراه خرابا للديار وأمرا مخيفًا له رهبة، وأنه جالـب للحيرة والحزن، ويفضل عليه أقل حياة ولو بكدر وغم وذلك فإن تسعة أمثال في مقابل أربعة أمثال فقط تطلـب المـوت مضطرة أمام قسوة الحياة، اعتقادا في أن الموت قد يجلـب الراحة من الشقاء والبطالة والفقر ويكون سترا من الفضائح.

ولعل غلبة الأمثال التي تؤكد كراهية المصري للمـوت بأكثر من ٥٠% تبرر المبالغات التي يمارسها المصـريون حياله ... فرغم أن رؤية المصري للموت كحق في الموعـد والمكان المقدر الذي لا يقدم ولا يؤخر فإيمان المصري بذلك حتمي – وإن كان لا يملك حياله إلا الجزع والتنفـيس عـن كرهه له بما يمارس من مبالغات وتصرفات تبدو مسـتنكرة ومتناقضة مع تدينه.

هذا وإن كان المصري يوقن أن علمه عند ا ... وهو علم غيبي لا يستطيع تحديده ... فالموت عند المصـريين لا سبب مباشرا له – ولا حتى المرض – ولا يجـدي لتجنبـه الحذر والوقاية من الأمراض، بل لعل ذلـك أحيانًـا مجلبـة للموت، فالموت فيه عنصر المفاجأة ويأتي لنـا دون سـابق استعداد أو تأهب، وأن ا حكيم – يبتلي ويدبر – وهو أيضا يختار أفضل الناس بدقة، ويترك السيئين، وفي ذلـك تقـول الأمثال:

- جالك الموت يـا تـارك الصـلاة، أي دون تأهـب له.

- ربنا بيقطع من هنا ويوصل هنا (ويقـال أيضـا في قطع الرزق).
- محدش عارف الموت من الحيا.
- طبق نحاس يا ما يفني ناس.
- مـن عـاش بالحكمـة مـات بـالمرض أو مـات بالنقمة.
- من يعاشر الحكيم يموت سقيم.
- قال ايش حال مريضكم قال سليمنا مات.
- أخذه يزين جنته.
- راحت الناس وفضل النسناس.
- ما يقعد على المداود إلا شر البقر (أو مـا يبقـى على المداود).

وكعادة المصري لا يستطيع أن يتخلى عن سخريته حتى في أحلك المواقف وأسوأ الأمور، وفي مقدمتها الموت كأسوأ ما يصيب إنسان – ولكن مم يسخر المثل ؟! يسخر من بعض الموتى الذين لا يرى قيمة لهم وأن الموت طالما قبض أرواح من هم أفضل منهم ويسخر من أساليب الحزن والمبالغة فيها كنقد ذاتي يمارسه المصري حيال نفسه – ويعطـي العبـرة

للأحياء بسخريته ممن يتكالبون على الميراث أو يبالغون في الأحزان ومن يغترون بالـدنيا وينسـون أنهـم يومـا مـا تاركوها... وأكثر ما يسخر منه المثل الشعبي المبالغـة فـي مدح المتوفي ... ووصفه بمـا لـيس فيـه، ونسـيان كـل مخازيه... وفي ذلك يقول :

- لما راح المقبرة بقى حنكه (*) سكره.
- إن مال لقاش زيه يبقى يرجع (استهانة بالميت).
- الجنازة حارة والميت كلب.
- يموت الجبان يبقى فارس خيل.
- عاشم ما ريحونا ماتم ما ورثونا.
- حسبوه علينا نفر أو فارس خيل.
- غسله واعمل له عمة قـال أنـا مغسـل وضـامن جنة.

(أو يكتفى حاليا بالنصف الأخير من المثل).
- قال يا وارث من يورثك؟ ويا بـاكي مـين يبكـي عليك.
- ما يبكي على الميت إلا كفنه.

---

(*) وتقال أيضًا من باب المبالغة والتهويل: بقى في طيزه سكره .

- قال مال الجنازة حارة؟ قال كل واحد بينعي أو يبكي حاله.
- المعددة تعدد وكل واحدة تبكي بكاها.
- بكره تموت يا أبو جبه. وأعمل لك فوق قبرك قبة (تهكم على المتباهي).
- حزن الهلافيت الوسخ والشراميط.

ونظرا لأهمية الموت كحدث، والموتى كأفراد عزاز يعتقد المصري أنهم خيار الناس وأفضلهم ويتناسى مخازيهم، ولا يذكر إلا المآثر ويدعو إلى ذلك بإلحاح فرغم سخريته ممن يبالغون في ذلك – كما سبق القول – نجد الأمثال تضع قاعدة وقانونًا لذكر محاسن الموتى فقط، وتجنب الإساءة إليهم، كما تضع قواعد كثيرة لمعاملة الموتى ... كسرعة الدفن. وتسليم الميت لأهله فهم أولى به ومن هذه الأمثال نذكر:

- إكرام الميت دفنه.
- الضرب في الميت حرام. يقال طلبا للرحمة بدلاً من السب.
- اذكروا محاسن موتاكم.

- اللحم إن نتن مالوش إلا أهله.
- الحي أبقى من الميت.
- كرامة الميت تظهر عند غسله.

وقبل أن ننهي الحديث عن الموت لا بد أن نذكر مثلاً مهما يتردد كثيرا في معنى آخر هو حب المصري أن يعيش اللحظة دون الاهتمام بما قد يحدث له في الغد ... وإن كان هذا المثل أيضا يعكس إيمان المصري بأن الموت آت لا ريب فيه، وقريب جدا – قد يكون في الغد، وهو المثل القائل:

- احييني النهارده، وموتني بكره.

وهو مثل يتفق عليه أغلبية الشعب المصري، وقد أجرت دكتورة فاطمة المصري استبيانًا لقياس الميل للاستمتاع باللحظة الراهنة وترك أمر الغد للغد متخذة هذا المثل مقياسا لذلك فوافق عليه أو على الاعتقاد في صحته ٧٢,٥ % أجابوا بنعم في مقابل ٢٧,٥ % أجابو بلا ... وقد أرجعت دكتورة فاطمة المصري ذلك إلى الضغوط التي تحيط بالفرد في الوقت الحاضر ... وسنناقش ذلك فيما بعد في تناول الجوانب الاقتصادية في حياة الإنسان المصري، ويرتبط ذلك أيضا باتكالية المصري، وعدم استعداده للغد، بما يجابه ما قد

يأتي به الغد من شرور فهو يترك أمره معتمدا عليه غير متحسب للغد ... ويعلنها هذا المثل صراحة ... حتى لو كان الغد سيأتيه بأسوأ ما يمكن وهو " الموت ".

ولعل المصري المعاصر الآن لا يتحسب كثيـرا حتـى للموت ... وذلك لأنه يعاني أكثر ... ويتحمل ضغوطًا أكبـر ولذلك نجد الكثيرين يصفون من مات بأنه ارتاح ... ولم يعد لدى المصريين المعاصرين نفس المشاعر تجاه الموت نتيجة للإيمان بأن الآخرة تدخر للمؤمنين ما هو أفضل من الدنيا – وسيتضح ذلك حينما نناقش نظرة المصري للـدنيا والزمـان وأحوالهما وتقلبها، فقد كانت أولى خطوات المصري القـديم في مواجهة الموت هي الإيمان بخلود الروح[1] ولذلك كـان الفراعنة يعدون العدة للحياة الآخرة ... ويحسبون لها ألـف حساب ... ويزودون الميت في قبره بكل ما قد يحتاجه وكل ما يكفيه من مئونة في العالم الآخر، وكـان الاعتقـاد بهـذه الحياة الأخرى تعبيرا مباشرا عن رفضهم التام للموت كحـل نهائي لمشكلة المصير من ناحية وتعبيرا عن هـربهم مـن

---

[1] إبراهيم أبو سنة ، فلسفة المثل الشعبي ، ص ١١٦ .

الموت والرغبة في مواصلة الحياة، فكان أن تصوروا هـذا الامتداد قائما خلف هذه الرقدة الغامضة المفاجئة [١].

وهنا لابد من وقفة نتأمـل فيهـا الأمثـال أو الحكـم الفرعونية التي تناولت الحياة والموت وفلسـفة مجابهتهمـا، ونذكر على سبيل المثال لا الحصر بعض الأقوال التي تعكس إلى حد ما أن نظرة المصري لمتعة الحياة ولرهبـة المـوت هي امتداد لرؤية المصري القديم، فمن أقوال بتاح حتب حول هذا الموضوع:

- كن صبوح الوجه ما دمت حيا [٢].

- أقض اليوم في سعادة ... ولا تجهدن نفسك فإن أحدا لم يأخذ متاعه معه ... أصغ فليس في قدرة إنسان قد ولي أن يعود ثانية [٣].

- لم يأت أحد من هناك ليحدثنا كيف حال مـن قبلنـا ويخبرنا عما يحتاجون إليه ... كن فرحا حتى تجعـل قلبـك ينسى أن القوم سيحتفلون يوما ما بموتك فمتع نفسك ما دمت حيا.

---

[١] المرجع السابق ص ١١٥ .

[٢] محمد عبد الحميد بسيوني. آداب السلوك ص ٧٢ .

[٣] نفس المرجع السابق ص ٩ ـ ١٠

- لا تغضب قلب حتى يأتي يوم نعيك.
- إن صاحب القلب الساكن لا يسمع عويلهم.
- وإن الصـيـاح لا ينجـي إنسـانًا مـن العـالم السفلي[١].

ويتضح مما سبق مدى اتساق وامتداد الفكر المصـري عبر العصور ومنذ الأزل ... وسيتضح ذلك أيضـا إذا مـا قارنا كثيرا من الحكم الفرعونية بما هو سائد الآن من أمثال حول الاستمتاع بالحياة إلى أن يأتي الموت ... بل وأكثر من ذلك اقتناص ساعات الحظ، والإيمان بأن الأمور كلهـا مـن عند ا ؛ الثروة والمصير وكـل شـيء ... وبالمقارنـة أو المقابلة سنجد فكرة أن الذي (راح راح يا قلبي أو أن اللـي بيروح ميتعوضش) قد عبر عنها بتاح حتب بـالقول إن مـا يخرج من الشونة لن يعـود فيـدخلها وأن (سـاعة الحـظ متتعوضش)، يقابلها إياك أن تبتر ساعة المتعـة[٢] وغيـر ذلك كثير – كما سنأتي على ذكره كلا في حينه.

أما المصري المسلم المؤمن فقد تـأثر لفتـرة بـالنهج الفرعوني وإن تخلص منه الآن وأصبح يضع الميت في أقل

---

[١] المرجع السابق ، ص ٧٤ .
[٢] المرجع السابق ، ص ٩ – ١٠ .

وأبسط الأكفان مؤمنًا أن ما سينفعه حقًا في الآخرة ابتداء من القبر وحسابه هو عمله فقط ... ولذلك يقول المثل:

- الكفن ما لوش جيوب ...
- ما ينفع ابن آدم إلا عمله ...
- إيه ... واللي قبلنا خدوا إيه ؟!

هذا ويعلم المصريون أن ما يمارسـونه علـى سـطح الأرض من مظاهر الحزن والاحتفال ... ما هي إلا مظاهر دنيوية يفاخرون بها على بعضهم ... أكثـر مـن إيمـانهم بجدواها للمتوفى بل لعل الأغلبية الآن لا يـذكرون موتـاهم لأكثر من عام أو عامين، ثــم تجــرفهم مشــاغل الحيــاة ومصاعبها ... فيتلهفون بأنفسهم وأمورهم ناسـين موتـاهم، مترحمين عليهم كلما تذكروهم، وأحيانًا حاسدين لهم على ما هم فيه من راحة من مشاق الحياة.

ذلك وإن ظل الشعور المصري بقيمة الفرد وأهميته لهم، خاصة بالنسبة لأسرته وأهله باقية سواء كقيمـة اقتصـادية نفعية أو قيمـة معنويـة ناتجـة عـن التـرابط الأسـري والاجتماعي، الذي كان أقوى ما يمكن إلى ما قبل ثلاثة عقود على وجه التقريب ... كما أن كثرة النسل وأيضـا مواجهـة

المصري المعاصر للموت أصدقاء أو أقربـاء أو معـارف ومواجهة الموت الطبيعي أو نتيجة للحوادث الكثيرة للحروب الطاحنة ... قد جعل المصري يتقبل الموت كواقـع يـومي ولا يكترث له طويلا كسابق عهده إلا بمجـرد الحـزن أو الأسى القصير الوقت ثم لا يلبث أن ينصرف إلى مشاغله ... دون الوقوف عند الحزن طويلاً كما في السابق وذلك في حد ذاته تغير وتطور في الشخصية المصرية التي كانت تقـدس الموت والموتى وتحتفل بهم أيما احتفال ... بل كانت تنظـر إلى الموت كعالم مجهول، ملــيء بالتصــورات المبهمــة والغامضة عن المصير ... لكن الإيمان بالديانات السـماوية وما قدمته من تصورات جاهزة للحياة بعد الموت، من حساب وعقاب وجنة ونار قد حلت أمام المصري معضـلة المـوت وجردتها من غموضها، ليصبح الموت مصيرا حتميـا لكـل حي معلوما ما وراءه إلى حد كبير، خاصة بالنسبة لشـديدي التدين والإيمان، ومن يسلمون تلقائيا بكل ما ورد في الديانـة الإسلامية أو المسيحية عن الحياة الآخـرة والـدخول فـي ملكوت ا . ولعل من ينظرون إلى لغـز المـوت بخـوف ورهبة. ويفكرون كثيـرا فيمـا وراءه هـم الأقـل إيمانًـا

أو الملحدون وهم قلة لا تكاد تذكر في الشعب المصـري – المعروف بالتدين الصادق. وعموما فالمصـري يـرى فـي أولاده امتدادا لحياته – فهي عقيدة لديه – لا يقولها فقط مـن باب الدعوة للصبر في مواجهة الموت لكنه مؤمن بها، ويتضح ذلك في المثل القائل:

- اللي خاف مماتش أو من خاف ما مات.

وغيره كثير مما سنذكره حينما نتحـدث عـن الأبنـاء وكيف تناولتهم الأمثال الشعبية.

من كل ما تقدم نستطيع أن نقول: أن المصـري عبـر العصور كان ذلك الإنسان المتدين الذي يسلم بما تـأتي بـه ديانته ... حتى بالنسبة للغامض والمبهم من الأمور: وذلك ما جعل المصري القديم يعتقد في الأبدية والخلـود ويعلمهمـا للآخرين ... بمعنى تجاوز الحياة الدنيا إلى ما بعـد المـوت أو تجاوز الحدود إلى ما بعد العدم وأن يمـد جسـورا مـن الإيمان بين الأرض والسماء، بين عالمنا والعالم الآخـر وأن يكون الفناء جزءا من البقاء، فلا ضياع ولا انقطاع، فالموت انتقال من حياة إلى حياة، لذلك لا أحد منـا يقطـع صـلته بالموتى ... لقد أحب المصريون الحيـاة فانتصـروا علـى

الموت بالخلود ومن حبهم في الحياة، لا ينطقون اسم المـوت بل يقولون رحل إلى السماء أو انتقل إلى الرفيـق الأعلـى أو توكل ... وكان الفراعنة يقولون : سافر حيا أو عبر إلـى الضفة الأخرى أو انتقل إلى الحياة الأخرى – حيث النعيم – فالموت إذن ليس شرا ولا فناء ... وإنما سلم للصعود إلـى عالم أفضل [(١)] ذلك هو مفهوم المصري القديم للموت ولعـل آثارا باقية منه إلى الآن دعمتها الديانات السماوية ... وظـل المصري على اعتقاده بأن الديمومة هي الآخـرة ... ومـا الحياة الدنيا إلى متاع الغرور وأن الآخرة خيـر وأبقـى ... وإنه مع المسيح ذلك أفضل جدا ...

ومنذ العصر الفرعوني والملك خيتـي يخاطـب ابنـه مسديا إليه النصيحة قائلاً : لا تجعل عقيدتك في طول الحياة الدنيا ... ولا تغتر بها فإن وقت الحياة الدنيا قصير كسـاعة واحدة على الأرض. ولا يبقى للإنسان في آخرته إلا عملـه فهو كالكنز الثمين [(٢)].

هذا ويجرنا الحديث عن الحياة والموت ونهاية كل حي إلى رؤية المصري " للدنيا وأحوالها " والزمن وتصـاريفه،

---

(١) عادل حموده، كيف يسخر المصريون من حكامهم ص ٤٥ .

(٢) عبد الحميد بسيوني، آداب السلوك، ص ٦٢.

والدهر والأيام وتقلبهما وتبدل الأحوال معهما وإيمانه بأنه ما دايم إلا وجه ا .

فالمصري يصف الدنيا في أمثاله الشعبية فيقول :

- الدنيا غدارة. ويقال أيضا الزمن غدار.
- الدنيا فانية.
- الدنيا قلابة دواره أو دولاب داير.
- الدنيا متستهلاش أو ما تسواش.
- الدنيا مبتدمش لحد أو مبتدمش على حال.
- الدنيا وحشة.
- الدنيا ما تنضمنش.
- الدنيا مش دايمة.
- الدنيا يوم، ( أي قصيرة)
- الدنيا غرورة.
- الدنيا على كف عفريت.
- الدنيا ميتبكيش عليها محدش يبكي عليها أو إللي راجع الدنيا يبكي عليها.
- الدنيا لمن غاب أي للأقوى.
- ملعون أبو الدنيا.

- أدي حال الدنيا. تقال في الموت والمصائب.

وإن كانت هذه هي الصفات السيئة التي وصـف بهـا المثل المصري الدنيا في كلمة واحدة موجزة لمعان كثيرة ... حتى وصل به الحال إلى لعنها ... فهناك أمثال تفصل القول، وتقدم مقدمات ونتائج للتعامل مع الدنيا في عبـارات بليغـة وكنموذج لذلك:

- محدش واخد منها حاجة.
- إن كان بدك تشوف الدنيا بعد عينـك شـوفها بعـد غيرك ( في الاتعاظ من الموت).
- الدنيا زي الغازية ترقص لكل واحد شوية.
- الدنيا أشغال شاقة. وإخرتها الإعدام.
- الدنيا تلاهي حازوها الملاهي. وفاتوهـ ـا كمـ ـا هي.
- أولها عيشة وآخرتها موت.
- الدنيا مبتديش محتاج. أي عنيدة.
- الدنيا لا بتخلي الماشي ماشي. ولا الراكـ ـب راكب.

- الدنيا بدل يوم عسل ويوم بصل يوم لك ويوم عليك.
- الدنيا يوم تدي ويوم تاخد.
- ساقية يوم في العالي ويوم في الواطي.
- الدنيا اللي متغطي بيها عريان (المتغطي بالأيام عريان).
- الدنيا حلوة على مرة. ومرها أكثر.
- الدنيا زي المرجيحة تجيب الواطي عالي والعالي واطي.
- هي دامت لمين يا هبيل (في معنى لو دامت لغيرك ما آلت إليك).
- إللي يبكي على الدنيا يدور عليها أو مين يبكي عليها.
- إللي يعيش في الدنيا يا ما يشوف عجب ...

ومن محصلة ما سبق من أمثال يمكن أن تقول : إن المثل المصري يكيل للدنيا الكثير من المعايب لفظًا ومعنى في كل كلمة أو عبارة وإن استدرك أحيانًا ... وتذكر أن لها وعليها. فإن أردنا أن نحصي كميا ما يصف

به الدنيا مـن مثالـب ... قياسـا بمـا يـذكره لهـا مـن طيبات ... أو ما يذكره لها بموضوعية وواقعية من سـلبيات وإيجابيات سنعجب للفارق الرقمي ... فما يذكره من محاسن يرد في أمثال قليلة العدد بقي منها متداولاً:

- الدنيا لسة بخير (وهو استدراك لا ينفي السوء).
- يا سلام على الدنيا لما تضحك (اسـ ـ ـ ـ ـ ـتغراب لأحوالها الحسنة)!
- أرزاق يا دنيا!

وباستعراض المعاني والصفات التي يرصدها المصري للدنيا نجد أنه يراها غير معطاءة ... وإذا ما أعطت لا تعطي المحتاج فهي عنيدة وعجيبة في تصرفها ... وخائنة غادرة لا تؤتمن متأرجحة غير مضمونة، وقاسية بما فيها مـن عمـل شاق ومشاغل لاهية ... وسيئة ...وحتى إذا كان فيها حلاوة فمرارتها أكثر ... وهي " فانية " كخلاصة للقول ... وعلـى كف عفريت أي غير مستقرة ... وهذه الصفات على كثرتها وتنوع صياغتها في الأمثال يبلغ عددها أضـعاف الصـفات الطيبة التي أتت على استحياء، لتؤكد أنها ما زالـت تحمـل خيرا من باب المواساة وأنها أحيانًا تضـحك ... وإن كـان

المثل يعجب لها حينما تضحك! وترزق أحد، وكأنه يقول: إنها لما تضحك وترزق أحدا تفعل ذلك دون منطق وبمبالغة عجيبة ... وإذا كان ما أعلق به كتحليل كيفي فقط للأمثـال التي تصف الدنيا تحديدا ولم أورد تحليلاً كميا له فـ ذلك لأن وصف الدنيا وأحوالها في المثل المصري لم يقف فقط علـى لفظ الدنيا ... بل تجاوز هذا اللفظ وتحـدث مجـازا عنهـا بمسميات أخرى هي الدهر، والزمن والأيام فقال:

- زمن صعب.
- يا زمان العبر.
- الزمان يقلب ويعابر (أي يفعل ما يريد).
- الزمان ما لوش أمان.

هذا ويرصد المثل أيضـا للـزمن والأيـام صـفات طيبـة هي:

- الزمن مداوي.
- الأيام كفيلة تصلح كل شيء.

ويوصي المثل الناس بكيفية التعامل مع الدنيا، بــأوامر واضحة صريحة، فيقول ناصحا:

- الدنيا مراية توريها توريك.

- اضحك تضحك لك الدنيا.
- الدنيا أخذ وعطا (أي تعاون).
- إن نام لك الذر متناملوش ( أو لا تنم له).

هذا ويفلسف المثل الشعبي أحوال الدنيا، وتصـــاريف الزمن، خاصة من حيث " تبدل الأحوال "، وما ينتج عنه من ظهور طبقات طفيلية محدثة لهذا التقلب غيـر المبـرر ... وسنلاحظ أن هذه الأمثال تعكس إيمان المصري كما تعكـس أيضا سخريته اللاذعة ... كما سـنلاحظ أن بعضـها مـن الأمثال العربية الفصحى المتداولة، وكأنها عامية شعبية، ومن الأمثال الدارجة التي ما زالت متداولة تعبيـرا عـن تبـدل الأحوال.

- سبحان مغير حال عن حال (ســـبحان مغيـــر الأحوال).
- سبحان الذي يغير ولا يتغير.
- كنا فين؟ وبقينا فين؟
- ما طار طيـر وارتفـع ... إلا كمـا طـار وقـع (عربي متداول).
- دوام الحال من المحال.

- إللي أكلاوه وز ... وز نزلاوه بط ... بط.
- كداب إللي يقول الدهر دام لي.
- جار عليه الزمان (وصف لمن أصـابه الفقـر بعـد غنى).
- العفش نفش.
- الترعة نشفت ... وبانت زقازيقها.
- جه زمن نترحم على فرعون.
- السبع لما يعجز تلعب على ضهره القرود.
- إرحموا عزيز قوم ذل (عربي متداول).
- بعد نومك مع الجديان ... بقـي لـك مطـل علـى الجيران.
- إن لبست خيشه برضها عيشة.
- إن لبسنا عوايدنا، وإن ما لبسنا عين وصابتنا.

هذا ويوصي المثل بأن نتحين الأيام، قبل أن تقلب لنـا وجهها وترينا المكان ... ويحذر الظالمين من تبـدل الأيـام والأحوال، فيقول :

- يا قوم لكم يوم.

- اضحك والضحك رخيص، قبل مـا يغلـى ويبقـى بفلوس.
- ساعة الحظ ما تتعوضش.
- إن جالك الفرح إنهبه نهيبه.

و " الإحداث " إحــدى موروثــات تقلــب الأحــوال وتبدلها، والمصري يسخر منه ومن "المحدثين" أو " محــدثي نعمة " في أمثاله بشكل واضح فيقول:

- طلعت القصر إمبارح العصر.
- شيء ما كان له، ربنا دله.
- محروم اللحمة شاف "بتاع" أمه انهبل!
- الواطي لما يعلى إدعوا له بثبتان العقل.
- معــدش فــي الخــن ريــش إلا المقصــقص والضعيف !!.
- وا بقى " للخرى" مرة. يحلف عليها الطلاق!!
- كان في جره وطلع لبره!.
- شبعة بعد جوعة!
- كبر البصل وإدور ونسي حاله الأول.
- مهما الفلاح اترقى تبان فيه الدقة.

- إيش فهم الفلاح في أكل التفاح.
- المحدث ليلة يطبخ يبات يصرخ.
- هاتوا من المزابل حطوا على المنابر.
- إللي علي علي يابا.
- الانصاص قامت ... والقوالب نامت.
- العلامة انكبت ... والنخالة قبت.
- الغربال الجديد له شدة.

ويجرنا الحديث – مهما حاولنا تجنب الاستطراد – إلى تناول رؤية المصري " للطبقات والمقامات" ... ونظرتـــه للمساواة بين البشر ليتضح لنا من خلال الأمثال مدى إيمـان المصري بالمساواة من عدمه ... ومـدى اعتناقـه للطبقيـة كنظام اجتماعي يجب احترامه... أو على الأقل التسـليم بـه بوصفه واقعا معاشًا لا مفر منه ... فرضته الأقدار عليه ... فالمثل المصري يقول عن المساواة مؤكدا لها :

- كلنا ولاد تسعة.
- كلنا ولاد حوا وآدم.
- الناس كلها خير وبركة.
- محدش على راسه ريشة.

- البلاد بلاد ا ... والخلق عبيد ا .
- محدش أحسن من حد (مفيش حد أحسن من حد).
- أحمد زي الحاج أحمد.
- الحسن خي الحسين.
- الناس سواسية كأسنان المشط (عربي متداول).
- زيك زي غيرك.
- مين يعرف عيشه في سوق الغزل ( أي الناس سواء في الزحام).

وإذا كان المصري ما زال يعلن عن قناعته بالمساواة في عشرة أمثال ما زالت متداولة بين العامة والخاصة ... فبالمقابل يقول المثل معبرا عن وجود الفوارق والطبقات والمقامات :

- ربنا ما سوانا إلا بالموت (أي هناك فروق والمساواة في الموت وحده).
- العين متعلاش على الحاجب.
- الميه متجريش في العالي( أو ما تمشيش).
- الناس معادن. ومن أغلى المعادن ناس.

- لو كان الاسم بيشترى كـان الفـلاح سـمي ابنـه خرى (لتدني طبقته).
- تروح فين يا صعلوك ما بين الملوك.
- المقامات محفوظة.
- الناس مقامات.
- إللي ماوش ضهر ينضـرب علـى بطنـه ( يقـال أيضا في التفاوت والفروق الفردية).
- إن طلع من الخشب ماشة يطلع من الفلاح باشا.
- عمر الفلاح إن فلح.
- أصفر ومعلول وبعدي ولاد الأصول.
- من عرف مقامه في الهنا بات... مــا همــه إللــي جاي ولا إللي فات.
- إللي يبص لفوق يتعب ( أو توجعـ ــه رقبتـ ــه ) ( وفيه إنكار للتطلع).

ومما سبق يتضح لنا أن احتـرام المصـري للطبقـات والمقامات واستنكاره لتطلع الفقراء والفلاحين لمـن يعلـوهم طبقة أمر واحد، إذ يجعلهم سخرية ويشير إلى أنهـم مهمـا طمحوا فلن يكون من بينهم من يصير باشا، أو يعلـ ـ ـ ــو

مقامه، أو حتى يأكل التفاح، أو يسمى ابنه باسم جميل – فمن أين له ذلك؟ وهو "عبد مأمور"، وبقدر مـا يحـاول المثـل الشعبي تصوير استحالة تفوق السفلة من القوم، وعلوهم على غيرهم " فالميه ما تجريش " و " العين متعلاش "، " فـ ـأين موضع الصعلوك بين الملوك؟! "، فلا داع لمجـرد محاولـة التطلع من قبل من هم أدنى ... حتى لا يتعبون رقـابهم ... ورغم ذلك فالمثل المصري يرسم لهؤلاء القوم طريقًا يمكنهم من خلاله العلو – ولو قليلاً – عن وضعهم، فيقول المثل:

- اللي ما لوش كبير يشتري له كبير.
- من كتر كلامه اتقل مقامه.

ويتضح من كمية الأمثال السابقة أن المصـري يـؤمن بالطبقية أكثر من إيمانه بالمساواة بين البشر، وذلـك بنسـبة ١٠ : ١٥، وذلك يتضح ليس فقط مـن الأمثـال ... ولكـن يتضح أيضا من سلوك الإنسان المصري ... واحترامه لمـن يعلـوه مقامـا سـواء بـالنفوذ والسـلطة، أو بالمـال والجاه، أو الحسب والنسب، ورغم أن الأمور قد تغيرت إلى حد كبير منذ خمسة وأربعين عاما، هـي عمـر الثـورة الاجتماعية التي بدأت عام ١٩٥٢، وحاولـت إذابـة هـذه

الفروق إلا أن الإنسان المصري البسيط كثيرا ما نراه ما زال "عبد المأمور" ... مستكينًا خاضعا لمن يعلوه ... ولعل مـرد ذلك إلى طيبته وعفويته التي نرصدها له كسـمة ثالثـة لـم يختلف عليها الباحثون في الشخصية المصرية، فالمصـــري عندهم:

- ساخر بما يستتبع هذه السمة من سمات فرعية.
- متدين بما يستتبع هذه السمة أيضا.
- طيب تلقائي وعفوي بسيط، كمــا سيتضــح فيمــا يلي.

# طيب عفوي

استقر كثير من الباحثين والمتحدثين عـن الشخصـية المصرية على أن المصري إنسان طيب، عفوي، ولم يختلفوا حـول هـذه السـمة ... ولكـن اختلفـوا فـي تعـريفهم لها، أو تفصيلهم لمعنـى الطيبـة والمسـالمة والعفويـة ... فـالبعض يـرى أن صـبر المصـري علـى الضـيم والقهر، وتسامحه مع ظالميه أو حتى جلاديه، واستسـلامه الطويل لهم، والاكتفاء بالسخرية والتعالي، أو التسامي عـن رد الظلم بالظلم، يرجـع إلـى طيبـة قلـب المصـري ومثاليته، واحترامه، للآخرين خاصة الكبار أو من يمثلـون بالنسبة له السلطة، سواء السلطة الأبوية أو السلطة في العمل أو السلطة المطلقة – أي الحاكمة أي كان نوعها – فالمصري في تاريخه الحديث عندما ثار على مستعمريه وحكامه، ثـار ثورة بيضاء غير دموية لا تقاس بحالة من الأحوال بالثورات المعاصرة التي مثلت فيها الشعوب بحكامها ... ولـم تكتـف بقتلهم بل سحلتهم في الشوارع ... وذلك ما لم يحـدث فـي تاريخ مصر على إطلاقه، القديم أو الوسيط أو المعاصر ...

والمصري بصفة عامة وديع مستكين ... عاطفي بمعنى أنه يغلب العاطفة والقلب على العقل وأحكامه، فهـو محـب للآخرين ويرى أنه الرابح في النهاية إذ ما غلب المحبة على الكراهية، والمودة على العداء فهو في أمثلتـه يـرى علـى المستوى الفردي أن حب الآخرين من حب ا ورضاه عنـه إذ يقول :

- من حبه ربه، حبب فيه خلقه.

والطيبة بهذا المعنى امتداد لسمته الثانية: "متدين" ومـا ترتب عنها مثل سمة "صبور".

والمصري الطيب بسيط، يسـتطيع العـيش بـأي أسلوب، ويرضى بالقليل – رغم تحسره أحيانًا على وضعه– وذلك امتداد لسمة " راضي وقانع "، وهو بسيط كمـا يبـدو للآخرين ... رغم أنه يبدي أحيانًا مكرا يتنـاقض مـع مـا يتصوره البعض عنه من طيبة وبساطة ... تبدو وكأنها لون من السذاجة ... ولعل ذلك ما جعـل الشخصـية المصـرية العبقرية المركبة تبدو كشخصية محيرة، صـعبة التفسـير والفهم على بساطتها وعفويتها، ولعل مرد ذلك يرجـع إلـى اتساع رقعة الأرض المصرية، وتباين الفئات والطبقات التي

تعيش عليها، فالسمة كمفهوم هي: الصفة الدائمـة والثابتـة نسبيا، والتي قد تكون موروثة أو مكتسبة، ولكنهـا فرديـة يتميز بها الشخص دون الآخر، ونستدل على وجودهـا مـن خلال ملاحظاتنا لسلوك وعادات الفرد، وأفعاله المتكررة ... ولذلك فإن سمة طيب تعتبـر سـمة سـائدة بـين الأفـراد المصريين ... بل وأحيانًا يجمع الفـرد المصـري بداخلـه النقيضين ... ونقر أحيانًا بـذلك خاصـة بالنسـبة للعامـة والبسطاء من الناس، ومن أهل الريف على وجه الخصوص، إذ يجمعون أحيانًا بين الطيبة والخبث، أو بـين البسـاطة والسذاجة والمكر ... ويؤتون – بناء على ذلك – تصـرفات وأقوالاً معجزة ومحيرة، تجعل من الصعب الحكـم علـيهم، أو تفسير مسلكهم المتناقض مع طبيعتهم، ولعل ذلك ما حـدا بهيرودوت إلى القول بأن: مصر بلد المتناقضات.

ولعـل التنـاقض فـي الشخصـية المصـرية الطيبة، المسالمة، والودوة، الخلوقة، يعتبـر مـن الظـواهر المرضية التي عالجها دكتور سيد صبحي (*) مـن خـلال الأصالة المصرية في تراثنا القيمي والخلقي، المعبـر عـن

---

(*) أستاذ ورئيس قسم الصحة النفسية ، كلية التربية – جامعة عين شمس .

الشخصية المصرية، التي لا تعرف إلا الصـدق والمـروءة والمفهومية في التعامل والتصرف، واعتبر الخروج من هذه الأصالة وهذه السمات الخلقية الكريمة، سلوكًا مرضـيا بـدأ ينتشر عند البعض متمثلاً في الحيل الهروبية، وسـ ـ ـ ـلوك العدوان والأذى، وقـــد أطلـــق علـــى هـــذا الأســـلوب " تماحيك وتلاكيك" على اعتبـار أن الإنسـان فـي بعـض اللحظات يكون مراوغًا، يميل إلى الانسحاب ... ولذلك أرى معه أن المسالمة والطيبة هي السمة الغالبة والسائدة نسـبيا. وما عداها من عدوانية وعنف هو الاستثناء الـذي أصـاب البعض مؤخرا، بسبب ظروف ضاغطة كلنا يعلمها ... وليس مجالها الآن ... حيث إن هدفنا من هذا البحث هو إقرار واقع سمات الشخصية وليس تبريرها وتفنيد أسبابها.

هذا ويؤكد هذا الرأي أيضا مجموعـة مـن الأسـاتذة الجامعيين، يرون أن الشخصية المصرية من أبرز سـماتها التناقض، والنموذج على ذلك كما يقولون "الفلاح المصـري البسيط والماكر في آن معا" كمـا يـرون أن مـن سـمات المصري "الدعة" بمعنى الاستكانة والمبالغـة فـي الحـزن والفرح، وهي أيضا من سمات الإنسان الطيب، الـ ـ ـ ـذي

يتصرف بعفوية، ودون تقنين وتدبر ماكر لتصرفاته ومظاهر سلوكه ... والمصري – كما يرون – " عاطفي " وصـبور ومتدين وهو شخصية محيرة صعب تفسيرها فهي شخصـية " مركبة وعبقرية " (*).

وفي إطار القول بأن المصري طيب لابد من الإشـارة إلى ملمح من ملامح الطيبة، وهو العفوية، بمعنى تلقائية في التصرف، والانفعال غير المحسوب فـي الفـرح والحـزن بعفوية ومبالغة وتهويل في كلتا الحالتين ... ويتفق معي فـي هذا القول عدد آخر من الشخصيات العامة، ومن الجمهـور العادي رأوا في تقييمهم للشخصية المصـرية "مـن وحـي أكتوبر" أن المصري "إنسان صبور طيب يستطيع العيش بأي أسلوب، ولديه إصرار على الحياة، ولديه جلد وصمود" فـي مجابهة المصاعب (*)

هذا ويرى يوسف عوف في كتابه "هموم ضاحكة"، أن المصري يبالغ في كل شيء حتى طعامه واستهلاكه، ويـراه إنسانًا صابرا يقدس السلطة والوساطة، ويسـتهين بـالأمور

---

(*) برنامج المنتدى الثقافي، المذاع يوم الأربعاء ٢٧ / ٩ / ١٩٩٥ – القناة السابعة – المنيا. (خلاصة آراء الضيوف حول الشخصية المصرية) .

(*) برنامج حديث المدينة، المذاع يوم الثلاثاء ١٠ / ١٠ / ١٩٩٥، القناة الأولى. (خلاصة آراء الضوف).

ويهونها ... وكلها سمات ترتبط بشكل أو بآخر – كما أرى – بسمة طيب وعفوي ... وقد نتج عنها أو ارتبط بها سمات أخرى – قد تعتبر سلبية – مثل : التواكل وعدم الإنتاجية والإهمال والتمسك بالبيروقراطية ... وأيضا الإيمان والتسليم بغيبيات تصل إلى حد الخرافات، كجانب ساذج من الشخصية الطيبة، المسالمة، البسيطة، التي قادت تفكيره إلى أن يكون غيبيا غير عقلاني ... وقادته إلى أن يكون إنسانًا سلبيا لا مباليا، انهزاميا، أعماقه حزينة، يتحسر على ذاته،

ويتفلسف إلى حد التلاعب البليغ بالألفاظ والكنايات، التي يسخر فيها أحيانًا من نفسه، بشكل قد يتصوره البعض شعورا بالدونية، أو يصل بالبعض فعلاً إلى الشعور بالدونية وعقد النقص ... كما يصل بالبعض الآخر إلى الحساسية المفرطة للكرامة والكبرياء – ولو كان كاذبا – ويصل بالبعض إلى القناعة والزهد والصوفية السلبية، والخوف والحذر، وفي المقابل يبالغ البعض الآخر في التلقائية والتصرف بشجاعة متهورة، والتحرر الفطري الفج، والتذاكي.

وينتج أيضا عن التلقائية والعفوية والبساطة تميز بالصراحة، التي تصل أحيانًا إلى حد الثرثرة ... وعدم كتمان

السر، الذي يصل بدوره إلى حد الغفلة عن العواقب، وقـــد عبر دكتور يوسف إدريس عن سمة العفوية والطيبـة لـدى الإنسان المصري قائلاً:

"هذا الصدر المصري الحبيب ينفتح على مصراعيه لي ولأي غريب، فينسى الغريب غربته ويجد نفسه في ثانية قـد دخل الصدر وأصبح قريبا من القلب".

ومن القلب إلى القلب مضى الحديث يدور ... وما هكذا أي شعب آخر، ولهذا ننفرد ونسمو نحن المصريين، ولـــيس عيبا أبدا أننا نفتح الصدور على مصاريعها حين نلتقي فهـذا هو الشيء الجدير بالإنسان – إذا كـان إنسـانًا حقًـا – أن يفعله" (*)

وعوضا عن الاسترسال في تفنيد الآراء ... والاستشهاد بما قيل عن طيبة المصري وعفويته ... نعود إلى موضوعنا الأصلي وهو الأمثال الشعبية، وكيف عبرت عن كل ما سبق أن اصطلحنا على اعتباره نوعـا مـن الطيبـة والوداعـة والعفوية. كملامح تصب كلها في سمة " طيب وعفوي ".

---

(*) د . يوسف إدريس، عن عمد اسمع تسمع ص ٧٢ .

ترتبط الطيبة المصرية بالأخلاق الحميدة والإحسان، والمحبة المتبادلة بين الناس والتي يضع لها المثـل الشـعبي المصري قواعد وشروطًا، ويرى أنها علاقـة تبادليـة بـين البشر، فالمثل يقول:

- من القلب للقلب رسول.
- إن كان حبيبك في خير إفرح له.
- اللي يحب حد يكتر من ذكره.
- اللي يحب ميكرهش.
- داخل بيت عدوك ليه؟ قال: حبيبي فيه.
- إن كان لك حبيب وبدك تبقيـه لا تاخـد منـه ولا تديه.
- لجل الورد يتسقي العليق.
- من حبنا حبناه وصـار متاعنـا متاعـه ... ومـن كرهنا كرهناه يحرم علينا اجتماعه.

وإذا كانت هذه الأمثال يطلقها البعض على علاقة الحب بين الرجل والمرأة بالذات، فالغالبية العظمى تطلقها كقوانين لعلاقة المحبة أو المودة بين الناس، فمن نحبـه بالضـرورة سيحبنا ... وأنه من الواجب أن تفرح لما يصيب الناس مـن

خير ... حتى لو كان في غير صالحنا ... وأن من يحب لا يستطيع أن يكره، فالحب كعاطفة لا تنقلب للضد مهما كانت الظروف ... وأنه من شروط المحبة ودوامها ذكر المحبوبين بالخير، كما نحب لهم الخير، وأن لا ندخل المعاملات المادية، والأخذ والعطاء في العلاقة إذا أردنا الإبقاء على هذه المحبة ... وإن ورد مثل آخر يقول بعكس ذلك ... " صار متاعنا متاعه " كاستدراك.

وتنبثق عن المحبة مشاعر الألفة والحنان، وشروط العشرة الطيبة بين الأفراد والجماعات ... وبين أفراد الأسرة، وخارج نطاقها بين الأهل والأقارب والجيران والأصدقاء ... فالمصري من خلال أمثلته العامية يعتز كثيرا بعلاقة الدم، ويراها مدعاة للمحبة والحنان فيقول:

- الدم يحن.
- الدم ما يبقاشماية ( أو عمر الدم ما يبقى ميه).
- إذا كانت الداية أحن من الوالدة، كانت تبقى خيبة زايدة.

وللحنان في مصر شروطه، وفي مقدمتها العطـاء ... ويسخر المثل المصري من الحنان غير المصحوب بالعطـاء فيقول في تشبيه بليغ الصورة :

- زي حنية الوز، حنية مـن غيـر بـز ( زي الـوز حنية بلا بز)
- إدي ابنك للي له أولاد.

ويقدس المصري كما يتضح من أمثاله الشعبية العشرة، ويرى أنها يجب أن تصان وأن لها حقوقًا، وأن مـن تهـون عليه ملعون و " ابن حرام" فالأمثال المصرية تقول في هـذا الصدد:

- من عاشر القوم ٤٠ يوم صار منهم.
- من عاشر الحداد ينكوي بناره.
- العشرة متهونش إلا على ابن الحرام.
- اللي يعاشر طبيب يموت سقيم.
- اللي يعاشر التعابين لازم يشتغل حاوي.

فكما يرى المثل أن العشرة يجب أن تصان، ويعبر عنها المصري في تعبيراته الدارجة بمعاني أخرى مثل " واكلـين عيش وملح" أي بينهم عشرة لها حرمتها وقدسيتها، يـرى أن

كثرة المعاشرة تجعل للفرد حقوقًا، وأنه قد صار واحدا مـن القوم الذين عاشرهم ولو كان غريبا عنهم ... بل إنه يتشـبه بهم ويتأثر بهم إلى أبعد الحدود، كما يرى المثل الشـعبي أن العشرة تولد المعرفة الدقيقة إذ يقول:

- تعرف فلان؟ أعرفه ... عاشرته؟! لا ... تبقـى متعرفوش.
- لا تذم ولا تشكر إلا بعد سنة وست أشهر.

والإنسان المصري اجتماعي بطبعه، وعشري، ويحـب الناس، ويفتح لهم قلبه بسهولة ويرى في معرفتهم كنـزا ... والقرب منهم خيرا ... وأنه لابد من حسن المعشرة، لأننـا يوما ما سنفرق، وتقول الأمثال في ذلك:

- عاشـر عاشـر مصـيرك تفـارق ( مسـيرك تفارق).
- جنة من غير ناس ما تنداس (مثـل يعكـس روح الجماعة وحب العشرة).
- معرفة الناس كنوز.

وفي مقابل هذا الكم من الأمثال الداعية للألفة والاجتماع والحنان والعطاء، نجد عددا مـن الأمثـال يحبـذ الوحـدة

والابتعاد عن الناس خاصة إذا ما كانوا " كالشريك المخالف"، أو كانت معرفتهم تجلب المتاعب، وتقول هذه الأمثال على قلتها:

- البعد عن الناس غنيمة.
- الاقتصار عبادة(أو الوحدة عبادة).
- الوحدة و لا رفيق المتاعب ( تحوير للمثل العربي: الوحدة خير من جليس السوء).

وإذا أردنا تحليلاً كميا لهذه الأمثال سنجد المصري يحبذ من خلال أمثاله العشرة وصحبة الناس على الوحدة والاقتصار والبعد بنسبة ٣:١٠

وكما للمحبة والعشرة وقانونها وقواعدها التي حددها المثل الشعبي، نجد أن للكراهية والعداوة أيضا دستورها الذي يرسمه ويحدده المثل العامي، فالمصري محب بطبعه، لا يتحول الحب لديه إلى كراهية ... ولا يكره إلا لسبب أو أسباب ... ولا يعادي إلا لعلة ... وحتى إذا كره فهو غير عدواني بطبعه ... بل يسالم إلى أبعد الحدود ... ولا يعاقب إلا ردا للعدوان... ويعاقب بمثل ما عوقب به، فلا يبدأ بالعداوة من جانبه ... ولعلاقة القربى والأخوة قواعدها في

قانون العداء والكره المصري، وذلك سيتضح مما سنورد من أمثال، وما سنعلق به عليها من تحليل لفحواها.

- أنا وأخويا على ابن عمي وأنا وابـن عمـي علـى الغريب.
- ابن عمك عدوك ... وعـدو اللـي يعاديـك ( فيـه استدراك).
- صديق عدوي عدوي، وعدو عدوي صديقي.
- عين العدو تبان ولها زبان.
- العين متكرهش إلا إللي أحسن منها.
- عادي أمير ولا تعادي غفير.
- عدو قريب ولا حبيب بعيد.
- عدو عاقل خير من صديق جاهل (مثـل عربـي متداول).
- عدوك عدو دينك.
- إللي تكره وشـه يحوجـك الزمـان لقفـاه (إللـي تكرهه النهاردة تعوزه بكره).

وهذه الأمثال توضح أن اختلاف الدين والحسـد بـين الناس هي من أسباب العداوة، ورغم ذلك فعلاقـة الأخـوة

أو العمومة تحكم بحيث يمكن أن يتفـق الأخـوة أو أبنـاء العمومة على العدو الغريب ... كما أن العدو قد يكون أفضل أو أفيد للمرء من الصديق، إذا كان قريبا كي يستغيث به ... وأن على المرء ألا يعادي سفيها، حتى لا يجره إلى تدني في العداء والسلوك العدواني، وحتى العـداء إذا فـرض علـى الإنسان المصري لابد من قواعد تحكمه، فنجد أن المصـري يتحسب من المبالغة في العداوة ... وأن يتجنبهـا بالمسـالمة ولا يبدأها حتى ولو برش الماء ... وفي هذا الصـدد تقـول الأمثال المصرية:

- صباح الخير يا كنيسة، واللــي فــي القلــب فــي القلب (أي كره وليس عدوان).
- اقطع لسان عدوك بسلام عليكم.
- امشي دغري يحتار عدوك فيك.
- حبيبك يمضغ لـك الظلـط وعـدوك يتمنـى لـك الغلط.
- من " شخ " عليك " شخ " عليه، وهـــي كلهـــا نجاسة.

- فوت على عدوك مكسي ولا تفوت عليـه محشـي (خوف من الشماتة).
- امشي على عـدوك جعـان ولا تمشـيش عريـان (خوفًا من الشماتة).
- فوت على عـدوك معـرش ولا تمشـيش مكـرش ( خوفًا من الشماتة).
- كبر الجرن ولا شماتة الأعادي.
- كل عيش حبيبك تسره، وكـل عـيش عـدوك تضره.
- ضمة القبور ولا ضمة عدو.

ومما سبق يتضح أن المصريين في تعـالمهم العـدائي يتجنبون العنف، ولا يتوقعون من العدو إلا الشماتة، وتمنـي الخطأ، والضرر الطفيف المتمثل في أكل عيشه، أو تنجـيس ثوبه، ويتحرزون بشدة من ذلك، ويكرهون أن يشمت فـيهم العدو، فينصحون بتجنب ذلك بالمظهر الجيد، وباتقاء الشـر بإلقاء السلام، أو على أسوأ تقدير المعاملة بالمثل، وذلـك يتضح في مثل واحد أو مثلين على الأكثر مـن بـين هـذه الأمثلة ... وتحث الأمثال على التعاون للتصدي للعداء.

والمصري يخشى من يعاديه، ولا يأمن له، ويعبر المثل عن ذلك بالقول:

- عدو زمان مالوش أمان.
- عمر العدو ما يبقى حبيب، وعمـر شـجرة التـين ما تطرح زبيب .
- عمر العدو ما يبقـى حبيـب وعمـر الحمـار مـا يبقى طبيب.

ومع ذلك فهناك من الأمثال ما يكـذب هـذا المعنـى الأخير، ويقال غالبا في إصلاح ذات البين بين المتخاصمين:

– مكتوب علـى ورق الحـلاوة مـا محبـة إلا بعـد عداوة.

ويكتفى الآن بالشطر الأخير من المثـل تعبيـرا عـن ضرورة نبذ العداء والخلاف، وأن المحبة لا تـأتي إلا بعـد العداء ... ويعبر التشبيه المصري البليغ عن سوء العلاقة بين الناس وطبيعة العداء بالقول:

– بينهما ما صنع الحداد.
– أنت من سكة وهو من سكة ( أو أنـا مـن سـكة كناية عن الخلاف ).

- قاعد له على السقطة واللقطة ( أي يتمنى له الخطأ).

ويقول المثل أيضا:

- إذا كان الدعاء بيجوز ما خلى صبي ولا عجوز.

وذلك يظهر لنا أقصى ما يمكن أن يتمادى فيه الدعاء المصري، وهو الدعاء على العدو ... ومع ذلك يستدرك المثل الشعبي السابق ويهون من أثر الدعاء.

هذا ويجرنا الحديث عن الكره والعداوة على الطريقة المصرية لنرى كيف هي هينة، إذا ما قيست ما بين الشعوب الأخرى من عادات حقيقية، العرب مثلاً [*] – يجرنا هذا الحديث إلى تناول الأمثلة الداعية للمصالحة بين المتخاصمين، لنرى أنها في الأغلب الأعم تميل إلى جانب السلم والتسامح، وليس إذكاء العداوة ... وهذا يعد تأكيدا آخر لسمة طيب ومسالم ووديع، ومن هذه الأمثال ما يقول:

- الصلح خير.
- السلام .

---

[*] وذلك سيأتي ذكره تفصيلاً فيما بعد .

- المسامح كريم.
- اللي يدق يتعب.
- أهل السماح ملاح.
- المصارين في البطن بتتعارك (بتتخانق).
- اللي ينكسر يتصلح (اللي وقع يتصلح).
- الغلاط مرفوع والزعل ممنوع.
- هي الشتمية بتلزق.
- عفا ا   عما سلف (من القرآن الكريم آية ٩٥ من سورة المائدة).
- مسيرة الماية ترجع لمجاريها (تقال في تأكيد أن الصلح سيتم).
- اللي فات مات واحنا ولاد النهاردة (بمعنى فتح صفحة جديدة).
- ما شتمك إلا اللي بلغك (تقال في الصلح درءا للفتنة).
- من جه بيتك جاب الحق عليك.
- العند يورث الكفر( درءا للعناد في سبيل الصلح ).

- الغلط مردود.
- من قر بذنبه غفر له ربه ( كسبيل للعفو والتسامح بين الناس).

كل هذه الأمثال والعبارات يرددها المصري كدعوة للصلح والتسامح، لأنه يرى في الصلح والسلام الخير والكرم والراحة والملاحة، لأن كل شيء ممكن جبره وإصلاحه، ولأن الإنسان في داخله "مصارينه بتتعارك"، ولأن الغلط مردود ومرفوع ... ولأن السماح والعفو من عند ا والسلام له، ولأنه لابد أن تعود المياه لمجاريها، ولأن العند يورث الكفر والعياذ با ... ويمعن المصري في تحبيذ الصلح والسعي فيه ... رغم ما يجره أحيانًا على من يقوم به، فتقول الأمثال عنه:

- ما ينوب المخلص إلا تقطيع هدومه.
- يا داخل بين البصلة وقشرتها ما ينوبك إلى صنتها.
- قاضي العيال اشتكى روحه.
- امسحها في دقني أو امسحها في ( يقولها المتداخل للصلح).

ومما سبق يتضح أن المصري يحبذ التسامح استكمالاً لسمة الطيبة التي اختص بها دون شعوب الأرض، وهو عدا الأمثال التي تؤيد ذلك يطلق تشبيهات وصورا بليغة وحية للصلح، فيرى أن المتصالحين قد أصبحوا " سمن على عسل " وأن " المياه رجعت لمجاريها" ... وفي إطار التصالح لا يستغني المصري عن روحه الفكهة فيطلق بعض الأمثال التي تتهكم على ذلك، والتي تقول على ندرتها:

- يخانقني في زفة، ويصالحني في عطفة.
- شيل أبوك عن أخوك.
- شيل ده من ده يرتاح ده عن ده.
- مخلوش للصلح مطرح ( كناية عن فداحة الخطأ).
- حد ا ما بيني وبينك.

وهي على قلتها أمثال تحض على القطيعة وعدم التسامح بما لا يقارن بما سبق دعوة للصلح والسلام والمغفرة.

وإذا أتينا لمناقشة سمة طيب من منطلق معنى مهذب أو خلوق، سنجد المصري بوجه عام يعتبر بهذا المعنى

بالفعل طيبا، وتعبر أمثاله الشعبية عن احترامـه للآخـرين، وتعامله مع أصدقائه وجيرانه بأسلوب خير، وهو يحترم من هم أكبر منه، وتضع الأمثال المصري دسـتورا لكـل آداب السلوك أو الآداب العامة في التعامل، إذ تعبر فـي مجملهـا أو أغلبيتها عن سلوك إنساني رفيع ... فتـدعو إلـى حفـظ اللسان، والابتعاد عن الشر وتفضيل الأدب حتى عن العلـم، والاعتدال في الأمـور والتصـرفات، وعـدم التمـادي أو التطاول، واتقاء غضب الآخرين، وعـذرهم إذا أخطئـوا ...

ومن هذه الأمثال :

- لسانك حصانك إن صنته صانك، وإن هنتـــــــه هانك.
- طاعة اللسان ندامة.
- سلامة الإنسان في حلاوة اللسان.
- لولاك يا لساني ما انسكيت يا قفايا.
- الملافظ سعد.
- أقعد معوج واتكلم عدل.
- الأدب فضلوه عن العلم.
- إقصر الشر.

- إتق شر غضبة الحليم ( مثل عربي متداول ).
- يا رايح كتر من الملايح.
- خير الأمور الوسط ( أو أوسطها ).
- المخزوق يشتم السلطان ( وتقال في الصلح أيضا ).
- إذا يأس الإنسان طال اللسان.

وفي الأمثال الأخيرة نجد أن المصري يعطي بعض العذر لمن يضطر لإساءة الأدب، أو إطالة لسانه على الآخرين، وفي ذلك أيضا شكل من أشكال التسامح والطيبة، ولمن يسيء الأدب يضع المثل الشعبي المصري أسلوب العقاب والردع أحيانًا فيقول المثل :

- العصا لمن عصى ( عربي متداول ).
- أخليه يمشي على العجين ميلخبطوش ( أو مشيه على العجين ... ... ... ).

والمصري يقدس العلاقات الإنسانية، ويحرص على أن تكون طيبة، وأمثاله الشعبية تفنن هذه العلاقة، وتربط بينها وبين الصدق، وبين وجوب التآزر بين الأصدقاء في الشدة ... كما تربط بين الصداقة والبخت، وتعتبر الطباع المتشابهة

دافعا للترابط والصداقة. وتضع للصداقة شروطًا ... وبقدر ما تحذر أحيانًا من الأصدقاء ... بقدر ما تضع الصديق أحيانًـا في درجة تسبق الأخ والأهل ... وتحبذ اختياره بعناية، حتى قبل اختيار الطريق ... ويقول المثل المصري في كل ذلك :

- طول ما أنت طيب تكتر أصحابك.
- صديقك من صدقك.
- الصديق وقت الضيق.
- عند الشدة والضيق يبان العدو من الصديق.
- إذا لم تكن لي والزمان شرم برم، فـلا خيـر فيـك والزمان ترللـي ( تحريـف لبيـت مـن الشـعر العربي).
- صاحبك من بختك.
- البيض الفاسد يتدحرج على بعضـه ( وفـي قـول آخر الخسران أو المشمش).
- الطيور على أشكالها تقع ( مثل عربي متداول).
- قل لي من صاحبك أقل لك من أنت.
- اللي ترافقه وافقه (شرط المرافقة الموافقة).
- التعبان من رفيقه يوسع.

- صديق صح خير من أخ.
- رب أخ لم تلده أمك ( ويقصد الصديق).
- صاحبك وجارك أدرى بحالك.

وفي التحذير من الأصدقاء نجد عددا قليلاً من الأمثال، تقول على سبيل الحيطة والحذر :

- ما يفضحك غير صـاحبك ( لأنـه المطلـع علـى أسرارك).
- حاسب من صـاحبك ولا تخونـه ( حـرص مـن صاحبك ... ).
- الصاحب اللي يخسر هو العدو المبين.
- من لقي أحبابه نسي أصحابه.

يتضح مما أوردنا من أمثال حول الصداقة مدى تمسـك المصري دائما في كل علاقاته، ومنها علاقة الجوار، التـــي سنستعرض ما قالته الأمثال حولها، لما لها من ارتباط وثيق أيضا بآداب السلوك عند المصري، وطيبــة قلبــه وحســن معشره ... إذ تقول الأمثال عن الجيران:

- اختار الجار قبل الدار.
- النبي وصي على سابع جار.

- إن كان جارك في خير افرح له.
- إن كان لجاري ما يهني لي.
- أطلب لجارك الخير، إن مـا نلـت منـه تكتفـي شره.
- الجار أولى بالشفعة ( مبـدأ قـانوني معمـول بـه كحق الإرث).
- الجار جار وإن جار.
- الجار قدامك ووراك، إن ما شـاف وشـك يشـوف قفاك.
- قبل ما أقول يا أهلي يكونوا جيراني غاتوني.
- ربك وجارك أعلم بحالك.
- لولا جارتي لانفقعت مرارتي.
- من جاور السعيد يسعد.
- غير من جارك ولا تحسده.
- يا جار الدهر احزن لي شهر.
- الجار للجار ستر وغطا.

هذا ويضع المثل المصري الحكيم قواعد للعلاقة، فهـو لا يتصور أن العلاقة الدائمة التي تتطلب احتكاكـًا مسـتمرا

ستدوم كلها على وجه خير ... لكنها بالضـرورة سـتعكرها بعض الأمور، التي تتطلب الحكمة في التعامل، والتسامح، وعدم رد الإساءة بالإساءة ... بل التنحي والانسحاب بهـدوء ... بأساليب حددتها الأمثال القائلة :

- صباح الخير يا جاري، إنت في حالـك وأنـا فـي حالي ( أو أنت في دارك وأنا في داري).
- أصبر على جار السو، ياتجيله داهية يا يرحل.
- من جاور الحداد ينكوي بناره.
- إن غسلات توبك إنقيه، وإن خاصـــمت جـــارك إبقيه.
- خلصت حاجتي من عند جـارتي ( أي الانسـحاب بسلام).
- إن جار عليك جارك حول باب دارك.
- إن كرهك جارك غير باب دارك.
- إن كان جارك بلا ( بلاء ) حك به جسمك.
- إياك أعني واسمعي يا جاره ( عربي متداول).
- الكلام لك يا جاره ... وأنت حماره ...

وبقدر ما يرى المثل المصـري فـي علاقـة الجـوار محاسن، ونجدة وغوثًا، وتسلية، وتعاطفًا، يرى فيها بعـض الشرور، والمخاوف، والمحاذير، التي وضع أساليب طيبـة لتجنبها أو الرد عليها، كما وضح من الأمثال (العشر) السابقة التي تبعد الجار عن العدوان أو التطاول على جاره، أو رد الأذى بمثله ... في مقابل ذلـك نجـد أمثـالاً قليلـة نسـبيا ( ٣ أمثال فقط ) تحرض على مقابلـة العـدوات بالعـدوان وتقول:

- الأبيحة ست جيرانها.
- خلص تارك من جارك.
- ما بعد حرق الزرع جيره ( أي قطيعة كاملة ).

وعن المحاذير التي يصف بها المثل المصري مـا قـد يلاقيه من جيرانه، تقول الأمثال :

- البلاوي تتساقط من الجيران.
- جارنا السو ما أرداه إلى معانا كده، واللـــي معـــاه خباه.
- دقوا في أوانهم وسمعوا جيرانهم.

- أنا رحت الغيط حرست جاري، سـرق البرسـيم وخد حماري.
- الحسد عند الجيران والبغض عند القرايب.
- الجار السو يحسب الداخل ما يحسب الخارج.
- لليهـود والنصـارى ولا ولاد الحـارة ( تقولـه المرأة البغي خوفًا من كلام الجيران).
- الشاطرة تقضي حاجتهـا والخايبـة تنـده جارتهـا ( أي أن الجيـران يكونـون مصـدر تعطيـل أحيانًا).
- الشاطرة تعمل حاجتها والخايبة قاعدة تحدتها.

وفي مقابل كل هذه المحاذير مـن حسـد، وتعطيـل، ونميمة، وأخذ دون عطاء ... أو تباهي بما لدينا دون الحفاظ على مشاعر جيراننا يدعو المثل الشعبي قائلاً :

- ا لا يجعل لنا جار وله عينين.؟

وعوضا عن الاسترسال في توضيح فلسفة المصري في تقنين علاقاته الطيبة بغيره من أصدقاء، وجيران، وأهـل وأقارب ... الخ مما سيأتي تفصيله فيما بعد – عندما نتعرض لسمات أخرى مصرية – نـوجز القـول بـأن المصـري

" الطيب " يحترم الكبير ويجله، ولا ينتظر المعايب منـه ... وهو في ذلك يحترم سلطة الأب، وكبار السن، ويحتـــرم السلطة بوجه عام ... وذلك مما دعا بعـض البـاحثين إلـى وصمه بسمة " سلطوي" أي يقدس السلطة، ويخضـــــع لها، ولعل هذه السمة بالذات تعتبر سمة أصيلة في المصري منذ العصور الفرعونية، التي كانت فيها سلطة الحـاكم لهـا صفة الألوهية، إذ كانوا يرون في الفرعون الإله، الذي تجب طاعته، وحمايته، والرضوخ له حتى في العمل بالسـخرة – وإن اختلف الباحثون حول النظرية القائلة بأن المصري بنى الهرم بالسخرة – وأنا مع القـول بـأن المصـري المـؤمن المتدين، الخاضع للفرعون الإله قد بني الهرم "أو مقبرة الإلة" طاعة، وخضوعا، وعملاً طيبا يحسب له في الآخرة، وليس بالقهر، وإنما بالرضا والحب للحاكم، واحترامه وتأليهـه ... احترام المصري "الطيب" المهذب لمن يعلونه سنًا، أو قـدرا أو مقاما، وهذه تحسب له ... وإن انبثق عنها سمات أخـرى سلبية، كالتذليف والمراءاة والنفاق – ممـا سـيأتي بيانـه – فالمصري يرى في :

- الكبر هيبة.

- الشيبة هيبة.
- دول الخير والبركة.
- الدهن في العتاقي.
- أكبر منك بيوم يعرف عنك بسنة (أي أن الكبر خبرة).

أما عن وجوب طاعة الأب – كأول سلطة – فتقول عنها الأمثال المصرية:

- اللي ما يسمع كلام والديه يا لطمه على خديه.
- أنت ومالك لأبيك ( عربي متداول).
- الشجرة اللي متضللش على أهلها تستحق قطعها.
- الولد ولد ولو كان شيخ البلد ( أي لابد يحترم أباه).

وغير ذلك كثير مما يقنن العلاقة الأبوية – سنستعرضه آنفًا – أما عن علاقة المصري الصبور " الطيب " بحاكمه، أو بالسلطة ووجوب احترامها – ولو ظاهريا – فتقول عنها الأمثال :

- أنا أول من أطاع وآخر من عصى.

- حد يقول لغولة عينك حمر ؟! ( أيـا كانـت سـلطة أو قوة حاكم).
- الملك من هيبته بينشتم في غيبتـه ( وتقـال أيضـا درءا للفتنة عن النمام).
- آه يا بلد من غير عمـدة ( تعبيـرا عـن الحاجـة الدائمة إلى السلطة منعا للتسيب ).
- إلى مالوش كبير يشتري له كبيـر ( تعبيـرا عـن ضرورة وجود كبير أو حاكم).

والمصري الذي يحترم السلطة في العلن ... لا يلبث أن يسخر منها في السر أو في أمثاله، وكنموذج لذلك قوله:

- جبنـاك يـا حكومـة تحمينـا ... حميتـي النـار وكوتينا.

هذا وإن كنا لا نجد كثيرا من الأمثـال الشـعبية التـي تواجه الحكومة هكذا وبصراحة ... وترد فيها كلمة حكومـة أو عمدة أو ملك ... بل نجد أن المصري ينفس عن شـعوره بالقهر من الحكام بالنكتة أكثر من المثل ... وإذا مـا نفـس بالأمثال فغالبا ما يستعيض بتشبيهات مثل:

قوله " الغولة " ... وهو يستنكر أن يجابهها أحد بالنقد، حتى ولو كان عيبا فيها بالفعل "عينها حمرة" ... ولعل هـذه السمة الطيبة وهي الاحترام والولاء الظاهري للحاكم، قـــد أوصل المصري المهذب إلى حد النفاق والمراءاة للسلطة، أو للغير بوجه عام، كهروب من المواجهة، رغم أن كثيـرا من الأمثال تستنكر النفاق والمراءاة أو المداهنة، فـــــأي الجانبين يرجح المثل الشعبي المصري؟! تقــول الأمثــال الرافضة لهذه السمة المعيبة:

- في الوش مراية وفي القفا سلاية.
- أبو وشين يلعب على الحبلين ( أي كالبهلوان).
- بــوس الأيــادي ضــحك علــى الــدقون ( أي لا تصدقه).
- ده كله مسح جوخ ( أي لا تصدقه).
- لما تقع البقرة تكتر ســكاكينها ( يقــال للكبيــر إذا وقع وهاجمه الجميع).
- ضلالي وعامل إمام، وا حرام.
- يأدي ( أو يصلي ) الفرض وينقب الأرض.
- زي المش كل ساعة بوش.

- تحت البراقع سم ناقع.
- زي القـط يسـبح ويسـرق ( وتقـال أيضـا فـي التناقض).

وإذا كانت الأمثال التي تسخر من النفـاق والمنـافقين تصفهم " بالضلال " و " السم الناقع " وأنه " بوشين " ومثـل "القطط والمش" ( عشرة قـط ) نجـد أن الأمثـال المحبـذة للمراءاة والنفاق، والاستسلام والكلمة الطيبـة، تحسـبا مـن البطش والقوى الغاشمة، أو ما يسمى " المطاطية " أي إحناء الرأس للريح، ودرء الشر بكلمة طيبة، فهي كثيرة نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر مما تبقى على اللسان المصري من أمثال:

- إن كان لك عند الكلـب حاجـة قولـه يـا سـيدي (نفاق أم مرونة ؟!).
- اتمسكن لحد ما تتمكن ( دعوى للاسـتعطاف ولـو لحين).
- الإيد اللي متقدرش تقطعها بوسها.
- اللي متقدرش توافقه نافقه.
- إن لقيت بلد بتعبد عجل حش واديله.

- أرقص للقرد في دولته ( أي زمان حكمه).
- من طاطا لها فاتت.
- علشان ما نعلى لازم نطاطي.
- طاطي رأسك ما بين الـروس إلا الماشـي عليـك يدوس ...
- كلمة باطل تجبر الخـاطر (فهـو يراهـا مجاملـة وليست نفاقًا).
- إن قابلك السفيه داريه بما فيه، وهـــات كحكـــة بسكر وهاديه.
- اتوصوا علينا ياللي حكمتوا جديد، إحنــا عبيــدكم وأنتم لينا سيد.
- معاهم معاهم ... عليهم علـيهم ( أي موافقـة إلـى حد المداهنة).
- لأجل الضرورة أروح للندل البيت، وأقوله له، العفو يا سيدي، أشــيل مداســه وأمســح تــراب رجليه( قمة النفاق للضرورة ... حكمة !!).

وإذا كانت نسبة تحبيذ المثل الشعبي للمداهنـة والنفـاق أكبر بنسبة ١٥ : ١٠ قياسا بالرافضة له، فإننا مـن سـياق

المثل الشعبي، ومن تحليل مضمونه، والوقوف على كل لفظة فيه تفسير أسباب ما يدعو له، نجد أنـه يعكـس مـا لـدى المصري " الطيب " المجامل الودود من مكر وحيلة ودهـاء فهو يستكين أو " يتمسكن " إلى حين أن " يتمكن " ... وهـو يداري السفهاء تحسبا من سفههم، ويطاطئ رأسه، حتــى لا تداس، وحتى تمر العاصفة ... طالما هو ضعيف إلى أن يعلو قدره ... وهو في إطار دعوته للانحناء للقوة والسلطة، يسبها ويسخر منها، ويشبهها مرة بالكلب، ومرة بالقرد، ومـــرة بالعجل ... فهو كعادته وفقًا لسمته الأولى " سـاخرة " حتـى وهو مستكين وداع للمداهنة والنفاق، وإخفاءه ما يبطن مـن رفض أو احتقار، وهناك أمثلة أخرى تؤكد ذلك وتقول:

- يا كنيسة الرب اللي في القلب فـي القلـب ( قالـه المسيحيون حينما أسلموا).
- قالوا يا كنيسة اسلمي قالت: اللي فـي القلـب فـي القلب.
- صباح الخير يا كنيسة واللي في القلب فـي القلـب ( يقولها المسلمون).

- إن فعلت ما تقول إن قلت ما تفعل ( أي أظهر عكس ما تبطن).
- دي نقرة ودي نقرة ( ويقال أيضا لمن يفعل الشر والخير معا).

والمصري من محصلة ما سبق نجده يضطر للنفاق، أو يمارسه وكأنه مجبر عليه – رغم أن أمثاله الشعبية تحبذه كحل لما يلاقيه – فهو غالبا محتاج أو فقير، أو ليس أمامه اختيار، فهو مجبر، ومسير، وغريق وجائع، وواقع تحت ضغوط، أو بين نارين، وتأكيدا لذلك تقول الأمثال في الاضطرار الذي يقود إلى تصرف لا ترضاه نفس المصري الأبية:

- المضطر يركب الصعب.
- قال إيه رماك على المر ... قال اللي أمر منه.
- الضرورة لها أحكام ( للضرورة أحكام).
- الضرورات تبيح المحظورات ( قاعدة فقهية متداولة).
- الجوع كافر.
- ما باليد حيلة.

- الغريق بيتعلق بقشاية.
- علشان بطنه حلقوا دقنه ( أي أهين ورضي لفقره).
- أدي السماء وأدي الأرض.
- اللوح قال للمسمار، أنت قلقتني، قال المسمار، لو كنت تعرف الدق اللي على راسي كنت عذرتني!
- قال : ياللي أبوك مات من الجوع، قال : هو كان لقى أكل ولا أكلش ( اضطرارا فلا داعي للشماتة).
- ماله الدست بيغلي؟ قال : من كثرة ناره.
- يرضى ورجله فوق رقبته.

والمصري الذي يعترف باضطراره الذي يلجئه إلى ما يكره، وإلى الصعب، وإلى الرضوخ للإهانة، أو ممارسة النفاق، أو الإلحاح، أو التعلق بالواهي من الأمور، نجده يسخر في أمثال أخرى ممن يتحايلون على اضطرارهم بالصلاة والصوم كشكل من أشكال النفاق إلى أن يزول العوز، أو اللجوء إلى ا وقت الضيق والغرق فقط.

- زي المراكبيــة مــا يفتكــروش ربنــا إلا وقــت الغرق.
- ما يعرفش ربنا إلا وقت زنقة.
- من صلى وصام لأمر كان. فـإذا قضـي الأمـر لا صلى ولا صام ( عربي متداول).

والمصري الذي يصبر ويداهن وينافق أمام الاضطرار أحيانًا، تجده نادرا ما يثور ... بل ويعبر عما يقع عليه مـن قهر بالكلام، أو بالبكاء، أو بالتحسر أو الشكوى قائلاً :

- حاجة تخلي الأخرس ينطق.
- طفح الكيل ( أي بلغ السيل الزبي).
- كتر الحزن يعلم البكا.
- هم يضحك ... وهم يبكي.
- اشكي لي وأنا أبكي لك.
- الأيام الزفت فايدتها نوم ( كوسـيلة هـروب مـن القهر).
- انسى الهم ينساك ( التسرية والنسيان كحل).
- بعد الكثير وبعـد مـا كنـا صـار القليـل يجبـر خواطرنا ( تحسر).

هذا ويدخل في إطار " طيبة " المصـري واستسـلامه لمقاديره، ورضاه بالمقسوم له، أنه غالبا لا يحـاول تغييـر واقعه، أو الثورة عليه، بل يعتبره نوعا من الهـم والحـزن والكدر الذي يصيبه، فيستسلم له متحسرا، ومكتفيـا بـالقبول الخانع بالهم والغـم، واتخـاذ ذرائـع هروبيـة كالتحسـر أو الضحك أو التشاكي، أو التصبر بأن ما أصـابه مصـاب عام، أو الاكتفاء بأن " يدق الهم وينخله" أو "يقلب ويعاير" أو يسلي الهم " بزبيبة " أو بنوع من المخـدر – المشـتق مـن زهرة الأفيون – ومن الأمثلة على ذلك القبول للهموم.

- بجملة الهم يا عم ( استزادة وتقبل).
- يدق الهم وينخله.
- قاعد يقلب ويعاير.
- هم ما يتلم ( مجرد توصيف لكثرة الهم).
- اللي فينا مكفينا.
- شر البلية ما يضحك ( عربي متداول).
- هم يضحك وهم يبكي.
- ضيع الهم بزبيبة.
- إن كترت عليك الهموم أرقد نوم.

- أترك الهم ينساك، تلقى سعدك وتنسى أساك.
- أشكي لمين وكل الناس مجاريح.
- الهم في الدنيا كتير بس مفرق.
- الضحك على الشفاتير والقلب يصبغ مناديل ...
- الوش مزين، والقلب حزين.
- متعيطوش على فخاركم ده له زي أعماركم.
- وقوع البلا ولا انتظاره.
- قضيت العمر في قهر، قال، هو العمـر فيـه كـام شهر ( دعوة للفرح).
- ما شيلتك يا دمعتـي إلا لشـدتي ( اللجـوء للبكـاء كحل).

هذا ويتصور المصري – كما يتضح من أمثالـه – أن الهم أو القهر والكدر مكتوب عليه، يسعى له، ويختـــره دون سواه، وكعادته يسخر من ذلك سخرية لاذعة، ويصور ذلـك بصور غاية في البلاغة ودقة التصوير ... واستشهادا علـى ذلك بالأمثال يقول المصري:

- جت الحزينة تفرح ... مالقيتلهاش مطرح.
- قلوب عليها دروب، وقلوب في الهم تدوب.

- من يوم ما ولدوني في الهم حطوني.
- مشفتش يوم أحكـي عليـه ( أي يـوم سـعيد فـي العمر كله).
- رضينا بالهم، والهم مرضيش بينا.
- يا فرحة ما تمت ... خدها الغراب وطار.
- نص الفطره خروب ( أي حتـى الشـيء المفـرح نصفه لا قيمة له ).
- كل هم البلد بيجي عندي ويتسند.
- بيدور على النكد بمنكاش ( يقـال عـن الشـخص النكدي).

والمصري الذي لم تفسده النعمة، والذي طالمـا عـانى الفقر واليتم، وعدم الاستطاعة والعجز والعوز، أو ما يسميه العذر والضيق، نجده يتخذ من هذه الأمور المذلة القاهرة مادة لسخريته المعتادة، بوصفها أول سماته النفسية– فهـو رغـم غلبة الفقر – يسخر في أمثلة من الفقراء، ويقرر لهم نصيبهم من الدنيا، الذي يجب ألا يتطاولوا ويطمحوا إلى أكثر منه ... بل وضع صورا لتعجب الناس من الفقراء، إذا ما كانت يدهم

العليا، أو حاولوا التشبه بالأغنياء، أو التمثيل بهم، وفي كل ذلك تقول الأمثال في الفقر واليتم:

- الفقر ريحته وحشه.
- لو كان الاسم بيتشرى كان الفلاح سمى ابنه ( خرى).
- طول ما أنا على الحصيرة لا شايف طويلة ولا قصيرة ( أي طالما فقير لن يجد عروسا).
- إذا دخل الفقر من الباب خرج الحب من الشباك ( فالفقر طارد للحب ).
- اللي ما يكون سعده من جدوده يالطمه على خدوده ( أي الغنى يأتي بالإرث وليس بالسعي).
- طلب الغنى شقفه، كسر الفقير زيره، جته داهية ما أقل تدبيره.
- علشان كبابك، أكب أنا عدسي.
- إذا شفت الفقير بيجري أعرف أنه بيقضي حاجة للغني.
- العايز أهبل.

- دلع الفقارى يفقع المرارة.
- الغنى شكته شوكة بقت البلد في دوكة، والفقير قرصه تعبان قالوا اسكتوا بلا كلام.
- الغني غنوا له، الفقير منين تروحوا له.
- غني مات جروا الحبر (*). فقير مات مافيش خبر.
- الفقير لا يتهادى ولا يدادى، ولا تقوم له في الشوارع شهادة.
- الكرشة عند المقلين زفر.
- الكسبة عند الفقراء حلاوة.
- قال ما مزكي حالك يبكي.
- إن عاشوا كلوا الديدان، وإن ماتوا ما يلاقوا أكفان.
- حلم القطط كله فيران ( يقال عن المحرومين).
- خذوا من فقرهم حطوا على غناهم.
- أنضف من الصيني بعد غسيله ( كناية عن الفلس).

---

(*) جمع حبرة أي ملاءة أو عباية.

- قالوا، يا جحا عد غنماتك، قال، واحـــدة قايمـــة وواحدة نايمة.
- الجعان بيحلم بسوق العيش.
- سألوا الجعان، واحد × واحد بكام، قـــال، برغيـــف عيش.
- محدش بيموت من الجوع.
- محدش بيبـات جعـان ( أو مـن غيـر عشـا ... وتلك حقيقة في مصر نظرا للتكافل).
- ابن مين اللي محمول؟! ابن اللي عندها مأكول، وابن مين اللي ماشي؟! ابن اللي معندهاشي.
- غني كل حية قالوا، من حكمته، وإذا أكلهـــــــا الفقير قالوا، من حموريته.
- الفقير قال للفار كل الورق، قـــالوا كـــداب ده كلام! الغني قال للفار كل الذهب، قالوا، تمـــام أو ده الكلام.
- يتعلم الحجامة في روس اليتامى.
- متعلمش اليتيم بكى.
- الكحكة في أيد اليتيم عجبة.

ومن خلاصة ما سبق من أمثال ( ٣٢ مثلاً ) يتضح لها مدى سخرية المصري من المجتمع الذي يحابي الغني عن الفقير، وينصره، ويصدقه في مقابل تكذيب الفقير، وعدم مبادلته الهدايا، وعدم الاعتراف بشهادته، والتهكم على مجرد تشبهه بالغني في التصدق والزكاة والتدلل، فدلالهم غير مقبول، ومحاولتهم المساعدة تفسر على أنه قلة تدبير وسفه، فليس من حق الفقير وفقًا للمثل الشعبي المصري التطلع، أو حتى التسمي بأسماء جميلة ... وهو محتقر في كل أحواله، إذا عاش، وإذا مات، وإذا طلب الزواج بطويلة أو قصيرة، وهو موضع سخرية حتى في أحلامه، وحتى الكحكة في يده عجبة، وإذا أكل كرشة أو حتى كسبه فهو موضع سخرية، إذا ما رضي بها وفرح.

كل ذلك رغم أن الغالبية العظمى من الشعب المصري فقراء نظرا لما عاشه المجتمع المصري من عصور إقطاع طويلة ... ولما يتنادى به الناس من أن ا خلقهم طبقات – وقد تعرضنا سلفًا لنظرة المصري للطبقات والمقامات وسخريته ممن يتطاول ويتطلع إلى غير طبقته – وهذا أمر ليس بمستغرب على المصري ذي الشخصية المركبة، التي

تتضمن النقيضين معا ... فالمصري الأسمر الجميل الأصيل يسخر من سمرته ويتنكر لها – وهذا ما سنتعرض له فيمـا بعد حينما نتناول نظرة المصري للقيم الجميلة، وتقويمـ ـ ـه للجمال والقبح وهو ليس موضوعنا الآن على أيـة حـال ... لكننا نذكره فقط للتشبيه إلى أن يأتي أوان الحـديث عنـه – المهم أن المصري يحاول من خلال عدد ضئيل من أمثالـه الشعبية أن يعرف الفقر تعريفًا لا يقصره على مجرد الفقـر في المال ... بل يسمو بنفس الفقير، ويـــرى أنهــا نفــس غنية، وأن الفقر غربة، ويرى أنه حشمة، حيث لا يحـرص الناس على الترف وما يجره من تبدل ... وأن الفقيـر دائمـا حمله أخف، ولا يوجد ما ينغص عليه عيشته أو يقلقه، وتقول هذه القلة من الأمثال :

- سيدي ما أخفه لا في إيده ولا في طرفه.
- العريان في القافلة مرتاح.
- فقر بلا دين هو الغنى الكامل.
- الفقر حشمة والعز بهدلة.
- الفقر مش عيب، ما عيب إلا العيب.
- فقر المرء في وطنه غربة.

- غنى المرء في الغربة وطن ...
- الغنى غنى النفس ( غنى النفس هو الغنى الكامل).
- ا   الغني ( تقال في الاستغناء والقناعة).
- إن مال عليك الزمان ميل على دراعك.

وبذلك نرى أن المثل الشعبي يرسم للفقير طريق الخلاص من الفقر بالعمل، لكن ذلك يأتي في مثل واحد فقط... ويرى أن غنى النفس والاستغناء سبيل آخر للخلاص من الفقر، ويرى المثل العامي أن " الفقر مش عيب" وأن الاكتفاء غني، طالما غير مصحوب بدين يذل النهار ويهم بالليل ... ومع ذلك يتواتر على ألسنة العامة في مصر المأثور العربي القائل :

- لو كان الفقر رجلاً لقتلته.

ويدعو المصري ا   أن يعطيه ويغنيه بعبارة دارجة على ألسنة العامة يقول:

- اللي عطاك يعطينا يا با.

وحول عدم الاستطاعة والعذر والعوز يواسـي المثـل المصري - إذا ما وصل أمر العجز عن الوفـاء إلـى حـد الاستحالة – يواسي المحتاجين وغير القادرين قائلاً :

– العين بصيرة والإيد قصيرة.
- حيلة العاجز دموعه.
– العاجز في التدبير يحيل على المقادير.
– يعني أضرب الأرض تطلع بطيخ.
– نقول، تور، يقولـ ـوا احلبـ ـوه ( كنايـ ـة عـ ـن الاستحالة).
– عشم إبليس في الجنة ( كناية عن الاستحالة).

ويقال أيضا في عدم الاستطاعة (أو العجز) من حيـث قلة الحيلة، أو قلة القدرة والمهارة:

– هو أنا مكفـ ـن وضـ ـامن جنـ ـة ( أي أعمـ ـل علـ ـى والنتائج على ا ).
– قالوا للجمل زمر قال: قـ ـال : يـ ـا ريبـ ـت، لا صـ ـوابعي مبرومـ ـة ولا شـ ـفايفي مضـ ـمومة ( ويقولها الفقير عند عدم الاستطاعة).

هذا ويتفكه المثل المصري على العذر والعوز فيقول:

- ما كانش انعذر ولا باع جزر.
- ما كانش ينعز ( إن وجد ).
- قال، إيش غرض الأعمى. قال ... قفة عيون.
- الحوجة مرة.
- المحتاجة غناجة ( أي مضطرة).
- إيش ياخد الريح من البلاط ( كناية عن الإفلاس).
- كلمة بكرة زرعوها مطلعتش ( وتقال عند تسويف المدين).
- شدة وتزول ( وتقال كتسرية عند الضائقة وفي المرض).
- الشكوى لأهل بصيرة عيب.
- على لساني ولا تنساني ( تقال في السؤال وفي الضيافة أيضا).
- شحات يكره شحات. وصاحب البيت يكره الاتنين.
- شحات شحت من شحات تطلع له في ... حسنة.

- التاجر لما يفلس يدور في دفاتره القديمة ( ويقال الخواجة لما ... ).
- وبعيدا عن هذا المفهوم للطيبة بمعنى الاستكانة، والفقر والمسكنة، والعوز، والحاجة التي تجبر المرء على أن يكون طيبا، لاحتياجه للآخرين، نجد أن " الطيبة " المصرية لها مفاهيم أخرى ترتبط بسلوك المواطن المصري، من حيث تعاونه وتكافله مع الآخرين، ومن حيث كرمه وحسن ضيافته، ومن حيث كراهيته للإنسان السيئ الخلق، ونبرة السخرة منه، والتمسك بعادات وخصال حسنة في مقدمتها الصدق والأمانة وعدم التدخل فيما لا يخصه، وهنا سنورد ما أطلق المصري من أمثال تؤكد ما ذهبنا إليه ... وفي مقدمة ذلك ما قالته الأمثال عن العمل الطيب والإحسان ... وكراهة الشر كوجه من أوجه الطيبة المصرية :
- الطيب أحسن.

- أعمل خير وارميه البحر ( وتقال أعمل المعروف أو الطيب ... ).
- أصنع ( أو اعمل ) المعروف في أهله وغير أهله.
- الساعي في الخير كفاعله ( أو الجاري).
- الباني طالع والفاحت نازل.
- الحلم سيد الأخلاق.
- سلامة الإنسان في حلاوة اللسان.
- إن عملت خير ما تشاور.
- خير البر عاجله.
- الخير يخير والشر يغير.
- سلامة في خير وخير في سلامة ( تقال كبداية للحديث أيضا).
- ما بين الخيرين حساب.
- الدنيا لسة بخير.
- اللي عند ا ما يضعش ( من العمل الطيب والإحسان).

- اللـي تزرعـه تفعلـه أو تضـمه ( لأن الطيـب جزاؤه الطيب).
- كل واحد بياخـد علـى قـد نيتـه ( لأن الطيـب جزاؤه الطيب).
- إنمـا الأعمـال بالنيـات ( فمجـرد نيـة الخيـر تحسب).
- ربك رب قلوب.
- بير تشرب منه ما ترميش فيه حجر.
- أصلح ( أو أخلص ) النية، ونــام فــي البريــة (يقابله لقد حكمت فعدلت فنمت آمنًا يا عمر).

وإذا كانت هذه هي حصيلة الأمثال الداعية إلى الخيـر ( ٢٠ مثلاً ) وعمل الطيب والإحسان، وخلــوص النوايــا، وذلك ما يطالب به المثل ويحبذه، ويؤكـد أنـه بالضـرورة مردود على فاعله بالخير والطمأنينة، وأن الخير عند ا ولن يضيع، وسيجازي ا عنه ... وحتى وإن كان مجـرد نيـة وسعي وليس فعلاً حقيقيا، ويرى المثل ضرورة لاستزادة من الخير، وعدم المشورة فيه بل التعجل به، كما يرى أنه لـيس بين الخيرين حساب، وأن على المرء فعـل الخيـر وعـدم

انتظار الأجر والثواب ... بل إلقاءه في البحر ... وإن علـى الإنسان فعل الخير في أهله وغير أهله ... وإن كانت بعـض الأمثال على قلتها ( ٥ أمثال فقط ) تحذر ممن نحسن إليهم، وتؤكد على فعل الخير فيمن يستحقونه فقط، وكنموذج لـذلك الأمثال القائلة :

- اتق شر من أحسنت إليه ( مما جاء في الأثر).
- اطعم مطعوم ولا تطعم محروم ...
- إن أنت أكرمت الكريم ملكتـه وإن أكرمـت اللئـيم تمرد ( عربي متداول).
- خيرا عملنا والشر جانا منين؟ ( خيـر تعمـل شـر تلقى).

واستكمالاً لحديث الخير والشر، ورؤية المصري لهمـا من خلال أمثاله ... نتعرض كوجه آخـر لحـب المصـري " الطيب " للخير وفعله، ونبذه للشر وتصويره هو وفاعليـه بصورة كريهة غير محببة، تحبذ عمل الخير أيضا، وتؤكد ما ذهبنا إليه سلفًا عن طيبة المصريين، فالأمثـال تقـول عـن " الشر".

- أبعد عن الشر وغني له ( ويقـال قنـي لـه ... أي أجعل بينك وبينه قناية).
- إن كان بينك وبين الشر جسـر اقطعـه قبـل مـا يعدي لك.
- الجـاري فـي الشـر نـدمان ( أو فاعـل الشـر ندمان).
- طباخ السم لابد يدوقه.
- يا فاحت البير ومغطيه لابد من وقوعك فيه.
- من حفر حفرة لأخيه وقع فيها (عربي متداول).
- من شاف الشر ودخل عليـه يسـتاهل مـا يجـري عليه.
- اللي يعفر تعافير بتيجي على دماغه.
- شرارة تحرق الحارة.
- طوبة على طوبة تخلي العركة منصوبة.
- كل واحد له شيطان.
- اللي ما فيه الخير تركه أخير.
- تضرب القطة تخربشـك ( وتقـال كلـم القـط أو دوس على ديل القط ... )

- دارت الدورة عليك يا عورة.
- وقع في شر أعماله.
- الشر إن بات فات (فيه دعوة لعدم إذكاء الشر).
- قالوا للغراب، ليه بتسرق الصابون؟ قال: الأزيـــة طبع.
- مات قتيل، وساب فتيل ( أي عواقـب الشـر تبقـى حتى بعد انقضائه).
- صباح الخيـر يـا عـورة... قالـت ... ده شـر بايت.
- قال : صباح الخير يا عورة ... ده باب شر.
- فضي إبليس لقلع الديس ( أي النبات).
- لا منه ولا كفاية شره ( تقال عن المؤذي).
- ما اسخم من ستي إلا سـيدي ( أي كلاهمـا أسـوأ من الآخر).
- قال: أديني تقاوي البلاوي، قال كلمتني فارغين.
- الباب اللي يجيلك منه الريح سده واستريح.
- باب مردود شر مطرود.

وعلى كثرة هذه الأمثال ( ٢٧ مـثلاً ) النابـذة للشـر وفاعليه، نجـد بعـض الأمثـال التـي تعـرف الشـر وتوصفه، وتراه في أشياء أخرى كثيرة غير الأذى المباشر، مثل تعطيل مصالح الناس أو تعقيد الأمور، وترى الأمثـال صورا مختلفة لما يمكن إدراجه تحت بند الأعمال الشـريرة مثل:

- شنق ولا خنق ... قال ... كله في الرقبة.
- حطوا العقدة في المنشار ( لتعقيد الأمور).
- يوقف المراكب السايرة ( أي يعطل المصالح).
- زي عفاريـت القيالـه ميتهـدوش ( اسـتمرار الشر).
- ولاد الحرام كتير ( كناية عن كثرة الأشرار).
- لا يرحم ولا يسـيب رحمـة ربنـا تنـزل ( أي أن منع الخير لون من الشر).
- خربها وقعد على تلها.
- يحجج الجمل والبردعة، ويـروح بـذنب وييجـي بأربعة ( أي لا يتوب عن الشر).
- إبليس ما يخربش بيته.

هذا ويستعيذ المصري من الشر وفاعليه بالعديـد مـن العبارات الشعبية التي صارت مثلاً، وتوارت على الألسـنة مثل:

- حوالينا ولا علينا ( وتقـال أيضـا لا حوالينـا ... درءا للشر).
- فالكوا في داركوا ( حينما يتلفظ بوقوع الشر).
- يا دار ما دخلك شر.
- يا قاعدين يكفيكوا شر الجايين.

وبين الشر والأذى وفاعليه وبين سوء الخلق بوجوهـه المختلفة ارتباط وثيق، قالت عنه الأمثال الشعبية المصـرية الكثير ... مما يعكس مفهومه المصري غير القاصـر للشـر وسوء الخلق، إذ يـرى ذلـك فـي طـول اللسـان أو ما يسميه " القباحة" أو العيـب ويـراه فـي النذالـة والفتنة، والنميمة، والعار، والزنا، والهـروب مـن الحق، والرزالة وسوء الحديث، وسب الآخرين أو ضربهم، وعمل السحر والأعمال، كل ذلك يرى فيه المثل المصـري سوء خلق، لابد من البعد عنه واجتنابه، مما يدل على مـدى "طيبة" المصري وحبه للخير ... كما يتضح مما يلي:

- زي الفجر يقبح ويصبح.
- يا رايح كتر من القبايح.
- العيب لو طلع من أهل العيب ميبقاش عيب ...
- كل إناء بما فيه ينضح ( عربي متداول).
- لا إحسان ولا حلاوة لسان.
- يأكل ويشرب ووقت الحاجة ( أو الدفع )

 يهرب.
- الندالة لها ناس.
- عند الضيق لا أخ ولا صديق.
- عويل شتم أصيل نهار نادي !! ( إذا أتتـــــــــك

 مذمتي من ناقص فهي الدليل على أني كامل).
- ضربني وبكى وسبقني واشتكى.
- الاسم لطوبة والفعل لأمشير.
- إن عضني الكلاب ما ليش ناب أعضه، وأن

 سبني الندل ما ليش لسان أسبه.
- الفتنة نائمة لعن ا   من أيقظها (عربي متداول).
- الفتنة أشد من القتل ( حديث متداول).
- زي ما يقول لك يقول عليك ( يقال عن النمام).

- العار أطول من العمر.
- الزاني ما يأمن على مراته.
- الجيد ينتخي، والندل لا.
- تفوا على وش الرزيل قال دي مطره.
- قال يا أبويا علمني الرزالة، قال، يـا ابنـي اللـي تقوله عيده.
- قال يا أبويا عملني الرزالة، قال تعال فـي الهايفـة واتصدر.
- روحي يا ساحرة لا نايبك دنيا ولا آخرة.
- البحر ما ينفد فيه السحر.
- أول الرقص حنجلة.
- زي حداد الكفار حياته وموته في النار.
- زي اليهود وش نضـيف ... وجبـه زي الكنيـف ( تقال أيضا في المراءاة).
- زي ترب اليهود بياض علـى قلـة ( تقـال أيضـا في المراءاة).
- زي فقر اليهود لا دنيا ولا آخرة.

- دموع الفواجر حواضر ( تقال عـن الكهانـة لـدى سيئ الخلق).
- أقل بصلة تنزل الدمعة.
- الحداية الشكاية، النعاقة البكاية، الرغايـة النمامـة، العيابة الفتانة قطع لسانها من اللغلوغ.

هذا ومن المسالب والمعايب التي ينبذها المثل المصري، " الكذب والادعاء" والحنث في الوعد وعدم الحفـاظ علـى الكلمة، خاصة كلام الرجال، إذ يكفي المصري أن يقول : " كلام رجالة" حتى يكون ما يعد بعد كلمة صدق لا رجعـة فيها.

ويفرق المثل المصري بين ألـوان الكـذب المختلفـة ويسميها "الفشر" و "النتش" و "الجخ" ويضع ضوابط لمعرفـة كل نوع من أنواع الكذب، ويصور ذلك بأسلوب غايـة فـي الدقة وخفة الظل معا، كما يعد الكذاب بأشد العقاب ... حينما يكشف كذبه، ومن أمثلة ذلك:

- الكذب خيبة.
- الصدق منجي ( أو منجي).
- بيت النتاش ما يعلاش.

- كلام الليل مـدهون بزبـدة يطلـع عليـه النهـار يسيح.
- الحداية مبتحدفش كتاكيت.
- "علوق" عمنول عملوا غفرة السنة.
- تحلف لي أصدقك، أشوف أمورك أستعجب.
- على وشك يبان يا نداغ اللبان.
- قالوا للحرامي، احلف ، قال، جالك الفرج.
- حلفوا القاتل، قال " جالك الفرج يا قليط".
- قالوا لحرامي الدقيق، احلف، قال، يـ ـــا مـ ـــرى انخلي.
- الراجل ( أو بني آدم) يتربط من لسانه، والبهـ ـ ـيم من ودانه.
- البهيم من ودنه وبني آدم من لسانه.
- المايه تكذب الغطاس.
- خليك ورا الكداب لحد الباب.
- قالوا، الجمل طلـع النخلـة ... أدي الجمـل وأدي الجمال ( أو وادي النخلة).
- إيش عرفك إنها كدبة، قال، كبرها.

- البطيخة القرعة لبها كثير.
- اللـي علـى البـر عـوام (أي لـه أن يـدعي أي شيء).
- الكذب ما لوش رجلين.
- قاعد على نـخ وعمـال يـبخ ( أي قاعـد علـى حصير ويتفاخر كذبا ).
- فين عزمك يا فشـار أدي السـيف وأدي صـاحب التار.
- لولا شالوني من تحته كنت قتلته.
- صاحب بالين كداب، وصاحب ثلاثة منافق.
- إن قال لك، الحرامي على الباب، نـــام وطرطـــر رجليك (لأنه كاذب).
- عشمتني بالحلق خرمت أنا ودانـي لا جبـت أنـت الحلق ولا نبني أنا وداني.
- حبر على ورق( أي وعد كـاذب واتفـاق لا قيمـة له).
- وعد الحر دين عليه.
- إذا كنت كذوبا فكن ذكورا ( عربي متداول).

- إن كنت كداب افتكر.
- اللي يكدب نهار الوقفة يسود وشه نهار العيد. ( أي لابد أن ينفضح أمره).
- ما ينوب الكداب إلا سواد وشه ( جزاء الكذب).
- زي قاية اليهود تلتينها كدب.
- أكذب من مسيلمة ( عربي متداول).
- أفلح إن صدق ( حديث متداول).
- عينك ما تغشك ( أي أصدق من الكلام).
- شفت بعيني محدش قال لي ( أي صدق وليس شائعة).
- ربك وصاحبك لا تكذب.

كل ما سبق ذكره من أمثال ( ٣٨ مثلاً ) يتضح لنا مدى احتقار المصري للكذب بكل أنواعه – الجخ والنتش والفشر والكذب الصريح وخلاف الوعد – وكيف يضع أسلوبا لكشف الكذب بالمواجهة " آدي الجمل وآدي الجمال"، وبالوصول بالكداب إلى باب الدار ... إلى غير ذلك من تشبيهات وصور بليغة ودقيقة في التصوير ومتنوعة أيضا ... كما يؤكد أن

مصير الكذاب دائما افتضاح أمره، وإحراجه إلـى حـد أن يسود وجهه، وليس فقط أن يحمر خجلاً.

ومن الأمور الأخرى التي تؤكد سمة "طيب" بمعنى طيبة القلب وعدم المكر أو الخبث والتخابث، ما تقولـه الأمثـال الشعبية المصـرية عـن الخبثـاء ومـن يظهـرون غيـر ما يبطنون، ويكسبون سـمعه طيبـة بالادعـاء والكـذب و"الخبث" الذي تصوره الأمثال قائلة :

- يقتل القتيل ويمشي في جنازته.
- ضربني وبكى وسبقني واشتكى.
- يخانقني في زفة ويصالحني في عطفة.
- اللي تحسبه موسى يطلع فرعون.
- زي العقربة يقرص ويلبد ( قرصتها والقبر).
- يعرف الكف فين!
- يلعب بالبيضة والحجر.
- يوديك البحر ويرجعك عطشان.
- يعرف من أين تؤكل الكتف ( عربي متداول).
- من دقنه ويفتل له حبل ( من دقنه وافتل له).
- تحت الدفة قرود ملتفة ( شامي متداول).

- يا ما تحت السواهي دواهي.
- يا ما في الجراب يا حاوي.
- فم يسبح ويد تدبح.
-ماية من تحت تبن ( أي غير ظاهره).
- يدي باليمين وياخد بالشمال.
- راح يخطبها له اتجوزها.
- زي ولاد بلبيس يبيعوا العيش ويشحتوه.
- يلهي الوز بالغرق.
- يلهي الكلاب بعضمة.
- الفار وقع من السقف، القط قاله، اسم ا عليك.

وكما توصف الأمثال " المكر والخبث" تحذر منها أيضا، وتضع صفات كي نعرف صاحبهما، أو من يتصف بهمـا... وتضع لنـا قواعـد وعبـارات مـأثورة نقولهـا لكشـف المكارين، وإيقافهم عن التخابث، وفي التحذير قالت الأمثال:

- كل قصير مكير وكل طويل هبيل.
- احذروا كل من اقتـرب مـن الأرض ( أي قصـار القامة).
- قبطي بلا مكر شجرة بلا طرح ( أو بلا تمر).

أما عن أساليب مواجهة الخبث فتقول فيها الأمثال:

- مبروم على مبروم ميفتلش.
- بهلوان على بهلوان ميلعبش.
- اتغدى بيه قبل ما يتعشى بيك ...
- بتبيع الماية في حـارة السـقايين (يقـال للخبيـث حينما يتذاكى على الأذكياء).
- ستى لئيمة، وأنا ألأم منها ... تعـد اللحمـة وأنـا أقطع منها ( أو أقطم منها).

والمصري "الطيب" خجول، يتستر إذا أخطأ، وهو حذر يخاف ويحذر أمور كثيرة – ستتضح فيما يلي – ويتـأرجح المثل المصري بين تحبيذ الخجل والتستر، واعتبار التسـتر من عند ا – فهو الستار – وبين تحفيز الناس علـى عـدم الخجل، وتتأرجح الأمثال المصرية، التي سنذكرها لنوضـح ميل المصري إلى أي الجانبين، إذ تقول الأمثـال المحبـذة للخجل والتستر أو طلب الستر:

- إذا بليتم فاستتروا ( عربي متداول).
- ربنا أمر بالستر.

- إن ا   حليم ستار ( تقـال لمـن يفضـح الآخـرين حتى يسكت).
- الليل ستار ( ويستكمل أحيانًا والنهار له عنين).
- اللي ما يستحي يفعل مـا يشـتهي ( إذا لـم تسـتح فافعل ما شئت).
- اللي يستره ربه ما يفضحوش مخلوق.
- خلي الطابق مستور!
- الستار موجود ( أو ربنا ستار).
- داري يا سترة عاري.

وعن طلب الستر أو الدعوة بالستر يقول المصري فـي أمثاله أو مأثوراته أو أدعيته:

- يا أرض انشقي وابلعيني.
- قول يا حيط داريني.
- عيني منكم في الأرض.
- يا رب استرها دنيا وآخرة.

أما عن توصيف الخجل والستر ومن يخجلـون فيقـول فيهم المثل المصري:

- اطعم الفم تستحي العين.

- بقيت في نص هدومي ( كناية عن الخجل).
- اسود وشه ( من الخجل).
- قلعت برقع الحيا! ( أي أصبحت لا تخجل).
- ما له رايح وعرضه فايح ( أي غير مستور).
- ناس تخاف ما تختشيش !! ( تعجـــب ممـــن لا يخجلون).

كل ذاك ( ٢٠ مثلاً ) يحسب للمصري كإنسان خجـول مهذب، يسعى لستر أخطائه، أما الأمثال الداعية لعكس ذلك، تمثل لونًا من الاستهتار والمجون، أو ما يسـميه المصـري "الاستبياع"، وكنموذج لها :

- اللي ينكسف من بنت عمه ميجبش منها عيال.
- اللي اختشوا ماتوا ( وتقـال أيضـا فـي التعجـب ممن لا يخجلون).
- المكسوفة تغطي وشها بمنخل.
- اللي بيزمر ميخبيش دقنه ( أو ميغطيش ذقنه).
- البلد اللي محدش يعرفك فيها شلح وإجري فيها.

والمصري الخجول مهذب، يخجل أن تمتد له يد فيردها خالية، ويلجأ إلى الأعذار والحجج، حتـى لا يواجـه أحـدا

بالرفض؛ وحتى لو كان ذلك للصلاة، وحتى لو أتى اعتذاره أحيانًا أقبح من الذنب الذي اقترفه أو العذر الذي يبديه لسائله ... وكنموذج لذلك ولما ورد في هذا الصدد من أمثال :

- بركة يا جامع اللي جـت منـك ولا جـتش منـي ( قالها من وجد المسجد مغلقًا ).
- اللي مش عايزة تساف جارتها الحبل تقول، ناشـــرة عليه الدقيق.
- عذر أقبح من ذنب.
- إيش حايشك عن الرقص قال : قصر الأكمام.
- من قلة مفيش.
- احتاجوا اليهودي قال: اليوم عيدي.

وسيتضح تهذيب المصري وطيبته أكثر حينما نتنـاول قضية الكرم والضيافة، والتعـاون والتكافـل المصـري ذي الطابع الخاص جدا.

هذا ويعتبر المصري "طيب" بمفهـوم آخـر هـو أنـه " مستكين " يخاف من أشياء كثيرة، ويحذر في كـل خطـوة يخطوها، ومن كل شيء يقدم عليه؛ ويرى في ذلك سـلامته وقد يرى البعض أن سمة الحذر والخوف نـوع مـن عـدم

الإقدام والجبن، وأنه أمر لا علاقة له بالطيبة ... لكني أرى إنها سمة فرعية تنبثق أيضا عن سمة "طيب" بوصفها نوع من عدم التجبر أو الشعور المتضخم بالقدرة والقوة. تجعل المصري حذر في كل شيء، وإن عبر المثل الشعبي – كالعادة – عن وجهتي نظر فيما يختص " بالحذر والخوف".

إذ تقول الأمثال المحبذة لهما والتي تحرض على عدم المجازفة، والحفاظ على العمر وعلى السلامة.

- امشى سنة ولا تخطي قنا.
- من خاف سلم.
- العمر مش بعزقة.
- لا تلقى بنفسك إلى التهلكة ( عربي متداول).
- اللي يتلسع من الشوربة ينفخ في الزبادي.
- اللي تلدعه الحية يخاف من الحبل ( وتقال اللي مقروض من التعبان يخاف من الحبل).
- اللي تقرصه الحية من ديلها يخاف.
- الاحتياط ( أو الاحتراس) واجب.
- اللي ما يخاف من ا خاف منه.

- الباب المقفـول يـرد القضـا المسـتعجل ( تقـال أيضا الباب المترجل يحوش ... ).
- الباب اللي يجي لك منـه الـريح سـده واسـتريح ( مكرر ويقال فـي معنـى الحـذر والبعـد عـن مواطن الحظر).
- جحا طلع النخلة خد بلغتـه معـاه ( علـى سـبيل الاحتياط والحذر).
- مش كل مرة تسلم الجرة.
- لا يلـدغ المـؤمن مـن جحـر مـرتين ( عربـي متداول).
- دخول الحمام مش زي خروجه ( أو طلوعه ).
- أربط الحمار مطرح مـا يقـول صـاحبه ( لـيس طاعة ولكن حيطة وحذر من تحمل المسئولية).
- قبل ما تفصل قيس ( أي أعمل حسابك واحتاط).
- حرص ولا تخون ...
- حط رأسك بين الروس تسلم ( دعوة للتجمع وعـدم الانفراد تحسبا ).

- اشتري وما تبيعش ( في الكلام اسمع ولا تقول حذرا كي لا تلام).
- ما تبيعش رخيص، قال: متوصيش حريص.
- قال " مالك مرعوبة ؟ قالت : من ديك النوبة.
- يبقى ابني على كتفي، وأجرى أدور عليه ( يقولها الحذر لكي لا يفرط في شيء).
- اضرب المربوط يخاف السايب.
- اضرب البريء يخاف الفاعل.
- حطها حلقة في ودنك ( أي احذر وتعلم الدرس).
- أكنس بيتك ورشه، ما تعرف مين يخشه ( أي احذر واستعد).
- اللي تقول عليه موسى تلقيه فرعون ( ضرورة الحيطة ورفض لحسن الظن بالناس).
- احذر عدوك مرة، واحذر صديقك ألف مرة.
- ابن الحرام مخلاش لابن الحلال حاجة (أي لابد من الحذر حتى من الطيبين).
- اتقى شر من أحسنت إليه ( مأثور متداول).

- اللي على رأسه بطحة بيحسس عليها ( خوفًا من اكتشاف أمره ).
- مش كل الوقعات زلابية ( أي احذر ولا تغتر).
- متأمنش لبو راس سودة ( أي الإنسان).

ويصف المثل الخوف والخائفين والحذرين قائلاً :

- الخوف يرج الجوف.
- بيخاف من خياله.
- يكاد المريب يقول خدوني ( عربي متداول).
- بيشك في صوابعه ( وصف أو تعبير وليس مثلاً).

ويؤكد ما ذهبت إليه ... وما ذهبت إليه الأمثال عن خوف المصريين قول عادل حمودة:

" وفي مخزون المصريين الحضاري خوف وحذر لا نهاية لهما من السلطة".

" فهم أقدم محكومين على وجه الأرض وبهذه الأقدمية أصبح الحكام آلهة، وفي عصور الانفراجة الديمقراطية

كانوا أنصاف آلهة ... قالوا، يا فرعون إيه فرعنك؟ قال : ملقيتش حد يردني" [١].

أما عن الأمثال التي تحض على نبذ الخوف والحذر، وتشجع المصري على الإقدام والشجاعة، والمواجهة، خاصة إذا كان ما نخافه رئيسا أو قوة أعلى، أو ربما شخصا لا نعرفه، وقد يكون طيبا لا خوف منه، فسنجد هذه الأمثال تؤكد بأن الخوف لن يمنع القدر، وأن من يخاف من شيء يستجلبه، وأننا مهما تحسبنا لأمور فلن نتحسب لكل شيء، فقد يظهر لنا ما لم يكن في الحسبان، وأنه لا داعي للخوف من أشياء مجهولة أو غيبية، فالإنسان أولى أن يخشى من الإنسان، وأنه كلما توكلنا، وتصرفنا دون تدبير وحذر، كلما كانت النتائج أفضل، وكنموذج للأمثال التي تحمل هذه المعاني:

- إن غاب القط ألعب يا فار.
- إن قلت متخافش، وإن خفت متقولش ( أي واجه).
- زي ما تكن لي أكون لك ... ما نتش رب أخاف منك.

(1) النكتة السياسية ... كيف يسخر المصريون من حكامهم، ص ٩٠ .

- اللي يخاف من العفريت يطلع له ( أو من الديب).
- ما عفريت إلا بني آدم.
- اللي تخاف منه ... متلقاش أحسن منه.
- الحذر ما يمنعش قدر.
- حسبنا حساب الحية، والعقربة ما كانت على البال.
- ابن الهبلة يعيش أكثر.
- ابن الكبة طلع القبة، ولاد اسم ا خـدهم ا ( نبـذ للحذر).

ومما سبق يتضح لنا أن الأمثال المصرية تحض علـى الحذر واتخاذ الحيطة بنسـبة كبيـرة ( ٣٤ : ١٠ ) قياسـا بالأمثــال التــي تحــرض علــى المواجهــة، وعــدم الخوف، أو توخي الحذر ... ذلك فيما عدا الأمثال المحايدة، التي تصف الخوف والخوافين ... دون أن تميل إلى تحبيذ أو رفض كاتجاه ... وهذا يؤكد ما ذهبنا إليه من أن المصـري كاتجاه عام ميال إلى الحذر والخوف منـه إلـى الشـجاعة والإقدام ... وهي سمة تحسب كجزء مكمل لطيبته، وليســت كسلبية في شخصيته، لأنه بحكـم ظروفـه شـبه الدائمـة، المتراوحة بين فقر وقهر وتسلط مضطر للحذر.

ويرى دكتور يوسف إدريس أن المصري مـن أكثـر شعوب الأرض تعقلاً ليس عن حكمة :

" إعمال عميق للتفكير ومقارنة بين الاحتمالات الكثيرة والحلول، ثم اختيار قائم علـى تفضـيل الأحسـن بالنسـبة للشخص أو للشعب ... فنحن نتعقل أولا وبادئ ذي بدء معنى أننا بالتلقاء والسليقة نختار أقرب الحلـول للسـلامة وحفـظ الذات والإفلات من الموقف، ولو كان هـذا علـى حسـاب النتيجة على المدى الطويل "[١].

ويختلف د. إدريس مع ما ذهبت إليه استخلاصـا مـن فلسفة المصري الواضحة من خلال أمثاله، فهــو يــرى المصري غير حذر ... لكنه يتصرف أمام الخطر بالتعـامي عنه، وكأنه يلغيه من الحقيقة دون إدراك له، أو اتخـــاذ الاحتياطيات اللازمة والكافية لتجنبه ... بل يرى أننا غالبا ما نلجأ " بفهلوة غريبة، وباعتماد على ثقة مجهولة أن شيئًا لـن يمسنا، نعرض أنفسنا للخطر، ونستغرب بعد هذا إذا أصـابنا وكأن تلك القوى المجهولة نوع من الهروب مـن مواجهـة الواقع " [٢] ... ورغم الخلاف في وجهتي النظـر فأنـا أرى

---

([1]) د . يوسف إدريس عن عمد اسمع تسمع ص ٨٠.
([2]) المرجع السابق ص ٨٦ .

وفقًا لما خلصت إليه من استقراء الأمثال أن المصري حـذر ولكن ليس جبانًا ... فالخوف ليس سمة أصيلة فيه، إذ نجــده بالنسبة للأمور الإيمانية لا يخاف ولا يحذر، ولا يحتــاط ... بل غالبا ما يتوكل على ا – كما سبق القول حينما تحـدثنا عن السمة الأولى له وهي " متدين " – وكما سيأتي تفصيله، حينما نتحدث عن الجوانب الاقتصادية من حيـاة المصـري المسرف الذي يميل إلى عدم الحذر في الإنفاق، بل ويميـل إلى التبذير والمبالغة، إذ سنجده يصرف ما في الجيب "دون تحسب للأيام، أو خوف من انقطاع الرزق الذي – قلنا أنه – يؤمن بأنه من عند ا .

هذا ونذكر استكمالاً لسمة "طيب" ما ورد فـي الأمثـال المصرية حول " القدرة والاقتدار" بكل معانيها، لنوضــح أن المصري قد عبر عن فلسفته الخاصة – من خلال ما أطلـق من أمثال – حيال أمور توضح طيبته وأنه إذا قـدر عفـي وتسامح، وأن القـــادر بالنســـبة لـــه هـــو ا . وأن "العفو عند المقدرة" ... وأن الضعف أحيانًا يكـون مصدر قوة أو شكل من أشكالها ... وأن علامـات الرجولـة تبدو أحيانًا في النخوة والخضوع، وسـنجد بوجـه عـام أن

الأمثال المتحدثة في هذا الصدد قد انقسمت إلى مؤيد ومعارض لاستخدام القوة والاقتدار، أو تجنب استخدامها، وهو ما سيتضح مما يلي من أمثال تحث على نبذ العنف أو استخدام القوة ... حتى لمن يملكها :

- يا بخت من قدر وعفي.
- العفو عند المقدرة.
- الضرب في الميت حرام ( أي الضعيف لأننا أقوى منه).
- ما قوي إلا ا .
- إذا دعتك قدرتك على ظلم الناس، فتذكر قدرة ا عليك ( عربي متداول).
- حكم القوي على الضعيف ( تقال كاستسلام للأقوى).
- يوضع سره في أضعف خلقه.
- الخضوع عند الحاجة رجولية.
- اللي ما تقدر عليه حيل ربنا عليه.
- سلاح الضعيف الشكية (أو دموعه).
- السبع سبع ولو في قفص (يقولها المصري اعتزازا بقوته وهو مقهور).

- البحر ما يتعكرش من ترعـة ( يقولهـا المصـري استعلاء).
- أسد علي، وفي الحروب نعامة ( عربي متداول).
- حكمك غريمك إن ما طعته يضيمك.
- ما يقدر على القدرة إلا ا ( إلا الا اللـي خلقهـا، وتقال أيضا في الاحتياج).

وقبل الولوج إلى الأمثال الداعية لاسـتخدام القـوة ... والرد على الجبارين بالمثل، ومقابلة القوة بـالقوة ... نـورد الأمثال المحايدة، التي وصفت القوة، دون أن تحبـ ـ ـ ـذها، أو تحرض عليها، وإن ظهرت فيها الروح الساخرة للمصري ... واستهزائه من الأقوياء أحيانًا، أو وصفهم بالفجر، والادعاء، والاستقواء على الضعفاء فقط، وهم فـي حقيقـة الأمر يخشون ويخافون من الأقوى منهم ... وفي كـل ذلـك تقول الأمثال :

- قادر وفاجر ( وصف وتشبيه).
- يقدر على كل كبيرة ...

- قال، يا فرعون مين فرعنك؟ قال : ملقيـتش اللـي يرجعني. ( فيـه دعـوة لمواجهـة القـوي حتـى لا يطغى).
- مقدرش على الحمار اتشطر على البردعة.
- كل ذي عاهة جبار ( مثل فيه تحـذير مـنهم رغـم ضعفهم البادي).
- الفرس الهادية ينتف ديلها ( فيه دعوة أيضـا لنبـذ الضعيف).
- اللي يربط في رقبته حبل ألف مـن يسـحبه ( نبـذ للاستضعاف).
- اللي يوطي راسه يتركب ( نبذ للاستضعاف).
- الحيطة الواطية ينطوا عليها الكلاب.
- دبور زن على حجر مسن، قال، عايز إيه؟

قال: عايز ألحسك، قال : أنا ألحـس الحديـد ( أي لا تواجه القوي).
- اللي يعمل ريس يجيب الـريح مـن قرونـه ( أي من يتصدر للقيادة لابد أن يكون قادرا).
- كلب ينبح ما يعضش.

- اللـي لـه ظهـر مينضـربش علـى بطنـه ( أي المقتدر بعزوته لا يقدر عليه أحد).

أما الأمثال الداعية للمواجهة والقوة، والتحايـــــل بكل وسيلة للحصول على الغلبــــة، والداعيـــة للتعاون فيما بين الضعفاء، لمواجهــــة القــــوة الغاشمة، والمطالبــة بعــدم الرأفــة أو الرحمــة، وتخليص الحق باليد، وبإراقة الدم. فيقول:

- اللي تغلب به ألعب به.
- اللي ما يقدر عليه القـدوم يقـدر عليـه المنشـار ( أي لابد من وسيلة لغلبة القوي).
- القوي ما لوش إلا اللي أقوى منه.
- ونمـا علـى الأرض القـوى مسـيطر ( عربـي متداول).
- الكترة تغلب الشجاعة ( دعـوة لتعـاون الضـعفاء لمواجهة الأقوياء).
- اضرب الأعمى، واكسر عصاه، مـا أنـتش أعـدل من ربه اللي عماه ( بلا رحمة بأحد).
- خاص حقك بإيدك.

- اللي يرشك بالماية رشه بالدم ( الانتقـام وتخلـيص الحق).
- اللي يدي لك كتفه أدي له ظهرك.
- اللي يحاديك حاديه وأجعل عيالك عبيده، واللـي يعاديك عاديه ولو كانت روحك في ايده.
- العين بالعين والسن بالسن والبادي أظلم.
- الأيد اللي تتمد ولا تضربش تستاهل قطعها ( أي أن الشروع والتهديد لا يكفيان).

من كل ما سبق يتضح لنا أن المثل المصري يحبذ عدم مواجهة القوي بالقوة بنسبة ( ١٥ : ١٢ ) والاسـتعانة بـا القوي، للرد وتخليص الحق ... وإن كانت الأمثال المحايـدة يتضح من معناها أيضا رفض الاستضعاف والاستكانة ممـا يمكن اعتباره أيضا أسلوبا مصريا لمواجهة القوى الغاشـمة بكل أشكالها ... سواء بالسخرية، أو بالرد المباشر، أو بالحيلة، أو بالتعاون لغلبتها ... لكن المحصلة تقول: أن المصري لا يميل لمواجهة القوة بالقوة والعنف كاتجاه عام ... حتى وإن قال : "طاطي لها تفوت" فهو تسويف إلى حـين ... ذلك ما قالت به د. نعمات فؤاد من أن المصري يتقوقع على

نفسه ليعيد صياغتها، ويعد نفسه ليثب من كبوته، دون أن يسلم بها ... لكن فلسفته في الصبر وإعادة الصياغة، التي قد تطول، لا نستطيع تفسيرها أو تبريرها بسهولة، ولذلك نميل إلى القول بأن المصري غير عنيف أو ثوري في رده على من هم أقوى منه، أو على ظالميه ... بل له أسلوب خاص في ذلك، يتضح أيضا من تقويمه لكل موقف على حدة ... وهو ما تفسر أمثاله الشعبية التي تتناول مفهوم " الظلم والعدل" لدى المصري وتعريفه لهما ... وتحسره على وضعه كمظلوم ... وإن كان يرى أنه من حسن الحظ أن يبيت المرء مظلوما وليس ظالما !! ورؤيته لأوجه الظلم الواقعة عليها ومصادرها، التي يراها دائما مصادر غيبية، من ميراث معتقداته في: البخت والحظ، والمقدر والمكتوب، والنصيب والقسمة ... إلى آخر هذه السلسلة من الأسباب، التي يبتعد بها عن ظالمه الحقيقي ليواجهه ... وأيضا نتيجة لسمته الأولى وهي "متدين" والتي انبثقت عنها سمات فرعية مثل "صبور" وذلك ما سيتضح من الأمثال التالية:

- يا ظالم لك يوم (إيمانًا بأن ا سيرد عنه).

- دولة الظلم ساعة، ودولة الحق حتى قيـام السـاعة ( وإيمانًا بأن الظلم حتما سينتهي).
- يا بخت من بات مظلوم، ولا بتش ظالم.
- نوم الظالم عبادة ( فهـو يكتفـي بهجـوع الظـالم ولو حين).
- المساواة في الظلم عدل ( فهو لا يجد كراهـة فـي عمومية الظلم).
- الرحمة تخص والنقمة تعم.
- جور الغز ولا عدل العرب.
- الرحمة فوق العدل ( من قول ا  سـبقت رحمتـي عدلي).

ويوصف المثل المصري " الظلم والعدل " ويعرفهما، ويصورهما بعدة صور بليغة، تتضح مـن مجموعـة مـن الأمثال والتشبيهات، والعبارات المكناة التي يتضح منها مدى تحسر المصري على حاله مما يقع عليه من ظلم ... إذ يقول:

- يا ما في الحبس مظاليم.
- واحد واخد وعشرة متهومين.
- البيت بيت أبونا، والغرب بيطردونا.

- من ماله ولا يهنا له.
- ارحموا عزيز قوم ذل.
- بريء براءة الذئب من دم ابـن يعقـوب ( عربـي متداول).
- حرام علينا وحلال على الغريب.
- وراه النجوم في عز الضهر.
- وراه الأمرين ( أي الفقر والعجز).
- قفل في وشه باب الرحمـة ( شـكل مـن أشـكال الظلم).
- السمك الكبير بياكـل السـمك الصـغير ( تقريـر واقع).
- القاضي مالوش إلا اللي قدامه.
- الناس لها الظاهر.
- ربنا ميرضاش بكده ( أو بالظلم).
- قاتل بلا بينة سلطان.
- كلمة الحـق تقـف فـي الحلـق ( سـخرية مـن الظالمين بحبس الشهادة أو قول الحق).

- عايز الحق ولا ابن عمه (مناورة هروبا من قول الحق؟).
- معندوش يامه ارحميني ( أي ظالم وقاسي).
- قاضي العيال اشتكى روحه ( لاستحالة العدل بينهم).

وإذا كانت الأمثال والتعبيرات الشائعة السالفة توضح الرؤية المصرية للظلم، والرضا والاستسلام له والاكتفاء بالوصف الساخر منه ... فإن عددا آخر من الأمثال يحض المصري على رفض الظلم ومواجهته ... وإن كان يمثلها عدد قليل ( ٨ أمثال فقط ) تقول :

- الساكت في الحق زي الناطق في الباطل ( دعوة للشهادة بالحق وعدم كتمانها).
- الحق صوته عالي.
- كلمة الحق لازم تتقال.
- الساكت عن الحق شيطان أخرس ( عربي متداول).
- المتهم بريء حتى تثبت إدانته ( قاعدة شرطية متداولة وإن كانت غير معمول بها).

- بين حقك واتركه ( إحقاقًا للحق).
- خد بحقك حلفه واحرقه ( أي خلصه من ظالميك).

وعن استخلاص الحق أو إثباته على الطريقة المصرية أو كما يقول د. يوسف إدريس تحت عنوان " الخناقة على الطريقة المصرية". يقول: " لا يتساءل المصري المتخانق من سيوقع هذا العقاب – إن وجد الإنصاف – وإنما المهم أن يثبت للعالم أنه مظلوم وأنه يستحق الانصاف وأنه – لولا التعقل – لارتكب القتل والضرب والجنايات" [1] أي أنه يشهد العالم على قدرته وقوته ... ويحاول إثبات حقه ... لمجرد إحقاق الحق ... وإظهار الحقيقة ولوم الظالم ... حتى وإن لم يفعل بهذا الحق شيئًا أو كما يقول المثل : " خد بحقك حلفة واحرقه". والمعروف أن نبات الحلفة غير ذي قيمة، لكنه يتمسك بأخذ حقه منه حتى ولو أحرقه.

أما عن السلوك المصري "الطيب" المتعلق بالحنو على الآخرين، وإكرام وفادتهم، وحسن استقبالهم، والتعاون معهم في مصابهم، وشتى أشكال التكافل الاجتماعي، التي بدأنا

---

([1]) د . يوسف إدريس ، عن عمد اسمع تسمع ، ص ٨٢ .

نفتقدها مؤخرا – مع الهجمة المادية التي اجتاحـت مصـر والعالم خلال العقود الثلاث الأخيـرة – فتتناولهـا الأمثـال الشعبية التـي تعبـر عـن القـيم الأصـيلة فـي الشـعب المصري، وليس من آل إليه حال اليوم، أو المستحدث مـن سماته، التي ستعبر عنها أقوال مستحدثة، قد تصير مثلاً في مستقبل الأيام، لتعبر عن فلسفة المصري المعاصر، وعـن فلسفة العصر المادي الذي يعيشه ... لكننا هنا نؤكد على سمة "متعـاون" كسـمة فرعيـة تعـد أيضـا دلـيلاً علـى الطيبة، وحب الغير والتكافل مع الآخرين، وهو ما عبـرت عنه الأمثال المصرية قائلة :

- الإيد لوحدها متسقفش.
- القفة أم ودنين يشيلوها اثنين.
- من قدم السبت يلقى الحد قدامـه ... ومـن يخـدم الناس صارت الناس خدامه.
- زي قواديس الساقية المليـان يكـب علـى الفـارغ ( يكتفي الآن بالنصف الأخير من المثل)
- الكثرة تغلب الشجاعة (تقـال فـي التعـاون وفـي القدرة لذلك أكرره).

- الناس لبعضها.
- النواية تسند الزير ( أي مهما كانت المساندة ضعيفة لها فائدتها).
- غالي والطاب رخيص ( تقال في الاستجابة للسائل).
- أنصر أخاك ظالما أو مظلوما ( حديث متداول).
- أنا وأخويا على ابن عمي وأنا وابن عمي على الغريب.
- أيد على أيد يكبر ويزيد ( تقال عن التعاون في البناء والزرع).
- البركة في كتر الأيادي.
- البركة في اللامة.
- اللي ما له خير في أخاه، الغريب ما يسترجاه ( أي لا تأمل في تعاون من لا يعاون أهله).
- اللي قيدني بيفتل لك ( ضرورة التعاون لأن المصير واحد).
- بعد ما طارت ساعدها بقوة هش ( سخرية ممن لا يقدمون عونًا حقيقيا وفي الوقت المناسب).

- البقرة بتطلق والعجل بيحزق ليه؟! ... قال : تحميل جمايل.
- عمر الشبعان ما يفت للجعان ( تحسر لانعدام التكافل).

وأيا ما كان ما ذهبت إليه الأمثال المتحدثة عن التعاون والتكافل، في صيغ مباشرة، أو تشبيهية، أو سخرية ممن يحملون الآخرين جمايل، دون عون حقيقي، أو يقدمون على التعاون بعد فوات الأوان، وبعد أن ينقضي الأمر المطلوب التعاون فيه ... أيا ما كانت الصيغ فإنها تفوق كثيرا الأمثال المصرية التي تبرز عنصر الأنانية، وتغلبه على مساعدة الآخرين ... بل ولا أكون مبالغة إذا ما قلت: إنني لم أجد مثلاً مصريا واحدا يحض على الأنانية، وعدم مساعدة الغير إلا إذا اعتبرنا أن المثل القائل :

- اللي يحتاجه البيت يحرم على الجامع ( أو الزيت إن عازه البيت يحرم على الجامع).

شكلاً من أشكال تفضيل الذات على الغير، أو الأنانية في مقابل معاونة الآخرين ... وأغلب ظني أنه ليس دعوى لعدم البر بالآخرين ... طالما هناك مستلزمات ضرورية لأهل

الدار ... فهذا المثل مردود عليه بمثل آخر، يوضح الرؤيـة السليمة للمصري في موضوع البر، ومساعدة المحتـاجين إذ يقول المثل:

- كل لقمة في بطن جايع أخير من بناية جامع.

وهكذا يؤكد أن قيمة الإحساس، ومساعدة الفقراء تعلـو لدى المصري على ما تحتاجه حتى بيوت ا ، لعمارتهـ ـ ـا أو بنائها... رغم أنه عمل يعتبره المصـري شـراء لقصـر الجنة، ويرى أن له ثوابه الكبير، الذي فضلت عليه الحكمـة المصرية الشعبية مساعدة المحتاجين والجياع ... وهو مثـل يعكس أيضا الفطرة السليمة للمصري وفهمه السديد لمتطلبات دينه ولمساعدة قومه ومجتمعه ... بأسلوب يوضح وعي سليم بمعنى التدين وأولويات الخير والعمل الطيب.

وقد أجرت د. فاطمة المصري [*] استبيانًا على بعض الأمثال، التي تؤكد أو تضحد بعض السمات المصرية، كـان من بينها المثل القائل، " أردب ما هو لك ما تحضر كيله" فوافقت عليه نسبة ٣٥ % من العينة. بينما ٦٥% قالوا : لا رافضين له، مما يعني أن صفة " متعاون " ما زالت تغلـب

---

[*] د . فاطمة المصري ، مرجع سبق ذكره .

على الشعب المصري ... رغم ما يطفو على السـطح مـن سلوك سلبي أو أناني.

كما كانت نتيجة الاستبيان بالنسبة للمثل القائل : " إن جاك الطوفان حط ولدك تحت رجليك"، ٣٠ % نعم، ٧٠ % لا، وذلك يعني أن المصري يرفض الأنانية، وتفضيل النجاة من الخطر بالتضحية بأقرب الناس، وذلك يعني أن الغيريـة والمحبة ما زالت من السمات السـائدة... هـذا وسـنتعرض للأمثال الداعية للأنانية حينما نتناول سـمة " ذكـي " التـي ترتبط لدى المصري بمعنى تغليب مصلحته الخاصـة علـى مصلحة الغير.

أما عن قواعد " الكرم والضيافة" المصـــرية كمـــا سنستخلصها مما تطرحه فلسفة المثل الشعبي ... فـيمكن أن نخلص منها أن المصري كريم مضياف – كسمة سـائدة – حتى وإن عبرت أمثاله عن وجهتي نظر، في هذا الأمر أيضا ... فالمصري " الطيب " كريم، والمصري "المتدين" كريم، والمصري " الساخر " كريم، يسخر من البخلاء، ويتنـــدر ببخلهم، ويصورهم بأبشع الصور، ويصفهم بأسوأ الصـفات "يخافوا يشخوا يجوعوا" أو القول : "وجع الـبطن ولا كـب

الطبيخ" إلى غير ذلك ... كثير ولتأكيد كرم المصري نـورد فيما يلي الأمثال القائلة:

- لقمة هنية تكفـي ميـة ( إذا صـفت النيـة اللقمـة تكفي مية).
- جحر ديب يساع ميت حبيب.
- بيت المحسنين عمار.
- الجودة من الموجودة.
- الفضلة للفضيل.
- تكلوه يروح، تفرقوه يفوح.
- الخير على قدوم الواردين.
- ألف طق طق ... ولا سـلام عليـك ( أي مرحبـا بالقادمين أفضل من وداعهم).
- ده وشك وللا وش القمر (تقـال لمـن يـزور كـل شهر مرة كالقمر).
- الرجل تدب مطرح ما تحب.
- لجل عين تكرم ألف عين.
- لجل الورد ينسقي العليق.
- ضيف يستاهل الدبح ( تقال كدعابة).

- اللي ياكل لوحده يزور.
- اللقمة بتنادي أكالها( تقال للدعوة على الطعام).
- اللقم تمنع النقم.
- الخير يبان على الضبة.
- إن أطعمت أشبع، وإن ضربت أوجع ( تقال أيضا في الحسم).
- رب صدفة خير من ألف ميعاد ( تقال في الضيافة).
- يا رب ضيف عزيز وناكل من جاره.

وإذا كانت هذه الأمثال ( ٢٠ مثلاً ) تتحدث عن وجوب إكرام الضيف بإطعامه، فإن الكرم والضيافة المصرية لا تقف عند هذا الحد ( مجرد الأكل ) ... بل تتعداه إلى أمور أخرى مثل : حسن الاستقبال، ومعاتبة الضيف على إقلاله من الزيارة، وترديد عبارات مصطلحية تعبر عن الاشتياق والوحشة له، والرغبة في استبقائه بعد الطعام ولو بالمداعبة بأقوال مأثورة نذكر منها:

- الضيف المجنون يأكل ويقوم.
- هي خالتي عندكم ؟ مجتش ( تقال لاستبقاء الضيف).

- جاي تزور الطريق؟ أو السكة.
- هي رجل البواب اتكسرت ( تقـال للضـيف الـذي طال غيابه).
- لاقيني ولا تغديني.
- إذا حضرت الملائكة ذهبت الشياطين ( يتبادلها مـن يستأذن في الخروج مع غيره من الضيوف ).
- كل وبحلق عنيك أكلـة واتحسـبت عليـك ( تقـال للاستزادة في الطعام).
- راح وآدي وش الضيف ( تقال لمن أطال الغيبة).
- راح وقال عدو لي ...
- على رجليك نقش الحنة ؟! ( أي ماذا يمنعـك مـن الزيارة).

وبنفس قدر ترحيب المصري بضيوفه، واستبقائه لهـم بأقوال ومجـاملات كثيـرة مثـل : آنسـتونا و شـرفتونا، وخطوة عزيز، وزارنا النبي، وما هو بدري ... الخ ... نجده يستاء من الضيف الثقيل، الـــذي يـــأتي دون موعـــد " ويطب فجأة " ويطيل الجلسة، ويزور يوميـا ... أو الـذي ينهمك في الطعام فلا يتبادل الحديث مع مضيفه، أو الضيف

غير النظيف ... إلى آخر هذه المسالب التـي تقـول عنهـا الأمثال:

- يا بخت من زار وخفف.
- زر غبا تزداد حبا ( عربي متداول ).
- المركب اللي تودي أحسن من اللي تجيب.
- اكسروا وراه قله ( كي لا يعود).
- باب الشقة يقول لباب السطوح، اللي يجي، يجي، واللي يروح يروح.
- جبنا سيرة القط جه ينط ( تقال على سبيل الدعابة مع الضيف).
- افتكرنا القط جانا ينط.
- يا ريتنا افتكرنا حاجة عدلة.
- يا ريتنا افتركنا مليون جنيـه ( أو عزبـة – قـول مستحدث).
- داخل لا إحم ولا دستور ( تقال لمن يتطاول ويـدخل دون استئذان).
- ما يضايق الزريبة إلا الحمارة الغريبة.
- ساعة البطون تتوه العقول!

- اضرب الطاسة تيجي لك ألف لحاسة.
- كل مع الكافر ولا تاكل مع أبو ضوافر.
- يا بخت من يأكل قرصة ويأنس الناس بحسـه ( أي يزور ولا يأكل ).
- يا دخلتي على اللي ما يريدوني ... لا سـلامات ولا وحشتوني.
- بلاش توكلني فرخة سمينة وتبيتني حزينة ( عن المن الذي يتبع الكرم).
- طعمتني وذكرت ما عشت يوم كلت.
- يتمزرط في بيت الزبون ( أي يطلب المزيد في بيت غيره).
- زي العوالم يتبغددوا في بيت الزبون.
- عينه في الطبق وودنه لمن زعق ( أي يتصنت وهو يبدو منهمك في الأكل).
- لولاك يا كمي ما كلت يا فمي ( أي لـولا الوجاهـة ما دعيت الوليمة).
- أهي أكلة والوداع.

- أكلنا إيه نشرب عليه ؟! ( يقوله الضيف إذا قدم لـه شراب دون طعام).
- الغايب مالوش نايـب ( تقـال كاعتـذار للضـيف المتأخر).
- اللي إيدي ما هي في مرجونته، ولا على بالي منه، ولا من جودته ( تقال أيضا في الاستغناء).

لعل ما سبق يؤكد لنا معنى أو كيف كرم المصري، وحبه لضيوفه، وحسن استقباله لهم، وحرصه على استبقائهم، وذلك في ( ٢٠ مثلاً و ١٠ تعبيرات) تقال للأضياف علـى سبيل الدعابة والتفكه، فإذا ما قسنا ذلك كما بالأمثـال التـي لا ترحب بالضيف سنجد الكـم متقاربـا ... لكـن رفـض المصري للضيف له مبرراته، التي سبق ذكرها ووضـحت من الأمثال المذكورة أخيرا، والتي توضـح آداب الضـيافة المصرية، و ما تضمه التعبيرات المصرية الشائعة في هـذا الصدد من حسن استقبال المصري للضيف، خاصة إذا كـان غريبا ... فالعامية المصرية غنية بعبارات المجاملة للضيوف ... ونذكر منها على سبيل المثال لا الحصر " يا دي النور،

نورت مصر، البيت بيتك، إن ما شاليتكش الأرض نشيلك في عنينا أو فوق رءوسنا، وحلت البركة و ... و ... ... الخ".

أما عن المصري "الطيب" من منطلق آخر للطيبة وهـو التهذيب، بمعنى عدم التدخل في أمور الغير، فهناك كم هائل من الأمثال يتناولها... سيوضح لنا مـدى مـا يتصـف بـه المصري من طيبة، قد تصل أحيانًا إلى حد السلبية، التـــي تصل إلى حد عدم الخوض في الأمور التي تحتمل الصواب والخطأ ... أو التي تجاب عليه المشكلات، أو تضـــعه فـــي موقف متناقض أمام الغير، إذ الأولى بـه أن يهـتم بذاتـه وشئونه ... بدلاً من مساعدة الآخرين في إصـــلاح أمـورهم وتدبيرها ... ويسخر المثل من هؤلاء الناس، ويعيب سلوكهم بعدة أساليب ... وفي هذا الصدد لا ينقسم المثل المصري إلي اتجاهين ... بل سنجد كما كبيرا من الأمثال ( ٢٤ مثلاً) تؤكد كلها على نبذ التدخل فيما لا يعنينا ... إلى درجة تدعو أحيانًا إلى السلبية والانطواء أو التقوقع على الـذات، وعلـى مـا يخص المرء وحده ... ولعل لذلك أسبابه، التي أعتقد أن فـي مقدمتها أن المصري بفطرته وطبيعته اجتماعي ودود، يتكافل مع الآخرين، ويحـــاول أن يتـــدخل لإصـــلاح ذات البـــين

والمساعدة ... وقد يناله من الأذى الكثير، ولـــذلك نجـــد أن المثل الشعبي يحاول تبني فكرة إقصاء المصريين عن هـذا الأسلوب، خاصة أنه مصدر لجلب المتاعب ... وأحيانًا يكون مصدرا للسخرية ممن يتدخل فيما لا يعنيه؛ لأنه يعاني بنفسه وفي بيته من العيب نفسه، الذي يحاول بإيجابية فاعلة التدخل لإصلاحه ... وسنجد أن بعض هذه الأمثال قد ذكرناها سلفًا – في معرض الحديث عن الصلح وعن الابتعاد عن الشر وفي أمور أخرى – لكني أعيد تكرارها هنا، لأنها تضرب أيضـا في هذا الموضع، ولأنها تساعدنا في النهاية على استخلاص النتيجة القائلة : بأن المثل المصري بوجه عام يحـذر مـن التدخل فيما لا يعنينا ... كما يتضح مما يلي :

- من يتدخل فيما لا يعنيه ... يسمع مـا لا يرضـيه ( عربي متداول).
- من راقب الناس مات هما ( عربي متداول).
- يا داخل بين البصلة وقشرتها، ما ينوبك إلا صنانتها.
- يا داخل بين المسك والريحة، ما ينوبك إلا الفضيحة ( منعا للقيل والقال).

- يا داخل بلا مشورة ... إن مـا مسـخرك الراجـل تمسخرك المرة ( فيمن يتدخل بين زوجين).
- واحد شايل دقنه والثاني تعبان ليه ؟ ! ( أو زعــلان ليه).
- أردب ما هو لـك مـا تحضـر كيلـه ... تتعفـر دقنك... وتتعب في شيله.
- اللي يحضر تعافير بتيجي على دماغه.
- ما ينوب المخاص إلا تقطيع هدومه.
- ضربوا بتاع الكمون (خرى) بتاع الكسبرة!
- مالك ومال "الخناث" يا أبو "صرم" ضيق ؟!
- اللي ما لكش فيه ما تتحشرش فيه.
- لا لك في الطور و لا في الطحين!! ( فلمـ ـ ـ ـــاذا تتدخل؟).
- اكفي خيرك شرك ( أصلها، خلينا على قدنا، نكفـــي خيرنا شرنا).
- يا عين إن شفتي ماريتي، وإن شهدوكي قولي، كنت في بيتي ( دعوة لكتم الشهادة).
- جم ينعلوا خيل الباشا قدمت أم قويق رجلها!.

- فاتت ابنها يعيط، وراحت تسكت ابن الجيران!.
- يا مداوي عماص الناس، داوي عماصك.
- يا مداوي خيل الناس، حصانك من عند زره خايب.
- عليل وعامل مداوي!.
- بدال ما تعدل على الناس عدل على روحـك ( أول المثل يقول ... يا سيدنا الدموية تقدد لوحك ... ).
- أبوها راضي وأنا راضي ... مالك أنت ومـا لنـا يا قاضي ؟ !.
- عيوبي لا أراها... وعيوب الناس أجري وراها!.

من كل ما تقدم يتضح، لنا بكـل الصـيغ والأسـاليب والصور، أن المثل المصري ينبذ التدخل في شئون الغير ... بل إن هناك من التشبيهات ما ينفر ممن يقومون بذلك، ويصفهم بأنهم " زي الملح داخل في كل حاجة... أو محشور في كل طعام" أو أن هذه النوعية من الناس " تدس أنفها فـي كل حاجة" وكثير ما تدعو الأقوال والتعبيرات إلى نبذ هـذه الخصلة أو السمة، بالـدعوة إلـى السـلبية المطلقـة كالقول: " مالكش دعوة ... خليك في حالك" بـل ونجـد المصري الآن إلى حد كبير يميل إلى السلبية والقول " وأنـا

مالي " طالما أن التدخل في أمر ما لن يقـع عليـه بضـرر مباشر ... أو أن الأمر لا يعنيه ... فلم تعد الإيجابيـة سـمة مصرية ... يتسم بها المصري المعاصر ... رغم أنها كانـت سمة أصيلة لقرون مضت ... خاصة في الريـف المصـري وفي الأحياء الشعبية، التي كان المصري فيها يرى أن مـن واجبه التدخل لإصلاح الأمور، أو إصـــــــلاح ذات البين، كواجب اجتماعي ملزم ... ولكن هل ظلت هذه السـمة سائدة ؟! أم أن المصري الآن "عامل ودن من طين وودن من عجين " فهو كما تقول العبارات المستحدثة " ضاربها طناش ... أو مطنش " ... ويرد على هذا التساؤل الحـائر – الـذي لا أستطيع حسمه بالنسبة لحالنا اليوم – دكتور يوسف إدريس بأن الناس في مصر ما زالوا شديدي الاهتمام بالآخرين بـل إن كلا منا ولي أمر الآخر وناصحه ... ويذهب إلى أكثر من ذلك أن مهمتنا حيال بعضنا البعض تكسير المقاديف [*].

أما عن آداب السلوك الأخرى التي تبرز سمة الطيبـة المصرية الأصيلة، وتبرزها الأمثال الشعبية المتحدثـة عـن " الكلام " والأخبار والأسرار فكما سبق وقلنا، أن المثـــل

---

(*) د . يوسف إدريس ، عن عمد اسمع تسمع ، ص ٢١ .

المصري يعتبر الكلام مصدرا للشر أحيانًا، كما اتضح مـن المثل القائل : " تقاوي البلاوي كلمتين فارغتين " فإن كثيـرا مـن الأمثـال والتعبيـرات تتنـاول الكـلام بوصـفه نميمة، أو بوصفه عاملاً مؤثرا قد يفوق أثره مفعول السحر، وأنه قد يكون شائعة تدمر من تصيبه، وأنه قد يكون ثرثـرة لا داعي لها، وأن خيـر ه أقلـه، وقـد يكـون لا قيمة له ... بل سيتحسر قائلوه، وأن السكوت عن الكـلام أفضل ... وكنموذج لهذه المعاني ما قالته الأمثال :

- الكلام ييجي عند صاحبه ويقف ( إذا كان نميمة).
- العيار اللي ما يصـبش يـدوش ( إذا كـان الكـلام شائعة).
- خير الكلام ما قل ودل ( عربي متداول).
- كلمة ورد غطاها.
- كلام بحسرة قايلينه.
- كلام مش جايب همه.
- الدوي على الودان أمر من السحر.
- الدي على الودان يقلب الفقـدان ( أي يـؤثر فـي العقل والرأي).

- إن كان المـتكلم مجنـون يكـون المسـتمع عاقـل ( إذا كانت الشائعة مبالغًا فيها).
- اسمع من هنا وسـيب مـن هنـا ( أي طنـاش ... وهو تعبير دارج الآن ).
- ما كل ما يعرف يقال ( عربي متداول).
- الكلام أخذ وعطاء.
- الكلام بيجيب بعضه.
- اشتري وما تبيعش ( في الكلام).
- هو الكلام عليه جمرك ( إذا كان كذبا ).
- من كتر كلامه اتقل مقامه ( إذا كان مجرد ثرثرة).
- إذا كان الكلام من فضة فالسكوت من ذهب ( عربي متداول).
- قصر الكلام منفعة ( ويكتفي بالقول "قصر الكلام" أي اختصر).
- ما طق إلا حق ( أي أن الكلام لا بد له من أصل ).
- مفيش دخان من غير نار ( يقـال كميـل لتصـديق الشائعات).
- زي سيرة الثعابين ( أي كلام لا ينتهي ) ...

- ما تأكل إلا القملة، ولا توجع إلى الكلمـة ( الإيـلام بالكلام).
- بيدن في مالطا ( أي لا فائدة من كلامه).
- يدخل من هنا ويخرج من هنـا ( أو يسـمع بـودن ويخرج من الثانية).
- سكت دهرا ونطق كفرا ( عربي متداول).
- خدوهم بالصـوت قبـل مـا يغلبـوكم (فالصـوت العالي قد يغلب).
- فضوها سيرة.

مما سبق يتضح لنا فلسفة المثل المصري حيال الكـلام وأنواعه: نميمة، شائعة، كلام فارغ، كلام مؤلم، سيرة، ثرثرة، كلام أمر من السحر، كذب ... إلى آخر أنواع الكلام كتوصيف دقيق، ينبذ بعضه ويوجهنا إلى التصـرف السـليم حياله ... ومن أنواع الكلام التي تعرضت لها الأمثـال بمـا يوضـح موقـف السـلوك المصـري منهـا "الأخبـار" و"الأسرار" فالمثل المصري يحضنا على عدم التكالب لسماع الأخبار، فقد تأتينا من جراء نفسها دون السعي لها... ومجانًا دون تكبد عناء أو نفقات، وأن كثيرا من الأخبـار لا يمكـن

إخفاؤها ... بل سيحملها الركبان مهما بعدت المسافة ... وأن الإنسان في حالة اتصال وتواصل دائم، وهو ما تعبـر عنـه السياسات الاتصالية أو الإعلامية الحديثـة قائلـة أن العـالم أصبح " قرية إعلامية " لا يمكن إخفاء أي خبر فيها ... وأن التكرار لابد سيؤتي أثره، أو تأثيره وكأنه سحر – كما وضح أكثر من مثل سبق ذكره – هذا وعوضا عن الاسترسال فـي الحديث، نستعرض الأمثال الشعبية التي ورد فيها كلمة خبر أو أخبار:

- يا ودن طني خبر جديد.
- قال يا خبر بفلوس ... بكره يبقى ببلاش.
- بكره نقعد على الحيطة، ونسـ ـمع الظيطـ ـه (أو العيطة).
- مين يسمع، ومين يقرا (أي من يتعلم ويستفيد).
- الحيطان لها ودان ( أي الأخبار والأسرار ستسمع).
- مفيش حاجة بتستخبى ( وما يخفى إلا ويستعلن ) كما جاء في الإنجيل).
- بكره المستخبي يبان.
- اللي تولد في مكة تجيب أخبارها الحجاج.

- الخبر الشؤم يوصل بالعجل.
- سارت به الركبان ( يقال عن شيوع الخبر).
- اللي يطلع من الراس يوصل للنـاس (أي الأفكـار حينما تقال).
- أم عبر جلابة الخبر (أي المرأة التي تنقل الأخبار).
- اللي تحبل في الفرن تولد في الجـرن (فهـو أمـر لا سبيل لإخفائه).
- جاب الخبر من عند خاله، قال، كل إنسـان ملهـي بحاله.
- جاب الخبر من عند عمه، كل واحد ملهي بهمه.
- بيشم على ظهر إيده (أي يعرف الغيب).
- يحب يرسي على البير وغطاه (أي الخبـر الظـاهر والباطن بكل التفاصيل).
- اكفي على الخبر ماجور (أي اخفيه).
- ما خفي كان أعظم.
- جابوا الخبر من أبو زعبل، إن العجايز تحبـل ( أي خبر كاذب، ومصدره لا يدعمه).
- عيش نهار تسمع أخبار.

- اللي يعيش ياما يسمع !! ( أو يـا مـا يشـوف ... للتعجب ).
- ماسك أفادانه ( أي يطيل ذكره وسيرته).
- اقطع خبره ( أي ذكره وسيرته أي اقتله).
- زي ساعي اليهود ما يودي خبر ولا يجيـب خبـر ( يكتفي بالقول لا يودي ولا يجيب أثر) ...
- ما على الرسول إلا البلاغ ( آيـة ٩٩ مـن سـورة المائدة).
- لا حس ولا خبر ( أي لا جديد).

تلك إذن السياسة الإخبارية – إن صح التعبير – للمثـل المصري أو للإنسان المصري ... ولكن ماذا عن الأسـرار وإفشائها؟ أو الحض على كتمانها؟ لما لذلك من علاقة بآداب السلوك المصري المهذب ... وهـ ـ ـ ـل المصـ ـ ـ ـ ـري " الطيب العفوي " الثرثار، الدائم التدخل فـي أمـور الغيـر ونشر أخبارهم يكتم السر ؟! أم إن إفشاء السر أمر شائع بين المصريين ؟ ... ولذلك جاءت الأمثال الشعبية القديمة، لتضع دستورا للتعامل بشأن هـذا الموضـوع ... بعـد أن أكـدت الحصيلة السابقة من الأمثال ( ١٥ مثلاً ) أن هنـاك أمـورا

لا يمكن إخفاؤها ... بل لابد ستشيع وتذاع، ويعرفها النـاس، هذا ما سيؤكده ... أو تضحده الأمثال المتحدثة عن الأسرار:

- السر لو خرج ما بـين اثنـين ميبقـاش سـر ( أو ينعرف).
- السر بين اثنين درج، وبــين ثلاثــة فــتح البــاب وخرج.
- إدي سرك للي يصونه.
- اكتم سرك تملك أمرك.
- الراجل ومراتـه زي القبـر وأفعالـه ( أي أن مـا بينهما سر دفين).
- البيوت أسرار.
- بيوت مقفلة على بلاوي متلتلة ...
- داري على شمعتك تقيـد ( إخفـاء الأمـور خوفًـا من الحسد).
- حاجة الست في الصندوق، وحاجـة الجاريـة فـي السوق.
- خليها في القلب تدبح، ولا تطلع لبره تفضح.
- السر في بير ( تقال تأكيدا على حفظ السر).

ومما سبق يتضح لنا أن الأمثال المصرية متوازنة، بشأن الأخبار والأسرار ... فهي شبه متساوية، من حيث تحبيذ كتم السر، أو القول بأن كل شيء لا بد سيذاع، ولن يظل خافيا طويلاً ... لكن الأمثال توضح وتشرح وتفسر ما لا يمكن إخفاؤه من أمور، وما هو واجب وضروري إخفائه، كالعلاقة بين الرجل والمرأة، التي شبهها بأنها مثل ما يحدث في القبر، دفين لا يطلع عليه أو يجب ألا يطلع عليه أحد ... كذلك مشكلات البيوت، والكلمات التي قد تسيء للسمعة كتمها أفضل ... كما أن كتم السر من عادات السادة، بينما العبيد أو الجواري أسرارهم مفضوحة، وأن إخفاء بعض الأمور يدرأ الحسد – وهو أمر يخشاه المصريون كثيرا وما زالوا – وإمعانًا في إخفاء الأمور، يتبادل المصريون عبارات مصطلحية، يتفاهمون بها بخصوص قضاء بعض الحاجات، مثل القول "سبع ولا ضبع" أو "قمح ولا شعير" وتقال استفسارا عن الأخبار أمام الغير، بأسلوب يحمل معنى التكتم ... وهو أسلوب شائع الاستعمال في مصر.

ويجرنا الحديث إلى تناول ما قالته الأمثال الشعبية عن "الحسد" كأمر غيبي يؤمن به المصري "الطيب" ويفسر به

الكثير من الأمور والملمات غير المبررة، التي قد تصيبه، ويشعر حيال تفسيرها بالعجز فيرجعها للحسد و "العين" التي أصابته، والتي "تفلق الحجر" ... ورغم ما قد يبدو من استطراد أو إقحام للإيمان بالحسد كمظهر من مظاهر الطيبة المصرية ... إلا أنني أرى أن لجوء المصري قديما، وحتى الآن إلى التفكير والتفسير غير الواقعي ... بل والإكثار من الاعتقاد في أمور غيبية مثل الحسد، وتبرير كل الأمور (الفقر والمرض والمصاب الفادح، والشجار ... الخ). على أنها بسبب "العين" ... واتخاذ التمائم والأحراز، والخرز الأزرق والفاسوخة، والخمسة خميسة ... وما إلى ذلك، كعوامل درأ للحسد ... رغم عدم معقوليتها، ورغم أن الإسلام يقول بأن: "من ارتدى تميمة لا أتم ا عليه"

فالاعتقاد بأن مجرد "التخمين" أو ارتداء التمائم، سيمنع الحسد أمر غير مقبول علميا، كما أن المرض مثلاً لا يمكن أن يكون سببه الحسد ... بل الميكروب والفيروس والعدوى، والقذارة ... إلى آخر هذه المسببات الواقعية الملموسة، والتي يتعامى غالبية المصريين عنها، ويرجعون أسباب المرض للحسد وحده ... وكذلك نجد أن الشجار قد يأتي من الخلاف

في وجهات النظر، أو القهر، أو الظلم، أو طولة اللسان، ومع ذلـك يرجعـه المصـري غالبـا إلـى الحسـد و "العين" ... والقياس على ذلك كثير ... ولكن إلى أي مـدى يؤمن المصري "الطيب" ذو التفكيـر الغيبـي السـاذج فـي الحسد؟! هذا ما توضحه الأمثال والعبارات الشعبية التالية:

- خزانة من غير باب، ويقولوا، يـا ا اكفينـا شـر الحساد.
- داري على شمعتك تقيد.
- من قروا عليه عزوه ( من حسده الناس عزوه).
- امسكوا الخشب ( اعتقادا في أنه يدرأ الحسد).
- خمسة وخميسة ( قول لدرء الحسد).
- عين الحسود فيها عود ( دعاء على الحاسد).
- حصوة في عين اللي ما يصلي على النبي.
- العين فلقت الحجر.
- السم في اللسان ( أي قد يأتي الحسـد مـن مجـرد ذكر المحاسن).
- ما يحسد المال إلا أصـحابه ( بمعنـى أن المـرء قد يحسد نفسه).

- الحسد عند الجيران، والبغض عند القرايب.
- عمر الحسود ما يسود.
- عينك الصافية ما خلت عافية.
- عينك الصافية تجيب الكافية.
- الحسود تعبان...
- غير من جارك ولا تحسده.

كل ذلك ( ١٦ مثلاً ) في مقابل مثل واحد يعلـي قيمـة الحظ والبخت أومن رزقه ا في مواجهة الحسد، وفيه قـول استنكاري:

- إيش يعمل الحسود في المرزوق ؟!.

وكما هي عادة المصري ساخر دائما، حتـى وهـو متخوف من الحسد ويحاول بأمثاله درء الحسد، بادعاء أن ما لديه قليل، وأن حاسده أحسن حالا منه، فلا داع أن ينظر لما لديه، كما وأن الأمثال التالية تخلق مقابلة لفظيـة بليغـة ... وتعطي صورا وتشبيهات كثيرة، للمقارنـة بـين الحاسـد والمحسود، موضحة أن الحاسدين يمكن أن ينظروا لما فـي أيدي الآخرين، ويغبطوهم عليه، أو يستكثروه عليهم ... حتى ولو كان "موتة الجمعـة" أو "المـوت" أو مجـرد "شـراية

الصابون" أو "كبر الشوارب" أو "ظل الشجر" أو ... إلى آخر ما سيتضح من صياغة هذه الأمثال:

- أبو جمل حسد أبو معزه!
- أبو ميه حسد أو تنيه ! ( التنيـة شـاة صـغيرة عمرها سنتان).
- أبو ألف حسد أبو ميه!
- حسدوا البين على كبر شواربه! ( أو حسدني البـين أي الزمن على كبر شواربي).
- حسدوا الغجر على ضل الشجر!
- حسدوا الميت على موتة الجمعة؟
- حتى على الموت لا أخلو من الحسد! (عربـي متداول).
- حسدوا القرد على حمار "طيزه"!
- حسدوا الأقرع على شعر حواجبه!
- يحسدوا العريان على شراية الصابون.

ويتضح مما سبق أن المصري يعجب ويسـتنكر مـن استكثار البشر لما في أيدي غيرهم ... رغم أنهم يملكون أكثر

منه ... كما يستنكر الحسد على ما لا يستحق أن يحسد المرء عليه !!.

واستكمالاً للسمات الفرعيـة لسـمة "طيـب وعفـوي" نستعرض فيما يلي الأمثال التي تصف وتسخر مـن مبالغـة المصري، وعدم الاعتدال والتعقل والتدبر في تصرفاته، التي تتسم من فرط عفويتها بأنها هوجـاء ... فيهـا كثيـر مـن التهويل، والإسراف، والمبالغـــة فـــي الفـــرح والحـــزن والإنفاق، مما يتضح منه أنه من فـرط طيبتـه لا يتحسـب للأمور، ويأخذها على أعنتها دون تدبير ... وكمثـال لـذلك المبالغة في القول. والفعل وفي تقدير الأمور ... وهنا تنقسـم الأمثال ما بين توصيف وتشبيه " المبالغة " بأسلوب ساخر ... وبين توجيه مباشر للناس بضرورة الاعتدال واختيار الأمور الوسط، دون مغالاة ... ففي التوصيف تقول الأمثال:

- يعمل من الحبة قبة!.
- يعمل البحر طحينة ويصطاد قلقاس!.
- عايز جنازة ويشبع فيها لطم!
- يزود الطين بلة! ( أو يزود المبلة طين!).
- ما يعجبوش العجب ولا الصيام في رجب !.

- جارية وزبدية على بتنجانة مقلية!.
- الست والجارية على صحن بسارية!.
- يا واخدة كله يا فايتة كله!.
- قطة جمل!.
- عملوه فارس خيل!. ( مبالغـــة فـــي التقـــدير اختصارا للمثل القائل: يمـــوت الجبـــان يبقـــى فارس خيل).
- يلبسوا لما يقرفوا!!.
- يا يحراقة يا غراقة!.
- يا قنديلين وشمعة يا في الضلمة جمعة!.
- تفانينوا عجب! ( أي مبالغ).

أما الأمثال الداعية للاعتدال فـي كـل شـيء فتقـول مباشرة.

- ساعة لقلبك وساعة لربـك ( تقـال نبـذًا للمبالغـة حتى في التدين).
- الشيء إن زاد عن حده ينقلب لضده.
- لا تشد ولا ترخي.
- امسك العصايا من النص.

ذلك عن المبالغة بوجه عام ... ولكن ماذا عـن مبالغـة المصري في "الفرح والتفاؤل" ؟ – فقد استعرضنا سلفًا مبالغة المصري في الحزن عندما تناولنا نظرته للمرض، والموت، وتصاريف الزمن والأيام ... سنجد أن الأمثال صوت عاقـل يمثـــل ضـــمير هـــذا الشـــعب ... الـــذي يلجمـــه إذا بالغ، أو تزيد، وهو في الوقت نفسه يعكس فلسـفته ورؤيتـه للأمور ... فكلنا يعرف أن المصري "الخفيف الظل" ...

"الساخر" "المرح" بداخله قدر من الحزن والشجن، الـــذي يرجعه البعض لما يعترض المصري مـن ظـروف فقـر وقهر... و ... الخ ... لكنه أحيانًا شجن غير مبـرر ... لأنـه يطفو أحيانًا غير أوانه ... إذ في عز الفرح نجـد المصـري يتحسر ... بل نجده أحيانـًا يخشـى الفـرح والضـحك ... ويتحسب ويحذر مما يليهما ... ويفترض بالضرورة أنه نكد... بل ويرحب – كما تقـول أمثالـه – بـالنوم ... أو بإخفـاء الفرح، وكتم الضحك، ويتضح ذلك من الأمثال التالية:

- كل نومة وتمطيطة أحسن من فرح طيطة.
- الضحك من غير سبب قلة أدب.
- زغرتي في عبك ( إخفاء للفرح).

- ما تفرحش للي رايح ... قبل ما تشوف اللي جاي.
- إن ا   لا يحب الفرحين.
- في فرحكم منسية، وفي حزنكم مدعية.
- الثقل ورى يا قبـاني ( أي لا تتفـاءل ... انتظـر ما سيأتي).
- دقوا الطبل على التلة، جربت كل مختلة.
- جات الحزينة تفـرح ملقتلهـاش مطـرح ( تقـال تحسرا أيضا ).
- يدلقوا القهوة من عماهم، ويقولـوا خيـر مـن ا   جاهم.

تلك هي الأمثـال الخائفـة مـن الفـرح والتفـاؤل ... والمتحسبة مما سيعقبهما ... ولكن ماذا عن الأمثال الداعيـة للفرح، والضحك، والتفاؤل؟!.

- زغرتي يا لي ما نتيش غرمانـة ( أي أن الفـرح الحقيقي يكون لغير المسئولين).
- يوم النصر ما فيهش تعب ( أي يوم الفرح).
- خدوا فالكم من عيالكم ( الفأل الحسن).

- الحزن يعلم البكا، والفـرح يعلـم الزغـاريط ( أي تعود).
- إضحك والضحك رخيص ... قبل ما يغلى، ويتعبى في قراطيس.
- الذهب يفرح القلب ( حديث متداول).
- الشؤم عند التشاؤم ...
- ساعة الحظ ما تتعوضش...
- الفرح مليح ولو بصفيح .
- إن جالك الفرح انهبه نهيبة.
- ريحة الفرحـة تبـان زي السـمنة السـايحة تمـام ( أي رائحة محببة).
- خد الشر وراح ( تقـال عنـد كسـر شـيء درءا للتشاؤم والإحساس بالخسارة).
- بتيجي على أهون سبب (أي الميسرة والخير).
- فرحان فرحة مجنون (كناية عـن صـدق الفرحـة وخلوها من الشجن).
- اللي يقرصها في ركبتهـا يحصـلها فـي جمعتهـا ( تفاؤلاً بالعروس).

- اللي يقرصها في وسطها يحصلها في شهرها.

وأيا من كان أمر المصري ... وما تعبر عنه أمثاله فالسمعة الغالبة هي المبالغة في الحزن والفرح ... كما اتضح مما أوردت من أمثال. ويتفق ذلك مع ما ذهب إليه الكاتب أحمد بهجت واصفًا الإنسان العربي في إحدى مقالاته من " أن المبالغة في التشاؤم أو التفاؤل من عيوب العقل العربي وهذه المبالغة تطمس عادة وجه الحقيقة وتخفي ملامحها، فلا نرى سوى هواجسنا ومخاوفنا، أو آمالنا الوردية دون مخاوف" [١].

ذلك عن المبالغة في الفرح أو خشيته، التي تبدو واضحة كما في جانب التفاؤل والفرح ... وإن شابته شوائب الحزن المصري الدفين، وخشية العواقب بنسب متقاربة ... ولكن ماذا عن "المبالغة" في الإنفاق أو الإسراف بالمعنى المادي، وهل المثل المصري يدعو لترشيد السلوك في هذا الصدد؟ أم يدعو للاستهلاك والإسراف؟ مع الوضع في الاعتبار أن المبالغة في المعنويات كالفرح أو الحزن لا ضرر منهما – عدا ما يختبئ في المصري نفسه من شجن

---

([1]) جريدة الاتحاد الظبيانية – في العدد ٦٢٥٧ – الصادر ١٦ / ١١ / ١٩٩١ – ص ٧ ، مقال بعنوان " مكاسبنا في مؤتمر السلام وخسائرنا ".

دفين – في حين أن المبالغة في الإنفاق والاستهلاك لهما عواقبهما الوخيمة في مجتمع لا يتسم بالثراء ... بقدر معاناته من الفقر ... فإلى ما يدعو المثل المصري في هذا الصدد؟!.

- إن حلي زادك كله كله.
- إن طاب لك عيشك كله كله.
- هين قرشك ولا تهين نفسك.
- اللي معاه حنة يحني فلس جحشه (تقال أحياناً سخرية من المسرف).
- اللي معاه قرش محيره يجيب حمام ويطيره.
- الحساب يوم الحساب ( أي أسرف على نفسك).
- الحساب يجمع.
- الزائد أخو الناقص ( أي كله واحد فانفق).
- كل واشرب، وخلي الدنيا تخرب.
- هاتي يا سدرة، ودي يا مدرة.
- قال، يا جارية اطبخي، قالت، يا سيدي كلاف ( تقال في طلب المزيد من الإنفاق).
- اللي يجي بالسهل يروح بالسهل.

- شري العبد ولا أنيته ( الأخذ بالأسـهل ولـو كـان مكلفًا).
- أصرف ما في الجيب يأتيك ما في الغيب.
- دقي يا خايبة للغايبة !

ورغم وجود كل هذا الكم من الأمثال الرافضة للادخار كقيمة ... والقائلة بأن كله زائل، فلننفق ونهنأ ... نجد بعـض الأمثال تسخر من المسرفين وإن كانت قليلة ( ٣ أمثال فقط ) وفيها موارية وتحتمل معنيين كالقول:

- داق الطعمية، وباع الطاقية.
- اللي تجمعه النملة في سنة ياخده الجمل في خفه.
- اللي تخلفه الجدود تفنيه القرود.

كذلك هناك أمثال تحض على عدم المبالغة في الإنفـاق بل تشجع على الادخار، وعمل حساب للزمن ... وكنمـوذج عليها الأمثال التي نادت بالاقتصاد والتدبير ... والقائلة:

- جوع سنة تغتني العمر.
- اللي معهوش ما يلزموش.
- يا مستكثر الزمن أكثر ( أي حتى لـو كـان لـديك الكثير لا تغالي).

- جبال الكحل تفنيها المراود، وكنـز المـال تفنيـه السنين.
- بدال اللحمة والبذنجان، هـات لـك قمـيص يـا عريان ( أي وضع أولويات للإنفاق).
- القرش الأبيض ينفع في اليوم الأسود.
- اللي تسكر به افطر به.
- من وفر غداه لعشاه التقـاه ( أو مـا شـمت فيـه عداه).
- دبر غداك تلقى عشاك.
- على قد لحافك مد رجليك.
- خد من التل يختل ( نبذًا للتبذير).
- القوت ليموت ( أي القليل يكفـي حتـى لا يمـوت المرء).
- اللي يرقع ما يدوبش ثيـاب ( مـا يـدوبش دايـب وراه مرقع).
- التدبير نص المعيشة.
- إن كنت على بير أصرف بتدبير.
- شعره من هنا وشعرة من هنا يعملوا دقن.

- قال، يا نعمة رايحة فين؟ قالت: عنـــد اللـــي يصوني ( أي أن النعمة تزول عن المسرف).
- عصفور في اليد خير مـن عشـرة علـى الشـجر ( أو في الغد).
- لا يغرك رخصه ترمي نصه ( لو اقتصدنا فيه).
- البركة في القليل.
- خلي حبة لبكره ( أو خلي شربة لبكره).
- بقرش قهوة يرد الشـهوة ( أي قليـل مـن الشـيء كفاية).
- الطباخة الشاطرة تكفي الفرح بوزة.
- غطي خدك، وامشي على قدك.
- ما توصيش حريص.
- شربة من برة توفر الجرة ( رغـم مـا فـي ذلـك من استغلال للآخرين).
- شعرة من خنزير خير منـه ( عربـي متـداول ... وفيه معنى الاستغلال أيضا ).
- لبس طاقية ده لده.

ورغم هذا الكم من الأمثال الداعية للاقتصاد ( ٢٨ مثلاً) إلا أن المثل المصري يسخر أحيانًا ... من المقتـرين علـى أنفسهم والبخلاء، ومدعي الفقر، وفي ذلك يقول المثل:

- وجع البطن ولا كب الطبيخ.
- يخافوا يشخوا يجوعوا.
- اللي يفنجر من جيبه ( لمـن يبخـل ويبـذر من جيب غيره).
- الشحاته كيميا ( أي فن).

وكما يحرص المصري على ماله ... يحرص على مال الآخرين ... فالمصري "الطيب" أمين لا يخون من يأتمنـه ... ويحرص أن يكون رزقه حلالاً ... ويرى أن ما يكتسبه عنوة أو خيانة سيضيع البركة، وسيضيع حتما، ولذلك لا يحتـرم المصـــري – كمـــا يتضـــح مـــن أمثالـــه – مـــن يخون، ومن يسرق، ويســخر مــنهم ... وتنقســم الفلســفة المصرية الشعبية في هذا الصدد إلى توصيف وتحذير، فـــلا يوجد مثل واحد يحبذ خيانة الأمانة، أو السرقة ... إلا علـى سبيل السخرية أو التحامق كالقول باستنكار: "اسرق وصـدق يا عبد ا  !!" وهو قول يوصف المرائين، الـذين يتصـدقون

وكأنهم يمارسون ما نسميه الآن: "غسيل الأموال" وقـــــد انتشرت الأمثال التي تتحدث عن " الأمانة " في العصور التي انتشرت فيها الأوقاف الخيرية، التي كان يعين لهـا حـارس غالبا ما ينهبها ... ولذلك سخرت الأمثال المصرية من حماة الأموال الذين يسرقونها، ووصفتهم كي نعرفهم ... وقيل فـي هذا الصدد:

- سلموا القـط مفتـاح الكـرار ( والقـط معـروف بالخيانة والسرقة).
- حاميها حراميها!!.
- حلال كلنا ... حرام كلنا!!.
- عويل قال لكفه إلى تفرقة سفه.
- يسرق الكحل من العين.

أما عن التفريق الدقيق بين الحلال والحرام ... والتحذير من أن المال الحرام لا يربي على سارقه، والحض المباشـر على الأمانة وضرورة حفظها، وأيضا السخرية ممن يؤمنون من لا يؤتمن ... وكأنهم يحرضونه ويعلمونه السرقة ... عن كل ذلك قالت الأمثال :

- سرقوا الصندوق يا محمد ... لكن مفتاحـه معايـا (عن الغفلة).
- المال السايب يعلم السرقة (عن التهاون).
- اللي يسرق البيضة يسـرق الفرخـة ( فهـو غيـر مؤتمن).
- اللي يسرق البيضة يسرق الجمل ...
- المال اللي ما يشبه أصحابه حرام ( لأنه شبهه).
- مال تجيبه الريح تأخذه الزوابع.
- مال الوقف يهد السقف.
- الحرام يتاكل بإيه ؟!.
- بتاع الناس كناس ( مال أو متاع).
- عمر الحرام ما يربى.
- من أمنك لم تخونه ... ولو كنت خاين.
- الحرامي يا قاتل يا مقتول (كمصير حتمي).

وعن المثل القائل " مال الناس كناس" اسـتطلعت د. فاطمة المصري اتجاهات عينة من المصريين، وافـق منها ٩٠ % على معنى المثل ورفضه ١٠ % فقط. ويتضح من ذلك أن الاتجاه العام هو رفض مال الغير، والتمسـك

"بالقرش الحلال" ممـا يؤكـد أمانـة الإنسـان المصـري " الطيب" و "المتدين" معا.

وكما يصف المثل المصري ويحذر من السرقة والخيانة يطمئن إلى أن:

- عمر المال الحلال ما يضيع.
- بينما يرى أن المال الحرام يضيع، ويقـول عنـه "ضاع سلقط في ملقط".

ويعتبر المثل المصري الندر شكل من أشـكال الأمانـة التي يجب الوفاء بها، وهو شكل آخر من الوفاء بالوعد، والصدق، ولذا يقول:

- قل من الندر وأوفى.

كل ما سبق تناولنا فيه سمة المصري "الطيب العفـوي" بكل ما تفرع عنها من سمات الصدق، والأمانة وحب الخير والإحسان للآخرين والتعاون والكرم، والخوف أو الحـذر ... إلـى آخـره ... ولكـن مـاذا عـن المصـري المنتمي، المحب لوطنه وبلده وأسرته وبيئته؟؟.

وكيف عبرت الأمثال الشعبية عن ذلك؟ وهل مـا زال المصري الأصيل هو عاشق ترابه، الرافض للغربة "المحب للاستقرار"؟!!.

# عاشق الاستقرار

المصري محب لبلاده بوجه عام، يرتبط بها كـ وطن ... ولا يرحب بتركها أو البعد عنها... ولديه كراهة شبه فطريـة للغربة والاغتراب، والوطن لدى المصري ليس مصر ككل... ولكن مدينته أو قريته أو الشارع أو الحارة، بل والبيت الذي يسكنه ... فالمصري الأصيل ينتمي للمكان ... ولا يرحـب بسهولة بتركه ... وإذا اضطر لذلك يداخله شـجن خفـي ... وحنين وشوق للمكان الذي تركه ... ويرجع الـبعض هـذه السمة إلى طابع الاستقرار الذي صبغ به النهـر والمجتمـع الزراعي سلوك المصري، الذي استقر على ضفتي النيل ... وزرع الشريط الموازي له ... وبني بيته، وأنشـأ مجتمعــه الصغير، كفور ونجوع وقرى، ثم مدن ومحافظات، وكل من ينتمي للمكان الذي ولد ونشأ وتربي فيه، يحرص على البقاء فيه، ويعتبر نفسه تغرب لو انتقل من مدينة لأخرى للـدرس أو العمل ... ويحن للرجوع إلى مسقط رأسه بشوق المغترب، هذا ويشبه البعض هذه السمة – وهي الاشتياق إلى الديار – بما يشعر به العربي من حنين للمضارب السابقة، التي يعود للبكاء على أطلالها، بعد أن تضطره ظروفه لتركهـا، ولقـد

ظل المصري على هذه الحال حتى عقود ثلاثة ماضية، إلى أن أجبرت الظروف الاقتصادية المصري إلى الهجرة إلى دول النفط، فبعد أن كانت قلة قليلة من المعلمين والأطباء ترسلهم مصر في بعثات إلى البلدان العربية الخليجية في الخمسينيات والستينيات ... شهد عقد السبعينيات بداية هجرة واسعة إلى الدول العربية، وشهد عقدا الثمانينيات والتسعينيات هجرة إلى بلدان المهجر ( أمريكا وكندا واستراليا). فهل يمكن أن نقول بعد كل هذه الموجات من الهجرة – التي بلغ تعدادها الملايين – أن المصري المعاصر ما زال هذا الإنسان المنتمي لترابه، المحب لوطنه العاشق للاستقرار الرافض للهجرة والغربة أو الاغتراب؟!. هذا ما ستجيب عليه نتائج تحليل المضمون الكمي والكيفي للأمثال الشعبية المصرية، التي صيغت قبل قرون، لتعبر عن نفسية ونهج المصري آنذاك، وما زال الوجدان المصري محتفظاً بها، وما زال اللسان المصري يرددها، ويستشهد بها ... وهل اقتصر مفهوم الوطن لدى المصري على البيت الصغير، أو الأسرة الصغيرة – ولا أقوال العائلة – التي يحافظ على تماسكها ويرحل بها؟! أم أن هذه الأسرة الصغيرة أيضا

تمزقت بسبب الهجمة المادية التي جعلت المصري يرحـب بالهجرة؟!.

قبل أن نقفز إلى النتـائج ... لابـد أن نفسـر مفهـوم المصري للاستقرار، واهتمامه بأسرته، وتعلقه بها، بوصفها أول نواة للانتماء، واهتمامه بالأصل والتأصيل، كشكل مـن أشكال الانتماء، ورجوعه بجذوره إلى أجداده الفراعنة، واعتزازه بهم وفخره بنفسه؛ لأنه من سلالتهم – رغم الهـوة الساحقة بينه وبينهم – وتمسكه بالقديم والموروث، بما له من ذاكرة حافظة لكل القيم والموروثات الشعبية، وحبـــــه للاقتناء، وسيجرنا كل ذلك للحديث عـن تمسـك المصـري بالقيم، وهل ما زال مستقرا ؟! أم حدث انقلاب قيمي، قـدم بعض القيم، ونحى أخرى، وغيـر ترتيـب السـلم القيمـي المصري وأولوياته ... حيث سنستعرض رؤية المصري للعلم والجمال والحب والعمل، والحرية والمسئولية، والمـــال استكمالاً لما أوضحناه سلفًا لرؤية المصري للخيـر والحـق كقيم مطلقة ما زال يتمسك بها تعبيرا عن ذاته الطيبة وسلوكه العفوي وعن تدينه الشديد.

قلنا إن المصري يكره السفر والبعد، ولا يترك ديـاره بسهولة وقد عبرت الأمثال عن ذلك قائلة:

- من خرج من داره ينقل مقداره.
- الغربة طربة تقل الأصول.
- البعد جفا.
- البعيد عن العين بعيد عن القلب.
- اللي ما تصبحه وتمسيه ما تعرف إيه جرى ليه.
- الغريب أعمى ولو كان بصير.
- ما نابنا من غربتنا إلا عوجة ضبتنا.
- خليك في عشك لما الدبور يهشك.
- الحجر الداير لابد عن لطه ( أو ما ينوبه غير لطه).
- البلد دي أحسن من غيرها.
- البطيخة ما تكبرش إلا في لبشتها ( الوطن والأرض).
- زي السمك إن طلع من المايه يموت.
- عزال يوم خراب سنة.
- طول الغيبة وجه بالخيبة.
- الشيخ البعيد مقطوع ندره ( رغم القول بأن سره باتع).
- رايح يحج جاور.
- الغايب حجته معاه ( تقال درءا للقلق على الغائب).

- المراسلة نصف المشاهدة ( تقال حثًا على المراسلة لمن سيغيب).
- متقطعوش الجوابات.
- الغايب مالوش نايب.
- اللقا نصيب ( تقال تحسبا من الموت في السفر).
- الغريب لابد يكون أديب.
- بلاد تشيلنا وبلاد تحطنا ( عن مشقة السفر).
- رب هنا رب هناك ( أصلها يا رايح الشام لأجل الغنى، رب هناك رب هنا).
- مسير الغريب يروح بلده ( المصري يعيش علـى هـذا الأمل).
- راح وقال عدو لي ( أي أطال الغياب).

كل هذه الأمثال ( ٢٦ مثلا ) تقول بصيغة أو بأخرى: أن السفر والبعد والغربة لها مساوئها، فهـي تقـل المقـدار وتضيع الأصول، أنها "طربة" ولن تفيـد منهـا شـيئًا عـدا "عوجة ضبتنا" أو الضرر "لابد من لطه" و "الخيبة" والخراب والمشقة، وأن الغريب "أعمى ولو كان بصير". وأن من يبعد سنجفوه، ولن يعد قريبا من قلوبنا، و " مالوش نايب "

وسيقطع نذره حتى ولو كان شيخًا وسره باتع، والمصـ ـري

قلق على من يسافر، ويرجوه ألا يقطع المراسلة، والجوابات، ولا يطيل الغياب، وحتى من يسافر هربا من شيء، أو سعيا وراء رزق أو طمعا في غنى، فالمثل يؤكد له أن " رب هناك رب هناك".

وبالمقابل نجد بعض الأمثال ( ٥ أمثال فقـط ) تحبـذ السفر وترى فيه فوائد، وتحث علـى الترحـال فـي بـلاد ا ، وترى في البعد اشتياقًا محببا، فماذا تقول هذه الأمثـال على قلتها؟

- في الأسفار سبع فوائد ( عربي متداول).
- المركب اللـي تـودي أحسـن مـن اللـي تجيـب ( يقال أيضا عن الضيوف أو الشر).
- سكة أبو زيد كلها مسالك.
- بلاد ا لخلق ا ( حث على الترحال).
- الشيخ البعيد سره باتع ( يقال أيضـا لمـن يسـتهين بالقريب).

ومن ملامح حب المصري للاستقرار، تمسـكه بالقـديم والموروث، وتمسكه الشديد بعاداته ... بل نظرتـه للثبـات والاسـتقرار فـي الأمـور ... وعـدم اقتناعـه بسـهولة

بالتغيير، في ذاته أو في عاداته، أو فـي عـادات الآخـرين وتصرفاتهم ... فحول " التمسك بالقديم" تقـــول الأمثـــال المصرية:

- من فات قديمه تاه.
- قطع الورايد ولا قطع العوايد.
- اللي ما لوش قـديم مـا لـوش جديـد ( فالتمسـك بالقديم يعني الأصالة ).
- ربنا ما يقطع لنا عادة (دعاء).

وعن "التعود والنكوص" ترى الأمثال أن من يتعود على شيء لابد راجع ليه ... ولا يمكن التخاص منه ... وبقدر مـا يرى في التمسك بالقديم من قيمة، بقدر ما يسخر أحيانًا مـن أصحاب العادات الذميمة، الذين لا يمكنهم التخاص منها، ولا يصـــدق المصـــري أنهـــم قـــد تـــابوا عنها، وتقول الأمثال في ذلك:

- تموت الرقاصة ووسطها بيلعب.
- يموت الزمار وصباعه بيلعب.
- تموت الحدادي وعينها في الصيد.
- من شب على شيء شاب عليه ( عربي متداول).

- رجعت ريمه لعادتها القديمة.
- ناهيتك ما انتهيت، وبالطبع فيك غالب، وعمـــــر ديل الكلاب ما ينعدل، ولو علقوا فيه قالب.
- الطبع يغلب التطبع.
- الطبع غلاب.
- عادتهم وللا هايشتروها؟! ( أصـله ده طبعـه فـين يوديه؟ هو كان طبعه وللا هايشتريه ؟!).
- الطبع والروح فـي الجسـد مـا يطلعـش إلا لمـا تطلع.
- الناس طبايع.
- اللي فينا فينا ولو حجينا وجينا.
- طول عمرك يـا رضـا وانـت كـده ( أي هـذا طبعك).
- من يومك يا خالة وإنت على دي الحالة.
- من يومك يا دبيبة وفيك ده العود.
- يرجع لعنب ديبو.
- اللي فيه خصلة ما يبطلهاش.
- اللي نبات فيه نصبح فيه ( العودة والتكرار).

- اللي مش واخد على البخور تتحرق " طيزه".
- الدناوة طبع.
- يرجع أخوك عندك أبوك (أي يعود لسابق عهده).
- خذ متعود على اللطم.
- الحمام الغيطي عمره ما يبقى بيتي ( ويضرب أيضا في المرأة ).
- إن كانت المانية تروب تبقى الفاجرة تتوب.
- إن تابت " القحبة " عرصت وإن عميت " ... " [*].

وهذا ويهتم المثل المصري بالقديم والعادات، فيطلق عليها كثيرا من الأمثال ( ٣٠ مثلاً ) في حين لا نجد إلا مثلاً واحدا عن الجديد ... يسخر منه، ويرى أنه غير دائم وأنه قد تكون له زهوته لكنها إلى زوال فيقول المثل:

- الغربال الجديد له شدة.

ذلك يعني أنه يرى أن الدوام للقديم؛ لأنه الأصيل ... ومن لا يتمسك به يتوه ... وأيضا لن يتمسك بالجديد، بمعنى أنه غير مخلص، ولا يتميز بالأصالة، ولذلك نجد أن

[*] يلاحظ على بعض الأمثال استعمال ألفاظ بذيئة بعضها عربي فصيح وبعضها عامي .

المصري أطلق كثيرا من الأمثال عن "الأصـل والأصـول" التي يعتز بها كثيرا فيقول:

- ابن الأصول عمره ما يعيب.
- على الأصل دور (أغنية صارت مثلاً أو العكس).
- اللي ما يكون سعده من جددوه يا لطمه على خدوده.
- التنا ولا الغنى ( أي الأصل الطيب ولا المال).
- تناه على ظهر إيده ( أي غير أصـيل ولا يصـون جميل).
- كل واحد بيعمل بأصله.
- الأصل الردي بيردي على صاحبه.
- الزيت من الزيتونة.
- دود المش منه فيه.
- الفرس الأصيلة ما يعيبها جلالها.
- العلامة انكبت والنخالة قبت ( تحسـر علـى مـا أصاب أبناء الأصول).
- إذا لبسنا عوايدنا ... وإن ما لبسنا عين وصابتنا.
- أكل فول ورجع لأصوله.
- اللي في الدست تطلعه المغرفة.

- كل إناء بما فيه ينضح ( عربي متداول).
- إن طلع العيب من أهل العيب ... ما يبقاش عيب.

ورغم اعتزاز المصري بأصله، وإرجاعـــه للأمـــور بحسنها وسيئها إلى الأصول، ومحاولته ربط أعمال المـرء بأصله وجذوره، نجد بعض الأمثال – بالأسلوب المصـري الساخر المعتاد – تتهكم على من يحاولون تأصيل أنفسـهم، والفخر بمن ينتسـبون لهـم ... حتـى لـو كـانوا فروعـا بعيدة، وفي ذلك قالت الأمثال :

- قالوا للحمار، أبوك مين؟ قال خالي الحصان.
- اسأله عن أبوه يقول خالي شعيب.
- القرعة تتباهى بشعر أختها ...
- قال يا أبويا شرفني قال لما يموت اللي يعرفني.
- يا دودة تتمطعي تتقطعي ...

ومن ذلك نرى أن المثل الشعبي يعتز بالأصول بشـكل مباشر ( ١٥ مثلاً ) وسخر ممن لا أصل لهم ... ومع ذلـك يتمسحون في أصحاب الأصول ( ٥ أمثال ) بما يعكس أيضا اهتمام المصري بالأصل والتأصيل. وذلـك الوضـع يؤكـد عنصر الثبات واستقرار الأوضاع الاجتماعية في المجتمـع

المصري ... لكن الأمر لم يخل من بعض الأمثال التي تؤكد أن الأصل ليس بالمال، وليس بالجـدود ... ولكنـه بسـلوك المرء، وأفضاله، وأعماله الخيرة أو الحسنة، وذلك لتحفيـز الناس على العمل الطيب ... والقول بأنه – أي العمل الطيب– كفيل أن يغير من وضع الفرد وطبقته ... ويدخله في زمـرة من يسميهم المصري : "ولاد الأصول" الـذين يـرى أنهـم لا يعيبون ولا يخطئون؛ لأن أصلهم "يردي" علـيهم... كمـا ترى الأمثال أن البعض دون أن نعرف أصـولهم يمكـن أن نحكم عليهم بمجرد رؤيتهم، أو الاطلاع علـى سـلوكهم ... فنذر يسير من التصرفات أو السمات يمكننا بها الحكم علـى الشخص، إن كان أصيلاً أو "عويل" كما يسمي المصري من يصنفهم عديمي الأصول ... وفي هذا الصدد تقول الأمثـال على قلتها نسبيا.

- أصلك عملك (أي اعمل الطيب تـدرج بـين أبنـاء الأصول).
- الشاب بسعده ... لا لأبوه ولا لجده.
- فخر المرء بفضله أولى من فخره بأصله.
- إنما أصل المرء ما قد حصل ( عربي متداول).

- سيماهم على وجوههم ( عربي متداول).
- العينة بينة.
- الكتاب يتعرف من عنوانـه ( أو الجـواب ينقـري من عنوانه ).

ومن اعتزاز المصري بأصله نجده دائما يستشعر عـدم تقدير الغير له ... ولما يقدم من خير ... ولذلك نجد العديد من الأمثال التي تتحدث عن "نكران الجميل" كوجه من أوجه "قلة الأصل" كما يقيمها المصري، فرغم اعتقاده في أن "الجـزاء من جنس العمل" – كما سيأتي بيانه فيما بعد – نجده يصـف نكران الجميل بأسلوب دقيق، وتشبيهات غاية في البلاغة، ويربط بينه وبين الأصل الخسيس ... وعدم صيانة ما يسميه "العيش والملح" وهو ما يعتز به المصري ويجعل لـه حقـا مصانًا ... فهو يقول عن ناكري الجميل :

- أكله لحم ورماه عضم.
- ما راعاش العيش والملح.
- العيش والملح ما يهونش إلا على ابن الحرام.
- عض الايد اللي اتمدت له.
- اللي "يخريه" زي اللي يوضيه.

- تزرعه يقلعك (كل شـيء تزرعـه تقلعـه إلا أبـو راس سودة تزرعه يقلعك).
- زي القطط يأكلوا وينكروا.
- زي العرسة يأكل وينسى.
- لما يطيب العليل ينسى جميل المداوي.
- أكلوا الهدية وكسروا الزبدية.
- لحم كتافه من خيري (تقال عن ناكر الجميل).
- زي عواجيز الفرح يأكلوا ويتنقوروا.
- بعد ما كل واتكى قال ده ريحته مستكة.
- جزء سنمار ( عربي متداول ).
- ربيت كلب إندار عقرني.
- لو قيدت له صوابعي العشرة شـمع (تبسـيط لمثـل عربي يقول، لو أوقدت لك العشرة مـا رأيـتهم إلا ظلاما).
- أنا فيك بدادي وأنت بتقطع أوتادي.
- خير عملنا ... والشر جانا منين ؟!.
- آخر المعـروف بينضـرب بـالكفوف ( أو جـزاء المعروف ضرب الكفوف !!).

- آخر خدمة الغز علقة.
- خير تعمل شر تلقى.
- يا شاكر غيري يا ناكر خيري.
- ربيت فلان مطمرش فيه.

وتتوعد الأمثال ناكري الجميل بأمور من جنس عملهم وأسوأ، فتقول موجهة الخطاب لهم:

- ما تعرف مقدار أمك إلا لما تعاشر مرات أبوك.
- يا ناكر خيري بكره تعرف زماني من زمن غيري.

هذا ويتبنى الوجدان المصري ترديد المأثور العربي المتداول، والمحذر للخيرين والمحسنين، مما قد ينالهم من عديمي الأصل وناكري الجميل والقائل :

- اتق شر من أحسنت إليه.

هذا ونجد المصري "المحب للاستقرار" والمتمسك بالقديم والموروث، والميال لإرجاع الأمور إلى جذورها وأصولها، نجده يضع دستورا محكما من أمثاله الشعبية، ليحكم به صيرورة الحياة مستقرة. وذلك نجد للحب والمحبة دستورها وقوانينها، التي تحفظ استقرارها ودوامها ... كما نجد للأسرة الصغيرة، متمثلة في العلاقة بين الرجل

والمرأة والأبناء قوانينها الملزمة من خلال الأمثال الشعبية، التي لم تترك شاردة أو واردة إلا وناقشتها، ووضـعت لهـا الحدود التي تضمن لها الاستقرار، كذلك علاقـات القربـى والروابط بين الأهل، التي تضمن تنظيم العلاقـات العائليـة واستقرارها بل وأكثر من ذلك اهتمت الأمثال بأمور الحـب والمشاعر، بوصفهما النواة التي تقوم عليها شتى العلاقـات الاجتماعية المستقرة، وفي ذلك تناولت الأمثال كل ما يتعلـق بهذه المشاعر من علاقات شد وجذب، وغيرة، وألفة، ودلال أو "تقل" وغواية، وتحمل من المحبين لكل مـن يـأتي مـن أحبـائهم ليصـل أحيانـًا إلـى حـد الـذل و " البهدلة".

وفي هذا الصدد أيضا انقسمت الأمثال ما بين التوصيف والتقنين للأمور رفضا أو قبولاً ... ففي مجال التوصيف تقول الأمثال عن "الحب والمشاعر" وما يرتبط بهما:

- الحب خايلة بنـار هايلـة عـوج السـليم وعـدل المايلة.
- الحب بهدلة.

- العـين ومـا تهـوى والقلـب ومـا يريـد (أي لا مبررات ولا أسباب).
- النفس وما تشتهي، والقلب وما يريد.
- مراية الحب عامية ( الحب أعمى).
- التقل صنعة.
- القلب له أحكام.
- الحب مش بالعافية ( لا إجبار فيه).
- حبني وخد لك زعبوط، قال هي المحبة بالنبوت؟!
- الغرض مرض.
- كل من جانا يحب مرجانة.
- وقعت وللا الهوى رماك؟!.
- حبيبك اللي تحب ... ولو كـان دب ( ولـو كـان عبد نوبي).
- ما تعب إلا تعب القلب.
- القلب له واحد (عن الوحدانية في الحب).
- قد الودعة وله في القلب لدعة ( وتقال أيضـا فـي معنى جنسي).

هذا ويؤمن المثل المصري بالوحدانية في الحب، وأنه يأتي دون مبررات أو أسباب، ولا يكون بالإكراه... أو حتى بالإغراء المادي، وهو أعمى ... بل ويقلب الأمور وفقًا لما يشتهي، والحب كما يرى المثل المصري علاقة تبادلية، تعتمد على العطاء والبذل المتبادل، وفي ذلك يقول المثل:

- اللي يبص لي بعين أبص له باتنين.
- تراعيني قيراط أراعيك قيراطين.
- من القلب للقلب رسول.
- من رادك ريده، ومن طلب بعدك زيده.
- من فاتك فوته.
- من حبنا حبناه وصار متاعنا متاعه ... ومن كرهنا كرهناه يحرم علينا اجتماعه.

وإذا كانت الأمثال ترى ضرورة التبادلية في العطاء في هذا العدد من الأمثال ( ٦ أمثال فقط )، فهي ترى الحب عطاء وبذلاً دون مقابل في كثير من الأمثال، نذكر منها:

- الغاوي ينقط بطاقيته ( أي بأي شيء أو آخر ما يملك).

- من حبه فـي القلقـاس حلقـوا لـه ظلبطـه ( أي رضي بأي شيء).
- اللي يحب الكمون يتمرغ في ترابه.
- إن كان حبيبك تعبان، اتلفح به.
- إن حبتك حية اتلفح بيها (أو إطوق بيها).
- غالي والطلب رخـيص (أي يـرخص كـل شـيء من أجل الحبيب).
- خلي حبيبك على هواه لما يجـي علـى قفـاه (أي تحمل اللي آخر مدى).
- الرجل تدب مطرح ما تحب.
- قلوب عليها دروب وقلوب مـن الهـم تـدوب ( أو من الهوى تدوب).
- نموت ونحيا في حب يحيى.
- عيش يا حبيبي ولو تبكيني، حســك فــي الــدنيا يكفيني ( منتهى الأثرة).
- من لقى أحبابه نسى أصحابه ( تـرك كـل عزيـز من أجل الأحباب).
- يا عيني على اللي حب ولا طالشي !!.

هذا ويسخر المثل المصري أحيانًا من تدله المحبين، ومن أنهم لا ينتظرون مقابل لحبهم وعطائهم ... بل يحبـون دون منطق ... ودون مبرر مفهوم، ويـرون فـي الحبيـب ما لا يراه غيرهم، ويرضون بالقليل من عطائه بل يرون فيه الكثير ... وفي ذلك تقول الأمثال:

- بصلة المحب خروف.
- ضرب الحبيب زي أكل الزبيب.
- القط ما يحبش إلا خناقه.
- البوسة في إيده رطل (أي الحبيب).
- اللي يلاقي دلع ولا يتدلعش ربنا يحاسبه !!.
- إن كان حبيبك عسل متلحسوش كله ( منعـا للعشـم الزائد).
- لما يحب "يخري" !!.
- يا نعيش سوا يا نموت سوا !!.
- المحبة تقال شروط الأدب (إذ تسمح بالتطاول).
- شدة الألفة تسقط الكلفة.
- اللي موش في القلب همه صعب.

أما عن الدلال والتمتع، والمراوغة في الوصال والحب فلها قواعدها التي وضعها المثل الشعبي المصري قائلاً:

- نفسي فيه ... إخي عليه !!.
- عينا فيه ونقول إخيه !!.
- نفسها بس خايفة من الحبل.
- من ده أكش، ومن ده أخاف، ومـــن ده أخـــرج حبلة من تحت اللحاف.
- يتمتعن وهن الراغبات ( عربي متداول).
- تماحيكو عجب !!.
- لا باحبك ولا أقدر على بعدك !!.
- إذا رأيته يسبه اعرف إنه يحبه ( ولكن يتدلل).

أما عن " الغيرة " كسلوك مرتبط بالحب. فلهــا أيضــا قواعدها، التي يرسمها المثل المصري ترحيبـا، أو رفضـا، أو إقرارا ؛ لأنها ملمح من ملامح الحب وضروراته ... وفيها يقول المثل :

- الغيرة مرة، والصبر على ا .
- اللي ما يغير ولا من الحمير.

وترى الأمثال أن الحب لا يخفي أمره، ويظهر للجميـع وتقول في ذلك:

- الحب والحبل، والركوب على الجمل ما يختفي.
- ما دام تحب بتنكر ليه ؟!! ( تساؤل استنكاري).
- هو الحب بيستخبى ؟!!
- إذا حبيت داري، وإذا كرهت واري ( توجيه صريح بالإخفاء).

وتضع الأمثال قواعد أخرى مختلفة للحب، ومتطلبـات تراها ضرورية لاستمراره ودوامه واستقراره، إذ تقول:

- إن عشقت اعشق قمر، وإن سـرقت اسـرق جمـل ( شرط الجمال).
- قرد موالف ولا غزال شارد ( شـرط الوفـاق ... وهو عكس المثل السابق).
- الحب عاوز كلفة، علشـان تـدوم الألفـة ( شـرط المال).
- إذا دخل الفقر من الشباك خرج الحب مـن البـاب ( في نفس المعنى، الغنى).

- أقـرب طريـق لقلـب الراجـل معدتـه ( شـرط المهارة في الطهي).
- الحب من أول نظرة.
- الأذن تعشق قبل العين أحيانًا ( حلاوة الصوت).
- كتر الأسية تقطع عروق المحبة.

والمصري يرى في الحب ذاته ضرورة للحياة ... ويرى أن من لا يحب ولا يعشق لا يستحق أن يوصف بأنه إنسان، وفي ذلك يقول المثل:

- إيش تقولوا في جدع لا عشق ولا اتمعشق؟

قالوا، يعيش حمار، ويموت حمار،

فالحب ضرورة يمارسها المصري، ويعتز بها، حتى لو قتلته ... فعنده أن "حب الدبة قتل صاحبها!" وأنه "ومن الحب ما قتل!"، أن "اللي تكره أنت يحبه غيرك". لكن الحب دائمـا هو محور حياة المصري؛ كعنصر مكمل لتدينه وطيبته، وأيضا كمحرك لحياته الاجتماعية، والأسرية، وعنصر فاعل في بقائها واستمرارها، وسيتضح ذلك أيضـا، مـن تحليلنـا للأمثـال الشـعبية المصـرية التـي نتنـاول فيهـا " الزواج والأزواج" وهو ما يوضح لنـا تمسـك المصـري

بالحب كرباط أساسي لاستقرار الزواج، وترحيبه بالزواج كضرورة اجتماعية – حتى ولو كانت شرا – وحتى لو كان الرجل مجرد " ظل " ... وفي ذلك تقول الأمثال:

- يا بخت من وفق راسين في الحلال (تحبيذ للسعي في التزويج).
- ما جمع إلا ما وفق ( أي تشابه أو توافق اجتماعي).
- جوزوا زقزوق لظريفة.
- يا واخدة القرد على ماله، يروح المال ويفضل القرد على حاله.
- خدوهم فقرا يغنيكم ا .
- خذ الأصيلة ولو كانت على حصيرة.
- قلة الذكر تاسي على النظر ( أي أن الرجل ضرورة).
- ضل راجل ولا ضل حيطة ( ضرورة الزواج).
- بلدك فين يا جحا ؟ قال، اللي فيها مراتي ( فالمرأة وطن).
- ربنا يهني سعيد بسعيدة ( عن الوفاق).

- إن كان بدك تصون العرض وتلمه جوز البنت للي عينها منه (أي من تحبه).
- اقعد على البساط واختار ست الستات.
- تقعد في المجال وتاخد سيد الرجال.
- يحرم علي بيت الأهلية ... أحسن يقولوا، العاوزة جاية.
- قعدتي بين أعتابي، ولا قعدتي بين أحبابي ( تفضيل لبيت الزوج عن بيت الأهل).
- جهنم جوزي ولا جنة أبويا.
- إن ما كنش لك أهل ناسب ( في الحض على الزواج طلبا للعزوة).
- الجواز نص الدين.
- عريس الهنا يا ريتني كنت أنا.
- أخطب لبنتك ... ولا تخطبش لابنك.
- كل شيء ييجي بالخناق ... إلا الجواز بالاتفاق.
- الجواز شر ... لابد منه.
- دور الحق على غطاه لما التقاه ( عن التوافق الاجتماعي ).

- مين يشهد للعروس إلا العريس.
- إيش طبخت العمشة لجوزها يتعشى (نوع من الرضا والوفاق).
- قبل ما تناسب حاسب (أي دقق).
- اسأل قبل ما تناسب يبان لك الردي والمناسب.
- أقل الرجال يغني النسا ( عن ضرورة الزواج).
- لا بمالك ترغبني، ولا بحلاوتك تعجبني ( أي لا أحبك).
- جوزوها لها مالها إلا له (من فرط التشابه والوفاق).

ذلك كله عن تحبيذ الزواج، والترغيب فيه، ووضع الوفاق والتوافق الاجتماعي والحب كأحد شروطه وأولوياته، وضحت كثرتها ( ٣١ مثلاً ) في مقابل عدد من الأمثال التي لا تحبذ الزواج، ولا تحض عليه، وتفضل العزوبية عليه ... ولكن إذا كان غير مناسب ... فالمثل الشعبي هو خلاصة الحكمة المقطرة. بعد طول تجارب ... فقد تكون العزوبية أفضل إذا كانت الزيجة يتوقع لها الفشل، أو لا تحق السعادة والاستقرار المنشود، وفي ذلك تقول الأمثال :

- الجواز دفع مهر، وفرح شهر، وغم دهر.

- العروسة أول أسبوع فانوس منور، وثاني أسبوع قرد مصور.
- ما كان ناقص على ستي إلا طرطور سيدي ( فالزواج لم يضف لها جديدا).
- متجوزة عدس وعازبة عدس.
- ما تحسبوش يا بنات إن الجواز راحة.
- العزوبية ولا الجوازة الردية (وتقال أيضا الجوازة العرة).
- قعاد الخزانة ولا الجوازة الندامة.
- امشي في جنازة ولا تمشيش في جوازه ( عكس يا بخت من وفق راسين).
- ألف رفيقة ولا لزيقة ( يقال تهربا من مسئولية الزواج).

ومما سبق يتضح مدى تحبيذ المثل المصري للزواج وتكوين الأسرة بنسبة ( ٣١ : ٩ )، وذلك كمدعاة لاستقرار المجتمع : باستقرار نواته الأولى، وهي الأسرة.

ورغم أن "تعدد الزوجات" حق للرجل ... فإن المثل المصري تناول هذا الحق بكلمة شديدة؛ لما له من مضار

تهدد أمن الأسرة وتهدد الاستقرار الذي ينشده للمجتمع ككل... فسخر بشدة من الرجل المزواج، كما سخر وتهكم على المرأة التي تقبل الزواج من متزوج – بوصفها عنصرا فاعلاً في إتمام مثل هذا الزواج وممارسة ما يهدد الاستقرار ... وعن ذلك قالت الأمثال:

- من كترت ماليته هانت عليه وليته ( كثرة المال كعامل من العوامل).
- اللي يتجوز اثنين يا قادر يا فاجر.
- من عمل النسوان تجارته يا خسارته.
- عقربتين في الحيط ولا ستتين في البيت.
- الضرة مرة.
- يا واخدة جوز المرة يا مسخرة.
- تاخدي جوزي وتغيري ... ما تخيلي ( تقوله الزوجة الأولى لضرتها).
- جنازته ولا جوازته ( تدعو به الزوجة الأولى على زوجها).
- آديني حية لما أشوف اللي جايه !! (إذا كانت أحسن منها أم لا ؟).

- زي الفريك ميحبش شريك (تقال رفضا للضرة).
- القديمة تحلى ... ولو كانت وحلة ( تقال تأكيدا لنـدم الزوج وعودته لبيته الأول).
- هو عايز نقرة، وللا مصطبة يقرا ( تقال لمن يعيـب زوجته كحجة للزواج من أخرى).
- يا مآمنة للرجال يا مآمنة للماية في الغربال (تأكيـدا لخيانة الرجل وعدم إخلاصه).
- قصقصي طيرك لا يلوف بغيرك (اتهام للرجل الذي يهدم بيته).
- الأب عاشق، والأم غيرانة، والبت حيرانة (نمـوذج للعلاقات الأسرية غير القويمة).

وكما هي عادة المثل الشعبي المصري يعبر عن وجهتي النظـــر ... حتـــى وإن مثلـــت إحـــداهما رأي الأقلية، ويعود فيحبذ تعدد الزوجات قائلاً:

- جوز الاثنين عريس كل ليلة.
- الضرة تعدل العصية (أي دواء للزوجة المهملة).

ولما كانت المرأة هي "حاملة الثقافة" على حد قول أبـي الاجتماعيين د. سيد عويس ... فإن المرأة – كما أتصـور –

هي من أطلقت هذا الكم الكبير ( ١٧ مـثلاً ) مـن الأمثـال المنددة بالزواج الثاني ... وبمن يتزوج عدة مرات، وهي التي حفظت هذا التراث من الأمثال، ورددته حتـى اسـتقر فـي وجدان الشعب المصري، وما زال يتداوله حتى الآن. فــي مقابل مثلين فقط قد يكون الرجل هو من أطلقهما، أو أطلــق أولهما؛ كترغيب بلقاء جديد ... أو ليتباهى على أقرانه بأنـه "عريس كل ليلة"، في حين أن المثل الثاني قد تكون أطلقتـه امرأة حكيمة و "حماة" كعقاب لزوجـة ابنهـا ذات العصـبة الموجعة، ناصحة به ابنها ؛ كي يتزوج ثانية، ويأتي بضـرة للزوجة الأولى ... ولكن أيا ما كان الأمر فهم مثلان فقط؛ يحبذان عادة تهدد اسـتقرار المجتمـع المحـب للاسـتقرار والديمومة؛ لأنها مظهر من مظاهر الأمان والطمأنينة، فــي الأسرة نواة استقرار المجتمع كله.

وإذا كان المثل المصري لا يحبذ التعدد كمـا ... فهـو يرى في الطلاق حلاً للحياة الزوجية الفاشلة ... إذا استحالت العشرة، ولم يطرح التعدد كبديل ... ومع ذلك فالأمثال القائلة بالطلاق ليست كثيرة، قياسا بالداعية للزواج ( ٣١ : ١٤ )، وهو ما سيتضح من استعراضها وتحليلها ... وهي تقول :

- هي جيزة نصارة؟! ( أي أن الطـلاق أمـر ممكـن كحل).
- جوازة نصرانية ... لا فراق إلا بالخناق.
- الراجل في السوق بينبـاع وبينشـرى (أي ممكـن تركه).
- زي مـا دخلنـا بـالمعروف نخـرج بـالمعروف ( تبسيط الطلاق بسلام).
- عريس الغفلة والبـاب بـلا أفلـة ( أي يمكـن رده أو طرده).
- أنت تاخدي سيد سـيده ( يضـرب لـلأزواج عنـد الطلاق).
- بفلوسك بنت السـلطان عروسـك (ويقـال تحبيـذًا للمال عند الزيجة الأولـى وأيضـا إذا مـا رفـض العريس).
- الزمان يا يهده ... لما الراجل يغضـب والسـت ترده ( يقال في الخلافات الزوجية).
- لا اتجوزت ولا خلـي بـالي ... ولا أنـا فضـلت على حالي.

- زي الحرمـة المفارقـة ... لا هـي مطلقـة ... ولا هي معلقة.
- خالتي وخالتك واتفرقـت الخـالات ( يقـال عنـد التطليق بمعنى انقطاع الصلة).
- لا طلاق ولا عتاق ( عن الخلاف الزوجي).
- عشيقك ما تاخديه ... وطليقـك مـا ترديـه(لأنـه سيظل يعايرك).

وعن جانب التحبيذ للطلاق فيما سبق ذكره من أمثـال (١٤ مثلاً) سنجد ستة أمثال – أو أقوال – فقط، هـي التـي تقال في تشجيع الطلاق، والباقي مجرد توصـيف لحـالات الخلاف الزوجي ... وفي حالات رفض العريس.

هذا وتضع الأمثال المصرية قواعـد عامـة للعلاقـات الزوجية، تحبذ فيها بعض الأمور، وترفض بعضها ... فعن زواج الأقارب قالت الأمثال:

- ناسب من الزرايب، ولا تناسب من القرايب.
- إن كان لك قريب لا تشاركه ولا تناسبه.
- الدخان القريب يعمي.
- بارك ا  في المرة الغريبة، والزرعة القريبة.

وكأن الوجدان المصري قد أدرك بالفطرة ما في زواج الأقارب من مشاكل ... وتعكير صفو الأهل وأمراض وراثية، وفي مقابل ذلك نجد مثلين فقط يحبذان زواج الأقارب ... وإن كانت تعبيرا عن صوت فردي، إذ تقول الفتاة:

- آخد ابن عمي ... واتغطى بكمي ( أي حتى لو كان لا يملك شيئًا ).
- نار القريب ولا جنة الغريب.

وعن البوار ... وكراهة المرأة له ... وتصور استحالة الزواج بعد طول بوار، بل وعدم رغبة الرجل المصري في الفتاة العانس ... فهو أحيانًا يفضل عليها الأرملة، أو المطلقة، عالجت الأمثال هذا الأمر قائلة:

- قالوا للبايرة، جالك عريس، قالت مش حصدق إلا لما أعنق ( ويضرب أيضا لاستحالة شيء بعيد المنال).
- من كتر خطابها بارت ... مسى عليها الليل واحتارت.
- خطبوها اتعززت ... وفاتوها اتندمت.

- البايرة أولى ببيت أبوها.
- البنات مربطهم خالي.
- دور مع الأيام إذا دارت، وخد بنـت الأجاويـد إذا بارت.

وعن قواعد السلوك ... والتعامل بين الزوج والزوجـة قالت الأمثال الكثير، والمتـراوح بـين المطالبـة بالشـدة والإرهاب، وبين الاحترام والتقدير خاصة أمام الآخرين.

وضرورة أن يكون الزوج – بوصفه رب البيـت – قـدوة لزوجته وأبنائه ... وأن يقوم الزوج بواجباتـه كـي يعجـب مراته ويعجب الناس، وأن يتخير الرجل الزوجة المناسبة من البداية، وألا يثقل على أهل زوجته بكثرة الزيارة، أو بالإقامة معهم، عن كل ذلك وغيره قالت الأمثال:

- جوزناها تتاخر، راحت وجابته راخر.
- إذا كـان رب البيـت بالـدف ضـارب فشـيمة الصبيان كلهم الرقص (عربي متداول).
- اللي يقول لمراته يا عورة، تلعـب بيهـا النـاس الكورة، واللي يقول لها يا هانم ، تقف لهـا النـاس على السلام.

- من همه خد واحدة قد أمه.
- إلبس تعجب مراتك، ولبس مراتك تعجب الناس.
- إدبح بسك ليلة عرسك (أي أرهبها من أول ليلة).
- أبويا وطاني وجوزي علاني ( تقوله الزوجة إعزاز لزوجها).
- إن دري جوزك بغيبتك كلمي يومك وليلتك (في حالة عدم استئذان الزوج في الخروج).
- الراجل ومراته زي القبر وأفعاله (سر دفين).

هذا ويسخر المصري كعادته، ويتفكه على مدى الوفاق بين الأزواج خاصة إذا كانت سماتهم مما يدعو للسخرية، وأيضا إذا كانا يتميزان بالقبح ونبالغ في الفرح بهما، كما يصف من يسعون في الفرح بمبالغة بأنهم "متاعيس"، وكنموذج لذلك الأمثال القائلة:

- العروسة للعريس والجري للمتاعيس.
- الحمارة النكدة تقع في أردى التلاليس.
- تبقى عوزة وبنت عبد، ودخلتها ليلة الحد، ومشتهية الحب.
- العرس بزوبعة والعروسة ضفدعة (عن المبالغة).

- أن العروسة فاضية ومشغولة أو مشبوكة(عن المبالغة في الانشغال).
- جوزوا مشكاح لريمة ... الاثنين ما عليهم قيمة.

وهناك الكثير من الأمثال التي تتحدث عن أن "الـزواج قسمة ونصيب" و "أن السكوت علامة الرضا" في الزواج، وأن من واجب الأب على بناته أن يتخير لهم، ومــن ذلــك القول:

- جوزها بإيديك ... وناديها تجيك.
- قيدها بقيد حديد، وجوزها في بيـت سـعيد (تحبيـذ للغني وإجبار الفتاة على الزواج بـه كبعـد نظـر من الأب).
- أخطب لبنتك ولا تخطبش لابنك.
- جــوز ابنــك لدمياطيــة ... ولا تجــوز بنتــك لدمياطي (لشهرتهم بالحرص).
- جوز بنتك لصايغ، ولا تجوز ابنك لبنته.

وهذه فلسفة خاصة بالمال وعلاقته بالزواج، وضـرورة مراعاة الابنة بتزويجها من الغني السعيد، والاختيار لها. بل

وإجبارها أحيانًا من أجل مصلحتها، ولن تفتقد، فحين تناديها ستأتيك؛ لأن الابنة لا تفتقد بالزواج.

ورغم إعلاء الأمثال الشعبية لقيمة الـزواج ... وقيمـة الزوج، نجدها تضع قيمة الأخ قبله؛ لأنه كما سـبق القـول "ينباع وينشري". أو كما يقول المثل:

- الجوز موجود، والابن مولود، والأخ مفقود.

واستكمالاً لقوانين العلاقات الأسرية نستعرض الأمثـال الشعبية المتحدثة عن " الأبناء " ثم عن " الوراثة والشبه " ... وكنموذج لها ما قيل في تحبيذ الإنجاب، بوصـــفه نعمـــة، وسندا، وعزوة، وذخيرة ضد الأيام، فالأمثال ترى في الأبناء امتدادا للحياة، خاصة إذا كان المولود ولدا ... والمثل الشعبي يعكس حب المصري والمصرية ... وتفضـيلهما للأبنـاء الصبية على البنات؛ ولذلك يقول:

- العيال عزوة...
- من خلف ما ماتش (أو – الأولاد ذكرى).
- الصغار أحباب ا .
- هنوني ومنوني ... معرفش غيـر اللـي ولـدوني ( فالولاء دائما للوالدين).

- كلمة ولد تهز البلد.
- يا أم الولد حطي الولد في الجيـب، الـواد زخيـرة للعجز والشيب.
- اللي ما لوش ولد عديم الظهر والسند.
- إياك على ده الطلق يكون المولـود غـلام ... ولا تكنش بنية وتشمت الجيران.
- الكتكوت الفصيح من البيضة يصيح.
- آخر العنقود سكر معقود.
- الضنا إلى لف ودار ... ما يلقـاش غيـر حضـن أمه دار.
- سيب العجـل يعـرف أمـه ( أو عنـد الرضـاع العجل يعرف أمه).
- خذوا فالكم من عيالكم (أي تفاءلوا بما يقولون).
- أعز الذرية ولدين وبنية ( الصبية أكثر ).
- لما قالوا، دي بنية، إنهد ضهر البيت علي، ولمـــا قالوا، ده غلام، إنشد ضهري واستقام.

ويتضح من ذلك تفضيل إنجاب الصبي على الصبية ... وإن كان هناك استدراك يتضح في بعض الأمثال ... لكنهـا كانت كميا أقل، وتقول:

- من سعدها زمانها تجيـب ( جابـت ) بناتهـا قبـل صبياتها ( ليساعدوها في تربيتهم).
- اكسر للبنت ضلع يطلع لها اتنـين (وتقـال للعيـال أيضا ).
- أبو البنات مرزوق.
- الولد فرحة. ولو كان طرحه ( أي بنت).
- من كترت بناته صارت الكلاب صهراته.
- بنت الكبه قاعدة على القبة، وابن اسم ا أخذه ا .

ويستدرك المثل الشعبي، الذي يصور أن مجيء الابنـة يهد ظهر البيت حزنًا وكمدا، فيقول:

- لما قالوا، دي بنية، قلت، الحبيبة أهي جية، تكـنس لي، وتمسح لي وتملى البيت علي ( لكنه أقل شيوعا ويظهر نظرة المجتمع للبنت ودورها).

وحتى في الأحفاد يؤكد المثل الشعبي أن ابن الابن هـو السند، لأنه من العصب ... رغم أن أمه "عدوه" أو غريبة ...

فـي حـين أن ابـن البنـت لا ولاء لـه لأهـل أمه، ويصاغ هذا المعنى في مثل يقول:

- ابن الحبيبة عدي وخلاني، وابـن العـدوة عـدي وعداني ...

كما ترى الأمثال أيضا أن الحفيد عن البنت لا حكم لنـا عليه؛ لأنه ابن شخص غريب، وفي ذلك يقول المثل:

- أحكم بطبعك وطبع غيرك لا، واحكم في ملكك وملك غيرك لا، وربي ابنك وابن بنتك لا.

هذا ونجد من الأمثال الشعبية ما يظهر رفـض كثـرة الإنجاب، بل وإظهار لعيوب هذه الظاهرة السائدة في المجتمع المصري ... لكن هذه الأمثال من حيث العدد لا تماثل الداعية للإنجاب، والمفندة لميزاته، والمحبذة لإنجاب الصـبي علـى البنات ... ومنها نذكر فيما يلي الأمثال التي تحض مباشـرة علـى الإكثـار مـن الأبنـاء كـي تـربط المـرأة الرجل، أو " لتكيد الأعادي " ... إلى آخـر هـذه المسـببات الواهية، التي ذكرتها الأمثال قائلة:

- يغلبك بالمال أغلبيه بالعيال.
- عمر الوحداني ما يكيد عدو.

- أشوفهم ورايا ولو عرايا.

كل ذلك لأن المصري يرى في الأبناء ديمومة لحياته وامتدادا لها ... واستمرارا للحياة والاستقرار.

أما عن الأمثال التي تبين وتفند مساوئ الأبناء ... ومشاكلهم أو متاعبهم، وما قد يلاقيه الآباء منهم من جحود ومشقة ... وأحيانًا فقر ... فنورد منها :

- يا أبو العيال دايما شيال ( حمول أو هموم).
- من يوم ما جبتكم يا أولادي، ما هنا لي زادي، ولا بصيت من طاقة، ولا مضغت لبانة، ولا نمت في حضن أبوكم عريانة.
- قلبي على ولدي انفطر، وقلب ولدي علي حجر.
- اللي يسمع كلام العيال، ما يسلمش من الخوازيق (*) ( لما يجرونه إلى مشاكل).
- يعملوها الصغار ... ويقعوا فيها الكبار.
- اللي مالوش خير في أهله مالوش خير في حد.
- مش يا بخت من ولدت... يا بخت من سعدت ( فالسعادة ليست دائما بالإنجاب).

(*) ويقال لفظ بذيء بدلا من خوازيق في نفس المعنى.

- قال : يا أبويا ما أنامش حداك، قال، يا بني ريحتني من فساك (كمواجهة لجحود الأبناء).
- يقولوا يا رب قرش يجيلهم كرش (عن الفقراء).
- حبلة ومرضعة وقدامها أربعة ... وطالعـة الجبـل تجيب دا الحبل ... وتقول : يا عيني عليه يـا قلـة الذرية ( سخرية من كثرة الإنجاب والتكالب عليه ).
- مسير الابن يبقى جار.
- من كترت أولاده قل زاده ( فهم مجلبة للفقر).
- اللي ما يغليها جادها ما يغليها ولدها.

ومما سبق يتضح لنا مدى تفضيل المصري للإنجاب، في مقابل تبيانه لمساوئ الأبناء، وما يجرونه علـى آبـائهم (٢٦ : ١٥ )، ونستطيع أن نضيف إلى ما سبق جانبا آخـر من الأمثال؛ يوضح لنا الأبناء موضع فخر مـن آبـائهم ... حتى ولو تميزوا بالقبح ... فالأمثال تقول:

- القرد في عين أمه غزال.
- الخنفسة تشوف ولادها على الحيط ... تقول : ده لولي ملضم في خيط.
- ولد مولدتوش ولاده ( لا مثيل له).

- ولد شارب من لبن أمه ( أي شجاع).
- بنت ولا كل البنات.

وكي تستقيم الحياة والعلاقة بين الآباء والأبناء؛ تضـــع الأمثال المصرية قواعد للتربية، تتراوح بين المطالبة بالشدة وبين المآخاة للأبناء و "المسايسة"؛ وذلك يتضح من الأمثـال التالية :

- إن كبر ابنك خاويه.
- إن كان بدك تعـرف ابنـك وتسيسـه ... اعـرف مين جليسه.
- اللي ما يضربه أبوه وأمه علـى الكـخ ... عمـره ما عيرف سكه الدح.
- ابن الديب ما يترباش.
- اضرب ابنك وأحسن أدبه، ما يمـوت إلا أن فـرغ أجله.
- اكسر للعيل ضلع يطلع له اتين.
- اللي ما يربيه أمه وأبوه، تربيــه الأيــام والليــالي ( اللي ما تربية الأهالي ... ).

- المعزة العياطة ما يـاكلش ابنهـا الـديب ( لأنهـا تسهر عليه).
- تربية العز وأكل الوز.
- الخرسة تعرف بلغي ابنها.

وكما وضعت الأمثال قواعد للتربية والسهر على الأبناء وإعزازهم، والشدة معهم أحيانًا، واللين حينًا آخر – نجد قلة من الأمثال تقول بالاتكال، وتـــرك الأمـــور علـــى أعنتها، وكنموذج لذلك:

- قال : مالك مربي ؟؟قال... من عند ربي ( فالهـدى من عند ا ).
- ابن الهبلة يعيش أكتر ( بالتوكل).

وينبـــه المثـــل المصـــري الـــذي يحـــض علـــى التربية، ويضع قواعدها، ينبهـه إلـى قصـر ذلـك علـى الأبناء، دون التدخل في تربية أبناء الآخرين، وفي ذلك قالت الأمثال:

- يا مربي في غير ولدك ... يا باني في غير ملكك.
- أدعي على ولدي ... واكره من يقول : آمين.

- هي القطة تاكل أولادها؟! ( أي لا تتــدخل بــين أم وأولادها).
- إذا كانت الداية أحن من الوالـدة ... كانـت تبقـى خيبة زايدة.

هذا ويرى المصري أن الأبناء "بالوراثة والتشابه" امتداد لحياته واستقرار للحياة بوجه عام، وفي ذلك تقول الأمثال:

- من شابه أباه فما ظلم ( عربي متداول).
- ابن الوز عوام.
- ولد الفار يطلع حفار.
- بنت الحراتة تطلع دراسة.
- إن هذا الشبل من ذاك الأسد ( عربي متداول).
- طالع من عباية أبوه (أو كم أبوه).
- اقلب القدرة على فمهـا تطلـع البنـت لأمهـا (أو اكفي القدرة ...).
- العرق يمد لسابع جد.

وبقدر ما أكدت الأمثال عنصر الوراثة والتشـابه بـين الوالدين والأبناء، واستقرار العناصر أو السمات الوراثية،

نجدها تنحى هذه السمات في أمثـال أخـرى لكنهـا قليلـة ( ٣ أمثال فقط) تقول:

- أم " بربور " تجيب الشاب الغندور.
- يخلق من ضهر العالم فاسـد (أو جاهـل والعكـس صحيح).
- النار بتخلف رماد.

وترجع الأمثال التشابه والوراثة أحيانًا للجدود البعيدين، أو للأخوال والعمات، فتقول في ذلك:

- العرق دساس.
- ولدا لخاله ( أو الولد لخاله، والبنت لعمتها).
- كلهم سلالة ولاد عمه وخالة.
- الطينة من الطينة، واللتة من العجينة.

وتنطلــق الأمثــال المتناولــة لعلاقــات الأبــوة والبنوة؛ لترسي قواعد مختلفة، تعكــس حــب المصــري لأبنائه، واعتزازه بهم، وبمن يعزهم ويحبهم ... كذلك علاقة الجدود بالأبناء كعلاقة إعزاز ومحبة، فتقول:

- أبوك البصل وأمك التـوم ... منـين لـك الريحـة الطيبة يا شوم.

- لو ما كناش نعرف أمك وأبوك ... كنا قلنـا الغـز ولدوك.
- اللي في الدست تطلعـه المغرفـة ( أي كـل إنـاء بما فيه ينضح).
- أبوك خاف لك إيه؟ ! جدي ومات ( أي لا شيء).
- ها يورثونا بالحيا!!.
- كل شيللوا يشبه اللو ( أو كل شن له يشبهن له).
- فولة وانقسمت نصين.
- من حفـرة لطوبـة يـا قلـب لا تحـزن ( أي أن كلاهما أسوأ من الآخر).

هذا ويرى المثل المصري في التشابه ديمومة، وأن الأشخاص والأشياء تستمر بالتكرار والتشبه؛ ولـ ـ ـ ـ ـذلك فالشخص قد يكون " شبهه الخالق الناطق" أي في تماثل تـام ... وأن ا " يخلق من الشبه أربعين".

وكمـ ـا وضـ ـعت الأمثـ ـال قواعـ ـد الاسـ ـتقرار الأسري، وعلاقات الأبوة والبنوة داخل الأسرة الصغيرة، وضعتها على نطاق أوسع بين الأهل والأقارب، واهتمـ ـت أكثر بأهل الزوج ... خاصة علاقة الكنة والحمـاه ... وزوج

البنت والحماه ... وسنتدرج في استطلاع رؤيـة المصـري لهذه العلاقات؛ لنخاص في النهاية إلى نتيجة ... قد تكون غير متوقعة – ولن نسبق الأحداث لنقفز إليها – فلنرى ماذا قالت الأمثال عن نظرة المصري للأهل والأقارب، بعد أن حذرت من التزاوج بينهم – كما سلف ذكره – قالت الأمثال.

- الأقارب كالعقارب فاجتنبوهم ( عربي متداول).
- ما تيجي المصايب إلا من القرايب.
- عداوة الأقارب، زي لسع العقارب.
- دود المش منه فيه.
- سكينة الأهل تلمة ( أي تؤلم أكثر).
- العداوة في الأهل ( لك قريب لك عدو).

وتستثنى الأمثال من علاقـات القربـى: الأم والخالـة فتقول:

- الخالة والدة.
- الخال والد.
- يا بخت من كان النقيب خاله ( سيسانده ويعزه).
- اللي عند أمه ما تحمل همه.
- مين يشهد للعروسة غير أمها.

- اللي بلا أم حاله يغم.

وفي مقابل ما ورد من أمثال تحذر من الأهل، وتـــرى فيهم العداوة، ومن ورائهم المصائب، نجد أمثالاً أخرى تقول: أنهم " منا وفينا" وإذا تركناهم نهلك، وإذا آذينـاهم سيصـيبنا الأذى وكنموذج لهذه الأمثال:

- ما يحمل همك إلا اللي مـن دمـك ( أو مـا ينعـي همك ... ).
- الضفر ما يطلعش من اللحم، والدم ما يبقاش مية.
- نار القريب ولا جنة الغريب.
- إن تفيت لفوق جـت علـى وشـي ... وإن تفيـت لتحت جت على حجري ( أي في بيتها).
- جحا أولى بلحم طوره ( أي بأهله وما لهم).

إذن الأمثال تحـذر وتوصـي بالأهـل بقـدر متسـاو ( ٦ : ٦) ويستثنى من التحذير الأم والخالـة والخـال – أي الأم وأهل الأم – في حين تستثنى مـن التوصـية بالأهـل والتمسك بهم الحماة، أو أهل الزوج بوجه عام... بل والأدهى أنها تحذر من الأخوة فتقول:

- إذا كنتم إخوات اتحاسبوا ( فقد يجور الأخ على أخيه).
- الأب جلاب والأخ سلاب.
- أخاك من واساك ( عربي متداول).
- رب أخ لم تلده أمك ( أي صديق أفضل من الشقيق).
- الأخ أخ مراته ... والخايبة تحاف بحياته.
- مين أعز من أمي وأختي! اللي باخدها كل يوم تحتي ( تفضيل للزوجة عن الأم والأخت).
- اللي مالوش خير في أخاه لا تستنخاه ( لا تنتظر منه نخوة أو نجدة).
- إن انهدم بيت أخوك خد لك منه قالب.

وحتى الأب لم ينج من المثل المصري القائل:

- الأم تعشش والأب يطفش.
- جيت بيت أبويا أرتاح قفلوا في وشي وتوهوا المفتاح.

وعن علاقة الأب بالأبناء أوردنا سلفًا الكثير من الأمثال – في معرض الحديث عن تحبيذ الزواج – كمظهر من

مظاهر الاستقرار والاستمرار الذي ينشده المصري للحيـاة وما فيها.

هذا ونستعرض فيما يلي ما قالته الأمثال عن كل فـرد على حدة من الأهل والأنساب ... فعن الحماة سواء كانـت : أم الزوج ، أو أم الزوجة بالغت الأمثال، وإن كانت الصورة السيئة والغالبة لأم الزوج، التي تقول عنها:

- المايه والنار ولا حمـاتي فـي الـدار ( أو الكـي بالنار ولا حماتي في الدار).
- الحما حمة والعمة غمة ( أو الحما حمى، وأخـ ـت الجوز عقربة صمة أو سامة).
- الحمى عمى.
- عرق جنـب ودنهـم مـا يحـبش مـرات ابـنهم ( لا ينتظر منهم حبا ).
- إن كانت الغلة قد التـبن ... كانـت الحمـا تحـب مرات الابن.
- لو كلام الحما حلاوة طحينية، برضـه فـي شـيء من الغضوضية ( أي الكراهية).

- خدت ما ربيتي، وكلت ما خبيتي، والبيـت صـار بيتي ( تقوله الزوجة لحماتها).
- ده لا غدا ... ولا عشا ... ده فقع الحما.
- مكسور ما تكلي، وصحيح ما تكسري، وكلـي يـا مرات ابني لما تشبعي ( تخلق الحيرة).
- مسيرك يا مـرات الابـن تبقـى حمـاه ( تقولـه الحماه لكنتها).
- إن كان لك في البيت طرحة تخش بفرحة، وإن كان لك طربوش تخرج مكروش (أو إن كان لك عمامـة أخرج بالسلامة).
- إن كان لك قريبة خشى، وإن كـان لـك راجـل أخرجي ...

ذلك عن علاقة الحماة بالكنة، وهـي علاقـة كراهيـة متبادلة، ويؤكد المثل أنها فطرية "عرق جنب ودنهـم" وفـي نسيج التكوين البشري ... وتنعكس هذه العلاقة كمـا يمثلهـا المثل الأخير في عدم الترحيب بأهل الزوج وأقاربـه بوجـه عام ... ولكن كيف قننت الأمثال علاقة الرجـل ( الـزوج )

بحماته ؟ وهل وصـفتها بهـذه الصـورة مـن الكراهيـة والبغض؟!.

- بوس إيد حماتك، ولا تبوس إيد مراتك.
- اللي ما يقدرش على حماته ... يقدر على مراته.
- حماتك مناقرة ... طلق بنتها.
- حماتك بتحبك، قال، وأنا بأموت في بنتهـا ( أي لا يحبها لكنها لا تقال صراحة).
- وفري كلامك (أو نفسك) يا حماتي ... مـا ليـه إلا مراتي.
- خد المجنونة بنت العاقلة ... ولا تاخد العاقلة بنـت المجنونة ( أي تخير الحماة قبل الزوجة).

يتضح مما سبق كما وكيفًا، اختلاف وضع الحماة كـأم للزوج وأم للزوجة ... ولعل مرد ذلـك أيضـا أن المـرأة " حاملة الثقافة والتراث " هي من أطلقت الأمثال تعبيرا عـن السائد من الأوضاع والعلاقات الاجتماعية، وهـي التـي حفظتها من الزوال بترديدها.

وعن العلاقـات الأسـرية نجـد شخصـيات أخـرى كريهة، لم يذكرها المثل الشعبي بخير، ومنها : زوجة الأب ... ويقابلها زوج الأم، فكيف تناولت الأمثال هذه العلاقة؟!.

- قالوا لجحا : مرات أبوك بتحبك ... قال : هـ ـ ـي كانت اتجننت ( أي استحالة أن تحبه).
- مرات الأب سخطه من الرب ( أو: خـ ـذها يـ ـا رب ... كدعاء).
- ما تعرف قيمة أمك إلا لما تعاشر مرات أبوك.

هذا وقد تناولنا سلفًا ما قيل فيها كضـرة مكروهـة ... أما عن زوج الأم فالأمر يختلف قليلاً إذ تقول عنه الأمثال:

- حاجة ما تهمك وصي عليها جوز أمـك ( الشـيء اللي ما يهمك ... ).
- اللي يتجوز أمي أقول لـه يـا عمـي ( ويضـرب أيضا في الولاء والطاعة لأولي الأمر)...

ومنه يتضح أن زوج الأم لن يهتم بأمرنا ولن يفيدنا في شيء ... لكن لم تتحدث الأمثال عن كرهـه ... بـل قالـت بوجوب الطاعة له، واعتباره في منزلة العم، ولعل الشـيء بالشيء يذكر ... فماذا قالت الأمثال عن العم؟؟.

- أبوك ما خاف الك، عمـك مـا يـديك ( لا ينتظـر منه خير).

فالعم أخ ... والأخ لم تنصفه الأمثـال ... ولعـل ذلـك خلاصة تجربة اجتماعية، أو موروث منذ قتل قابيل هابيل – وأيا ما كان الأمر – فالمثل لم يعتبره والـدا أو بـديلاً عـن الوالد، كما هو الحال بالنسبة للخال.

وقبل ترك موضوع العلاقات الأسرية، لابد من الإشارة إلى نوع من العلاقات التي لا يرجى لها استقرار، فهي تفوق ما وصف به المثل علاقة المرأتين المتصارعتين على زوج واحد ... إذ يقول المثل :

- مركب الضراير سارت، ومركب السلايف غارت.

فالسلايف دائما في حالة صراع وغيرة، فإذا ما اجتمعوا لابد أن تغرق مركبهم، وصراعهم أشد وأنكى مـن صـراع الضراير كما يؤكد المثل.

هذا ولابد أيضا قبل الانتقال إلى سمة أخرى من سمات المصري ... لابد من استعراض وتحليل الأمثال التي تناولت بوجه عام وضع المرأة، ونظرة المجتمع لها، بوصـــفها العنصر الفاعل والأساسي في الاستقرار المنشـود للمجتمـع

المصري ... فهل أنصفتها الأمثال ؟؟ أم عبرت ووصفت وضعها المتدني في المجتمع وحسب ؟!.

سنجد أمثالاً كثيرة تناولت المرأة ... البنت، والزوجة، والأم، والأخت ... وسنجد أمثالاً كثيرة تناولت سمات المرأة، وقدراتها وغيرتها، وحنوها، وسنجد أمثالاً تحذر من النساء، وأمثالاً توصي بهن ... فكيف نقوم نظرة الأمثال للمرأة؟ فلنبدأ بالوجه الطيب لها كما ذكرته الأمثال:

- اللي ييجي على الولايا ما يكسبش ( أو عمره ما يكسب – تحذير وتوصية برعاية المرأة).
- إيش يحرر النسا ؟ قال: بعد الرجال عنهم.
- النسا مفصل أعوج قال: لولاه أعوج ما كانشي يضم ( عن حنو المرأة).
- أخطري لانظرك، واتكلمي لأسمعك ( يقولها الزوج المحب).
- اتغندري وقولي مقداري ( أي اختالي وتدللي).
- خليلة تجيب الكافية، وخليلة تلاقي عندها العافية ( اعتراف بدور المرأة في الحالين).

- اللي تخرج من دارها ينقـل مقـدارها ( يجـب أن تصان وتبقى في دارها).
- بنت الأكابر غالية ولو تكون جارية.
- هما قالوا: يا نسا وللا قالوا: يــا رجــال ( إلقــاء بالمسئولية على الرجل).
- تطلعوا يا رجالة من المواقع، وتســيبوها لأمهــات خلاخيل براقع.
- خدوا جوز الخرسة اتكلمت ( لا تستثيروا غيرتها).
- زي الشمعة تحرق نفسها، وتنور على غيرها ( يقال عن الأم أو الأخت الكبرى التي تربي).
- خير الشابة يبان على الضبة.
- هن رحمة لنا ( عربي متداول).

هذه رؤية متوازنة للمرأة، تعترف لها بالحنو، وترفـع عنها المسئوليات، ليتحملها الرجل، وترفض أن نحملها ما لا طاقة لها به أو نستثير غيرتها، أو ننقل مـن مقادرهـا، وأن نخرجهــا مــن دارهــا ... ويعطيهــا حــق الغنــدرة والدلال، والصيانة والحماية، ويطالب بألا يجار عليهم ( ١٤ مثلاً ) ... وفي مقابل ذلك سنجد أمثالاً غير قليلة (٢١ مـثلاً)

... تؤكد جبروت المرأة وغلبتها، أو قوة كيدها، وأنها مرائية، ولها سبعة وجوه وسبع أرواح، وأنها إذا مالت فـلا سـبيل لإصـــلاح حالهـــا ... وأنهـــا إذا أنجبـــت وتمكنـــت تفتري، وأنها تسحر، وأنها ناقصة عقل ودين، وأنها سبب كل شيء، وأن موتها سترة، وأن مشورتها دائما لا تجلب خيرا... وأنه حتى التربية – التي هي صـميم مهمتهـا الإنسـانية – مشكوك فيها، فالمثل يراها دائما "تربية مرة" ويوصفها بشكل مزر، وعوضا عن الاسترسال في تفنيد ما ذهبت إليه الأمثال نذكرها نصا :

- كيد النسا غلب كيد الرجال ( كيدهن عظيم).
- إن حبيت تغيظ راجل ساط عليه مرة، وإن حبيـــت تغيظ مرة ساط عليها عيل.
- البنات مربطهم خالي.
- البنات بسبع وجوه ( أو بسبع أرواح زي القطط).
- لا تأمن للمرة إذا صلت، ولا للخيل إذا طلت، ولا للشمس إذا ولت.
- مالت اك مالت لغيرك.
- الوقحة عينها قارحة.

- موت البنات سترة.
- ناقصات عقل ودين ( حديث متداول دون وعي دقيق لمعناه الأصلي).
- فتش عن المرأة ( مثل فرنسي متداول، ومعناه أنها وراء كل بلية).
- عمر النسا ما تربي عجل ( أو تور) ويحرث ( فلان تربية مرة).
- عمر الدوارة ما تربي كتاكيت.
- يا كاتبة يا ساحرة لا نايبـك مـن الـدنيا ولا مـن الآخرة .
- كلام نسوان ؟! ... وللا كلام رجالـة ... ( أي أن كلام النسوان لا يلتزم به).
- حطت عجلها ومدت رجلها.
- دقة الطبولة تبين العاقلة من المهبولة.
- ما زاد عليكي يا مرة إلا المجرجر من ورا ( تقـال كأسلوب استهانة).
- الغواني يغرهن الثناء ( عربي متداول).

- مالك يا خايبة بتتعلقي في الحبال الدايبة ( أي يغرها القول وتتعلق بقائله).
- الراجل ابن الراجل اللي ما يشاور مرة ( لا يؤخـذ برأيها).
- شاروهم ... واخلاف شورهم ( لا يؤخذ برأيها).

هذا ويعدد المثل للمرأة الأدوار والألوان التي يجـب أن تتشكل بها كسلوك، حتى يرضى عنها المجتمع، فيقول المثل:

- أهلــك يحبــوك غنيــة ... وجيرانــك يحبــوك سخية، وجوزك يحبك عفية.

فالمرأة الفقيرة " العاوزة جاية " يكرهها أهلها، والجيران والمحيطون يحبون الكرم؛ لكن يستغلونها؛ والرجل لا يطيق المرأة المريضة أو المتمارضة، وليس له صـبر عليهـا ... ولذلك فعليها أن ترتدي كل هذه الأثواب وتلعب كل الأدوار؛ كي تنال رضا المجتمع: الأهل، الجيران، والزوج ... ورغم النظرة المتدنية للمرأة ... فإن المثل الشعبي يرى فيهـا أحـد عناصر السعادة في الدنيا ... شريطة أن تكون " مطيعة"، والمصري يحب المرأة ... وإن كان لا يحترمها كثيرا، فالمثل يقول:

- السعادة هي : الدار الوسيعة، والمطيــة الســريعة، والزوجة المطيعة.

وبالإضافة لكل المعاني التي وردت في الأمثال السابقة، التي تحرض على عدم الأخذ برأي المرأة أو مشورتها، وأن الرجل الحق هو الذي يفعل ذلك ... ولا عجب فـي الأمـر فالمصري يرى في المرأة متاعا أو شـيئًا ... ولـيس كيانًـا إنسانيا، ولذلك يتحدث عن المرأة ويقول: " هي واللي قانيها" أو "يترد على اللي قانيها" فهي شيء للاقتناء وليسـت كيانـا مستقلاً، وهـــــــي " الجماعـــــــة " و " الأولاد " و "المدام" دون ذكر لاسمها، مهما علا شأنها ... وإذا أردنـا التأكد من ذلك فلنراجع الأمثال التي ضمها هذا المبحث كلها؛ لترى بالتحليل الدقيق رؤية المجتمـع المصـري للمـرأة ... وإنكاره لقدراتها، حتى في مجالها الأصـلي كـأم ومربيـة، ومصدر أساسي للاستقرار والاستمرار والأمان الذي ينشـده ويعشقه المصري ... ولن تقف بنا الأمثال في الحديث عـن المرأة عند هذا الحد ... بل سيأتي ذكرها مرة أخـرى فـي الحديث عن القيم التي يتمسك بها المجتمع المصري، وفـــي مقدمتها الجمال ... وكيف يرى جمال المرأة ؟ وفيما يراه ؟؟

وذلك حينما نناقش السمة الأصيلة الخامسة التي أقرها معظم الباحثين للمصري بوصفه " فنان".

## المصري "فنان"

لم يختلف الباحثون في القول بأن المصـري : "فنـان" بطبعه وبفطرته ... وبحكم الاستقرار إلى جوار النهر والتأمل في الطبيعة ... وبحكم الوراثة، وبفضل المخـزون الأثـري الذي تركه له أجداده الفراعنة ... فالمصري عاشق للجمـال كقيمة ... يفرق بين الجميل والقبيح بدقة ... وقد كان طوال تاريخه يقدر للجمال قيمته، ويشارك في الأعمال الرائعة التي تثير – وما زالت تثير – انبهار العالم ... وكان نتـاج يديـه أبعد ما يمكن عن الركاكة بل كان يسعى للكمال – وإن آمن فيما بعد أن الكمال وحده – والمصري طوال تاريخه كان عاملا ماهرا في صنعته، وفنانًا في حرفته أو " أسطى " فـي فنه ... وقد تعلم منه العالم أصول الفن ( الرسم – النحـت – التلوين) وقد علم الأجيال التي أتت من بعـده بأسـتاذيته ... أو بما يمكن أن نسميه بالعامية "معلمة" ؛ ولذلك تميز الصانع والفنان المصري بالمهارة أو " الشطارة " ... علم وتعلـم ... بل وعشق العلم ... وكره الجهل وسخر منه ومن الجهال ... وطلب العلم وسعى له وقدر قيمته واحترم معلمه وأحبه، وحفظ تراثه ونتاجه على مر العصور ... كما عشق العمـل

وقدسه واعتبره عبادة، وسخر من الكسـل والتقـاعس عـن السعي، ومن الكسالة أو من أسماهم " التنابلة" ... وحـ ـاول المصري في مجال الخلق والإبداع فتفوق علـى معاصـريه القدامى ... وترك للمحدثين ثروة وذخيرة، تشهد بتفوقه،

وتميزت فنونه بالسلاسة العذبة والسهولة الممتنعة ... ليس في مجال الفن التشكيلي فحسب ... ولكن فـي مجـال الطـرب والتطريب والتشخيص ... أو التمثيل، وفي الكتابة الأدبية،

والمصري ما زال في هذا الصدد الأخير مبدعا متميـزا ... حتى على أهل العربية أنفسهم ... ولعل مرد ذلك إلى عذوبة اللهجة المصرية، ورقة الحديث بها، والـذوق المصـري المتميز ... ولكن هل ما زال المصري المعاصر على سابق عهده من حيث الاتفاق والفن في صنعته، والدقة والجمال في رؤياه؟ أم أن القبح الذي ساد العالم، وساد المجتمع المصري بالذات، وأصاب القيم الجمالية والأخلاقية ... قد أفسد طبيعـة المصري الفنان ؟! ذلك ما سـتؤكده أو تدحضـه الأمثـال الشعبية المصرية، التي تناولت رؤى المصـري " للجمـال والقبح " و " المهارة أو الشطارة " و " العلم والجهل " ... إلى

آخر الموضوعات التي تعكس صورة المصري" للفنـ ـان " وتوضح موقفه الآتي من هذه السمة : " فنان ".

عن " الجمال " كقيمة وكمصدر إلهام، وكمفهوم خـاص له سماته المتمثلة في المرأة قالت الأمثال:

- بيع الجمال واشتري خفة ... الجمـال كتيـر لكـن الخفيف صدفة ( يعكس روحه ).
- إن سرقت اسرق جمل وإن عشقت اعشق قمر.
- قال يا وحشة خليك نغشة.
- خفيفة يا رشتة !! ( تضـرب كسـخرية مـن ثقـل الظل).
- لا فرح ولا زفة وإيه دي الخفة !! ( إعجـ ـ ـ ـاب بخفة الظل وإن لم تصحبها دعاية).
- إن دبلت الوردة ريحتها فيها ( أي يبقـ ـى فيهـ ـا عبير).
- إن لبست خيشة برضها عيشة ( أي تظل جميلة).
- إن طار قد ما طار يفضل منه قنطار.
- ا جميل يحب الجمال ( حديث متداول)...
- الجمال جمال الطبع.

- البير الحلو دايما نازح.
- الحلو ما يكملش.

وكما يرى المثل المصري أن الجمال في الطبع الجميل، وخفة الروح، وأنـــه مهمـــا ضـــاع ســـيبقى عبيره، وسيفيض ... نجده يستدرك ويقول : بوجود نقص في أي جمال، وتعبر أمثال أخرى عن أن الجمـال قـد يكـون ظاهريا ... وليس جمالاً جوهريا ، وتسخر الأمثال من هـذا النوع من الجمال، كما تسخر من الجمال إذا كان فـي غيـر موضعه قائلة:

- من بره طق طق ، ومن جوه فاش وبق.
- من بره هله هللا، ومن جوه يعلم ا .
- من برة رخام، ومن جوه سخام.
- لولا علبة مكي كان حالنا يبكي.
- إيش تعمل الماشطة في الوش العكر.
- إذا اتكحلتي باردب، ولا اتعطرتي باردب، برضك ديك الأورادة.
- اللي في راس الكلاب ( لا فائدة من التجميل).

- الحلـوة حلـوة ولـو صـحيت مـن النـوم ... والوحشة وحشة ولو تغسل وشها كل يوم.
- قال مالك صفرة؟ قالت: حبلت، ومالـــــــــــك خضرة؟ قالت: ولدت ... قال : طــول عمــرك كدة من وأنت بنت ( فلا داعي للادعاء الآن).
- خواتم ترصف في إيدين تقرف !!.
- تحت البراقع سم ناقع.

ويسخر المثل المصري من المتعاجب بجماله ... ومـن يدعي التفرد، ومن المغرورات بوجه عام، وتقول الأمثال في ذلك:

- يعني اللي خلقك ما خلقش غيرك ؟!!.
- يعني بضاعة والناس عليها جواعة ؟!
- خرطها الخراط واتمدد مات (أو اتدقلج مات).
- التخن على الجميز ( لمـن تتعاجـب بسـمنتها ... وقد كانت صفة جميلة فيما مضي).
- عايقة ومتضايقة !!.

وبقدر ما يحب المصري الجمال ويعشقه، ويـراه فـي أمور كثيرة غير الجمال المادي ... بقدر مـا يكـره القـبح

ويرفضه، ويرفض أي شيء منه ولو كان خيرا أو شهدا ... وبل ويرى في القبح فألا سيئًا ... ويعبر عن ذلك بعدة أساليب تقول:

- الكوع مدبب والوش مهبب، واللـي يشـوفها لا يبيع ولا يتسبب !!.
- وشها ( أو وشه ) يقطع الخميرة مـن البيـت ( أي يقطع الرزق من القبح والنحس).
- يغور الشهد من وش القرد.
- عمشة وعرجة وكيعانها خارجة!
- لا كسم ولا رسم !!
- احترت يا بخرة أبوسك منين.
- زي القنفذ لا تنباس ولا تنحضن.

ويستدرك المثل الشعبي ... ليقـول أن اللـبس أحيانًـا يضفي جمالاً ... بل ويبدل الحال فيقول ... وإن بـدا القـول أحيانًا سخرية:

- لبس البوصة تبقى عروسة.
- لبس الخنفسة تبقى ست النسا!!.
- لبس الخشبة تبقى عجبة.

وتتفرع عن رؤية المصري للجمال في المرأة ... رؤيته " للسمار والبياض" كعنصر يحدد وضع المرأة بين الجميلات أو القبيحات ... ورغم أن السمرة هي الأصل في المصري... نجد أمثاله تحبذ البياض، وتسخر مـن السـمار ولا تعتبـره جمالاً في حد ذاته – إلا مـن بـاب جبـر الخـاطر – أو الاستدارك ... ولعل ذلك بسبب طـول وجـود الاسـتعمار الأوربي في مصر ... ونظرة المصري إلى الغزاة ونسـائهم نظـرة مـن أسـفل إلـى أعلـى ... أشـعرت المصـري بالدونية، وهي آفة من آثار سنوات الذل والقهر ... فكيف يا يكره الإنسان جلدته؟! لعل ذلك جزء من سمة "متناقض" التي يتسم بها المصري – والتي سنتعرض لها فيما بعد – وأيا ما كان الأمر فقد انقسمت الأمثال ما بين وجود البيـاض علـى السمار أو العكس بالقول:

- يا رتني بيضة ولي ضب، أصــل البيــاض عنــد الرجال ينحب.
- يا ريتني بيضة ولي " بربور" أصل البيـاض عنـد الرجال مقبول.

- بدال خطوطك والحمرة امسحي عماصك يا سمرة.
- إن كان بدك تضحك على الأسمر لبسه الأحمر.
- زي البرغوت في اللبن.
- سمرة واوصف وبيضة واقصف ( أي يكفي البياض كصفة للجمال).
- السمار نصف الجمال، والبياض الجمال كله. ( ويكتفي الآن بالنصف الأول).
- سودة يا قهوة ...والقلب وما يهوى ( أي رغم أن السمار ليس ميزة لكنه الحب).
- حبيبك اللي تحبه ولو كان عبد نوبي ( أي أسمر كصفة متدنية أيضا).
- سودة وبنت عبد ودخلتها السبت ( أو الحد يوم أفراح اليهود والنصارى من الجميلات).

أما عن الأمثال التي تذم البياض وتنفر منه فتقول:

- السمرة بلحة حمرة ... والبيضة جير في الحيطة ...

- البيضة زي الدهنة الجامدة فـي الشـوربة البـاردة (فالبياض مقرون عند المصري بثقل الظل).
- ما تلتقيش البيضة إلا في الخـم المعفـش ( رغـم اعتبار البيضة جميلة).
- زي أبو قردان أبيض وعفش.

ورغم التهافت الواضح على البياض واعتباره جمـالاً في حد ذاته في مقابل الاستدارك القليل ( ٥٠ %) لمـــدح السمار ... رغم ذلك يعترف المصري في أمثاله بأن الأصالة في السمار فيقول:

- السمار منـا ... والبيـاض يعرنـا ( أي عنصـر دخيل).

هذا ويعترف المصري بعدم وجود جمال كامل أو كمال مطلق ... فيقول عن " النقص والكمال".

- كل بير وقدامه نقاعة.
- ملقوش في الورد عيب قالوا ... أحمر الخدين ...
- الكمال وحده ( ما كامل إلا ا ).
- كل بلد وفيها كفوها...

- اللي بيته قزاز ما يرميش النـاس بـالطوب ( فـلا أحد كاملاً ).
- يدي الحلق للي بـلا ودان ... ويـدي الفـول للـي بلا سنان.

– وينتقل المثل المعبر عن طبيعة المصري " الفنـان " العاشق للجمال والكمال ... إلى تنـاول أمـر آخـر متعلـق بالفن، وهو الإتقان أو ما نسميه "الشطارة والمهارة" ويقـرر في هذا الصدد قدرته على الإبداع في أي ظروف ووفقًا لأي ملابسات ... إذا ما توافرت ما يحفزه على الخلق والفن وإذا لم يتوافر ... فالمصري ماهر بطبعه ... يجتهد في عملـه – أو هكذا كان – ويؤمن بأنه لابد محقق مـا يطمـح لـه ... وكنموذج لهذا المعنى يقول:

- الشاطرة تغزل برجل حمار.
- يعمل من الفسيخ شربات ( رغم استحالة ذلك).
- يعمل من الجلة كراملة.
- لكل مجتهد نصيب ( عربي متداول).
- تبديل جحس بجحش صنعة ( أي كـل مهنـة فـن حتى المهن الدنيا)...

وعن السخرية ممن لا يتقنون عملهـم ... وهـم غيـر المهرة أو غير الفنانين تقول الأمثال :

– قالوا "أبو فصـادة بـيعجن القشـطة برجليـه ... قال: كان يبان على عراقيبه ( تقـال لمـن يـدعي الإتقان والمهارة).
– قالوا : للجمل زمر ... قال يا ريت، لا صـ ـوابعي مبرومة ولا شفايفي مضـمومة ( أي قلـة مواهـب واستعدادات طبيعية).
– قالوا للدبة طرزي، قالت : دي خفة أيادي.
- عايبة بتعلم في خايبة الاتنين نايبة.
– عامية تحف مجنونة، وتقول لهـا حواجبـك سـور ومقرونة.
– ما كل من نفخ طبخ ... ولا كل من طبخ نفخ.
- ما كل من صف الصواني قال: أنا حلواني.
– ما كل من ركب الحصان خيال.
– جه يكحلها عماها ( لقلة مهارته)...
– بيغرق في شبرماية ( لعدم إتقانه صنعته).
– خيبة الأمل راكبة جمل!!.

- صاحب بالين كداب وصاحب تلاتة منافق ( دعـوة للتركيز في العمل لإتقانه).
- الشاطر اللي يضحك في الآخر ( تقال فـي الصـبر على الصنعة لمن يكسر مقاديف صاحبها).

ورغم إيمان المصري بأهمية الإتقـان أو المهـارة أو الشطارة فإنه يرى أن " لكل حصان كبوة" وأحيانًا ما يقع إلا الشاطر !... ويقال له " كان غيرك أشـطر " ولـذلك تقـول الأمثلة المتحدثة عن الفشل والنجاح ...

- باب النجار مخلع.
- ما يموت على السد إلا قليل الفلاحة ( أي الخايب).
- إن فلح ( العلق ) كان فلح في نفسه.
- خايب وخايب ظله!

وترجــع الأمثــال الفشــل أحيانًــا لقلــة المهــارة أو " الخيابة "، كما ترجعها أحيانًا لسـوء التقـدير وتعليـق الأمور على الغيب، والتمني مع القعود عن السعي، كمـــا ترجع النجاح أحيانًا إلى تساهيل ربنا ... وتيسـيره للأمـور لبعض الناس ... حتى وإن كانوا غيـر مهـرة ... وللبخـت والحظ – كما سبق أن نوهنا – وكنموذج لذلك الأمثال القائلة:

- اركب الديك ... وأنظر فين يوديك!
- من حبه ربه جابه له حبيبه عنـده ( أي يسـر لـه الأمور).
- الحظ لما يأتي يخلي الأعمى سعاتي.
- بتيجي مع العمـي طابـات ( ويقـال بتيجـي مـع الهبل دوبل كقول مستحدث).
- زرعت شجرة لو كان وسقيتها بماية يا ربت،
طرحت ما يجيش منه.

أما عن المصري الفنان الماهر، المتأمـــل فـــي الطبيعة، والدارس لها ولتصاريفها، والمخطط لأموره علـى ضوء ما درس وتعلم ... فتتضح صورته هذه مـن الأمثـال التي تناولت " الجو والطبيعة" والشهور القبطيـة والأيـام ... وعلاقة ذلك بفلاحته لأرضه ... وإنتاجه لمحصول جيد وفير ... ولذلك نستعرض معا حكمة المصري من خـلال أمثالـه المتعلقة بالشهور، والقائلة:

- كياك صباحك مساك، تقـوم مـن النـوم تحضـر عشاك ( ليله طويل).
- في توت ري ولا تفوت ( أي ري الغيطان).

- بابه يخضر اللبلابه (خضرة الزرع).
- هاتور أبو الدهب المنثور ( أي بذر القمح).
- طوبة تخلي الصبية عجـوزة والعجـوزة كركوبـة لشدة البرود.
- أمشير أبو الزعابيب الكتير ( للتحسب من الزوابع).
- في برمهات روح الغـيط وهـات ( موسـم جنـي الثمار).
- برمودة فيه الدق بالعامودة ( دق القمح).
- بشنس يكنس فـي الغـيط كـنس ( موسـم جمـع المحاصيل).
- هوونا من حر بئونة لشدة الحرارة.
- أبيب يخلي العنب يطيب.
- في مسرى المية جارية ومش عسرة ( لأنـه كـان موسم الفيضان).

ومن تأمل المصري للجو والطبيعة اسـتخلص حكمـا وأمثالاً تخدمه في عمله ... وتحقق له النجاح ... ومن تأملـه أيضا استخرج أقوالاً تفيده في حياته وفي مواجهة تصـاريف الجو ... وتعكس أيضا حبه للانطلاق. وكرهه للشتاء وبـرده

ولياليه الطويلة، التي يدخل فيها المصري بيته ويقفل عليه داره ... وتقول هذه الأمثال الحكيمة ...

- بابه خش واقفل البوابة.
- الدفا عفا، والبرد لحاس القفا.
- زي يوم الشتا قصير ونكد. ويضرب أيضا لوصف إنسان سيئ.
- أبرد من مية طوبة.
- زي ليالي الشتا طويلة وباردة ( يقال للإنسان البارد ثقيل الظل).
- الاسم لطوبة والفعل لأمشير.
- حصيرة الصيف واسعة مرحبا بسمر الليالي ومبيت الضيوف.
- هوا الصيف أحد من السيف فقد يصيب بمرض ...
- النهار له عينين (تؤجل السعي إلى النهار).
- زي مطر بئونة ( أي نادر الحدوث لأنه صيف حار).

هذا ونجد المصري الفنان عاشقًا للحرية وفي نفس الوقت نجده مقدرا للمسئولية، ولذلك تحث الأمثال على ترك

كل امرئ في حاله ... وعدم التدخل في شئونه – وهو ما أكدنا عليه سلفًا في تناولنا لأدب المصري وكراهيته للتدخل في أمور الغير، أو فيما لا يعنيه ... وبقدر ما يمنح المثل المصري من حرية بقدر ما يحمله مسئولية اختياره ... وعن " الحرية والمسئولية " قالت الأمثال:

- قال أقرع بياكل حلاوة !! قال : بفلوسه ( فهو حر).
- واحد شايل دقنه والتاني تعبان ليه.
- نملة قرصت ... ! [*] ما قطعت إلا بنفسها (يقال سخرية ممن تجعلهم الحرية يؤذون أنفسهم).
- كل واحد ينام على الجنب اللي يريحه ...
- كل واحد معلق من عرقوبه أو كل شاه معلقة ... ويعني أنه سيتحمل نتيجة عمله...
- كل واحد ذنبه على جنبه.
- اللي يأكل على ضرسه ينفع نفسه.
- عقلك في راسك تعرف خلاصك ( أي اختار على مسئوليتك).
- اللي يشيل قربة مخرومة تنز على ظهره.

---

[*] لفظ معادل لعضو التأنيث بالعامية المصرية.

- اللي يشيل قفه مخرومة تخر على دماغه.
- الحبل على الجرارة ( أي على مسئولية المراكبية أو من يجرون المركب).
- الحبس ذل ولو في جنينـه ( فالحريـة أثمـن مـن الترف).
- هو أنا خلفتك ونسيتك ( رفض للمسـئولية وتحلـل منها).
- السلطان من بعـد عـن السـلطان ( كـي تكسـب حريتك وتكون سيد نفسك).

من كل ما سبق ( ١٤ مثلاً ) يتضح لنا عشق المصري للحرية دون منازع ودون وجهة نظـر أخـرى ... وإن ورد مثل واحد يقيد إلى حد ما الحرية بنظرة الناس والرغبة فـي الحصول على رضاهم أو إعجابهم ويعطي حرية في المأكل فقط ويقول:

- كل ما يعجبك والبس ما يعجب الناس.

وهو الآن قول مرفوض من المصريين ... فهم يعشقون الحرية في كل شيء ... وإن ظلوا كوجه من أوجه "التناقض" المصري ، ينتقدون بعضهم البعض في كثير من الأمور،

خاصة فيما يتعلق بالذوق العام أو اللبس ... ولكن هربا من ذلك يقول المثل.

- البلد اللي محدش يعرفك فيها... شلح واجري فيها (أي أنت حر فيها).

هذا ويحرص المصري " الفنان " على التعلم ويضع له قواعده ويحترم المعلم ... ويضع ترتيبا لمن يعلم من ؟... ويتعجب ممن يتفوقون على معلميهم ... وإن رأى في حكمة المجربين ما هو أفيد أحيانًا أكثر من عمل الأطباء ... بينما يسخر ممن يفتون دون علم ... ويرى أن المرء يجب أن يظل يتعلم طوال حياته ... وإن انقسمت رؤيته حول ذلك ... وعوضا عن الاسترسال نحلل هذه الأمثال كلاً وفق مضربه... فعن تقدير المثل للخبرة والتجربة تقول الأمثال:

- اسأل مجرب ولا تسأل طبيب.
- اللي إيده في المية مش زي اللي ايده في النار ( أي المجرب ) ...
- اللي يعيش يا ما يتعلم ( الخبرة).
- الصلا أخير من النوم ... قال : جربنا ده وجربنا ده ( أي لنا خبرة وإن كان في ذلك تحامق مصري).

- التعليم في الصغر كـالنقش علـى الحجـر (مهـم لتكوين خبرة طويلة وهو مثـل لا يقولـه إلا فنـان نحات).

وعن تكوين الخبرة بالتكرار كقاعدة تعليمية تربوية تقول الأمثال المصرية:

- كتر التكرار يعلم الحمار ( أو الشطار).
- كتر الحزن يعلم البكا ( بالتكرار وكثرة النوح أيضا).
- في الإعادة إفادة ( كل إعادة فيها إفادة).
- كتر التنخيس يعلم الحمير التقميص ( قاعدة تربويـة حول كثرة التأنيب).
- كتر النخس يعلم الحمير الرفس.

ومع ذلك يدعو المثـل لليـأس مـن تعلـيم الجهـلاء والأغبياء، ويحذر من ذلك فيقول:

- مهما تعلم في المتبلم يصبح ناسـي ( تبـات تعلـم في المتبلم ... ).
- بتقرا مزاميرك على مين يا داود؟! ( أي أنهـ ـ ـ ـم جهلاء لا فائدة من تعليمهم).
- ينقرا في سورة عبس !! ( أي لا فائدة).

- بيدن في مالطا ! ( فلا أحد يفهم).
- ولا حياة فيمن تنادي في نفس المعنى.
- من نصح جاهل عاداه.
- ايش عرف الحمير بأكل الجنزبيل.
- إيش فهم الفلاح في أكـل التفـاح (كعـادة لا تعلـم على كبر).
- بعد ما شاب ودوه الكتاب !! ( سخرية واستنكار من التعلم على كبر).

وعن إعلاء قيمة العلم بشكل مطلق كمرشد للبشر تقول الأمثال:

- العلم نور والجهل ظلام.
- اللي يسأل ما يتوهش ( ما خاب من استشار).
- النصيحة جمل ( أي قيمة كبيرة ).
- العلم بالشيء ولا الجهل به ( فالعلم ضرورة وفائدة).
- اللي تعرفه أحسن مـن اللـي متعرفـوش ( تقـال أيضا في الإحجام عن خوض التجارب).
- اتعلـم السـحر ... ولا تعملهـوش ( لابـد مـن الإلمام والمعرفة وإن لم نستخدمها لضررها).

وعن أساليب التعلم بالتقليد والمحاكاة، وبالتأســـــي بالأساتذة والمعلمين أو المشايخ، تقول الأمثال عمن نأخذ عنه العلم ... وضرورة أن يكون أكبر منا:

- كل شيخ وله طريقة.
- أكبر منك بيوم يعرف عنك بسنة ( هنا ربـط بـين الخبرة والعلم).
- هو جحا أكبر ولا ابنه ( تقـال أيضـا للأبنـاء إذا أرادوا استغفال آبائهم).
- البدرية هاتعلم أمها الرعية !!
- على بابا يا ماما ؟!! ( تقــال كشــقًا للملاعيــب الساذجة).
- اربط الحمار جنب رفيقـه ... إن مـا تعلـم مـن شهيقه يتعلم من نهيقه ( كمحاكاة).
- اللي فيه عين وراس، يعمــل زي مــا بتعمــل الناس . ( عن التعلم بالمحاكاة).
- علمناهم الشـحاته سـبقونا علـى الأبـواب ( فـي تفوق طالب العلم على معلمه).

وعن امتداد فترة طلب العلم على امتداد العمـر تقـول الأمثال:

- اطلبو العلـم مـن المهـد إلـى اللحـد ( حـديث متداول).

هذا ويسخر المثل المصري من الجهلاء، ويصورهم في أبشع صور ... ويصورهم وكأنهم لا يفقهون شيئًا بالمرة ... فهم في حيرة ... حتى من أمرهم، فيقول عنهم:

- اللي ميعرفش يقول عدس !
- ما يعرف السما من العما.
- ما يعرف طظ من سبحان ا .
- ما يعرف راسه من رجليه.
- ما يعرف الألف من كوز الذرة.
- طور ا في برسيمه.
- غشيم ومتعافي.
- بيتعلم الحجامة في روس اليتامى.
- هبلة ومسكوها طبلة.
- كله عند العرب صابون ( لجهلهم).

- لا له في الطور ولا في الطحين ( لأنه جاهل فلا يستطيع أن يكون له موقف).
- إيش جاب طوخ في مليج ؟! ( أي ما هذا الخلط والجهل).
- أول القصيدة كفر! ( أي جهل إلي حد الكفر).

هذا ويعتز المصري بعلمه وبقدره ... ويستاء من جهل الناس بقدراته، وهو يستكثر على الجهلاء الفتوى ... أو أن تأتي الفتوى من غير ذي علم، ويرى أن من الأصوب عدم التطوع بالفتوى، وتركها لأهلها، وفي ذلك تقول الأمثال:

- من قال لا أعرف فقد أفتى ( عربي متداول).
- قوله معرفش تريح ( رغم أن في ذلك سلبية وتنصل من إبداء الرأي أو الشهادة).
- اللي ما يعرفك يجهلك.
- البلد دي حلة وأنا مغرفتها ( أي أعلم بكل شيء فيها).
- العلم في الراس مش في الكراس.
- أدي العيش لخبازه ولو ياكل نصه ( نظرية اقتصادية تحبذ قيمة العلم وربطه بالعمل).

- العارف لا يعرف ( يقال أيضا، أنت عارف والعارف لا يعرف).

ويقول المثـل المصـري إن المحـك الحقيقـي للعالـم والمتعلمين هو الاختبار:

- عند الامتحان يكرم المرء ... أو يهان.

هذا ويتطوع المصري للتعليم فيقول : " أعلمك وآكـل من بيتنا" أي دون أجر، ويرتبط العلم بالعقل... وإن كنـ ـ ـا سنصدم من تحامق المثل المصري في هذا الصدد إذ تـرى الأمثال أن :

- المجانين في نعيم!
- أصحاب العقول في راحة!(أي أصـ ـحاب العقـ ـول الخربة).
- استراح من لا عقل له ( مـ ن أقـ وال عمـ رو بـ ن العاص فاتح مصر).

ونجد مثلاً واحدا يقول إن :

- العقل زينة.

ومن خلاصة ما تقدم نستطيع رؤية المثـ ل المصـ ري لقيمة الجمال والعلم والخبرة ... وطاعة العلماء واستشـ ارة

المجربين، وقيمة العقل بوصفه زينة الإنسان التي ميـزه ا بها ... وقيمة الدأب والمهارة أو الشطارة ... وكل هذه الأمور استخدمها المصري في إبداعه وخلقه ... فصنعت منه "الفنان" الذي لا يختلف عليه اثنان، وستتأكد قيمة كـل ذلـك حينمـا نستعرض قيمة العمل لدى المصري، وتقديسه له.

هذا ولابد من الإشارة هنا إلى أن الفرد المصري رغـم إيمانه بالعم كقيمة، يميل إلى تفضيل التجربة الفرديـة التـي تصله من خلال الاتصال الشخصي؛ باعتبارها خبرة حقيقيـة وواقعية، يعرف صاحبها مباشرة فيصدقه، وقـد أجـرت د. فاطمة المصري استبيانًا حول المثل القائل: " اسأل مجرب ولا تسأل طبيب " فوافق عليه ٦٠% من العينة، ورفضـه ٤٠% فقط، كما ترى د. فاطمة أن المصري الذي "اشـتهر بوجدانياته ومشاعره الفياضة، شعب فنان منذ أقدم العصور" ورغم التدين وما يصاحبه من نواهٍ وأوامر قد تخلق لونا من القلق والتوتر والصراع ... فالمصري يجد " متنفسـا لتلـك الاضطرابات الانفعالية العنيفة" فإذا الفنون الشعبية هي أحـد

المتنفسات التي تساعد على تصريف الصراع ورفع رصيد الإحباط" [1].

وبهذا المعنى كان الفن متنفسا للمصري المقهور ... وضرورة للاستعلاء على عوامل القهر ... تميز بها – وما زال – على البشر والشعوب المحيطة.. من لم يستطيعوا أن يبدعوا فنًا يماثل ما أبدع في كل مجالات الفنون والآداب.

---

(1) د . فاطمة المصري ، الشخصية المصرية ، ص ١٣٩ – ١٤٠ .

# المصري "ذكي حكيم"

المصري يقر له كثر من الباحثين بالذكاء والفطنـة ... وإن اختلفوا في تفسير معنى الذكاء المصري، فهل هو لـون من " الفهلوة " والشطارة! للتخاص من المأزق بذكاء؟ أم هو الفهم اللماح السريع؟ أم حكمة الملاينة والمداهنة، والمهادنـة إلى حين الوثوب في الوقت المناسب؟ أم هو مكـر وخبـث ودهاء الفلاح المصري الفطري، المعجز عن الفهم، والمحير؟ والذي يتناقض مع طيبته وسذاجته الشهيرة.

وأيا ما كان تفسير معنى الذكاء المصري ... فهو مـن السمات التي تحسب له، فهو يتأمل ويعمل الفكر ... ويغلـب مصـلحته – فـي الأغلـب الأعـم – وقـد تبـدو سـمة "ذكي" لأول وهلة غير واضحة للعيان ... فيتصور الـبعض أنه مستذل مستضعف، أو أنه عفوي ساذج، يفرط في حقه ... لكن المراقب ما يلبث أن يتبين مدى حكمة المصري وذكائه، فهو يصل لهدفه بالعمل وليس بالتمني، وهو يتحسـب مـن العقاب ومن الجزاء، وهو يستقري التاريخ ودروسه وعبـره ويستفيد منها، ومن حكمة السنين، ومن أحوال من سبقوه؛ ولذلك يؤمن بالأمثال ويعمل بها؛ بوصفها خلاصة الحكمـة

والخبرة ... والمصري ذكي وحكيم لأنه يحسن تقدير الأمور، وحساب العواقب، فيطاطئ – كما أسلفنا – حينما يكون لذلك ضرورة ... ويواجه فيحسم الأمور في الوقت المناسـب لـه ولمصلحته ... فهو يعرف متى يتأنى ومتى يتعجل ... وهـو يحسن تقدير الاستحالة ... ويدرك أنه إذا اسـتحالت الأمـور يجب ألا " يخبط راسه في الحيط " ... فهـو بذكائـه يفـرق ويقدر الاستحالة والإمكانية ... ومتـى تكـون كـل واحـدة منهما... وهذا في حد ذاته يعتبر لونًا من الذكاء ... ناهيك عن الذكاء الاجتماعي الذي يميز الشعب المصري ... رغم فرديته وتحسبه لذاته، واعتزازه بها ... بل وتفضيله لنفسه أحيانًا ... وغروره بها.

وقد أطلق المصري الكثير من الأمثال التي تعبر عـن ذكائه بكل ألوانه ... بل إن المثل الشعبي نفسه بما تضمنه من صور بلاغية لماحة ... وصياغة محكمة وتفضـيل لأمـور على أخرى ... وما يحويه من حكمة مقطرة لهو دليل علـى ذكاء المصري ... ولعل توصيفه للذكاء و "الفهلوة" أكبر دليل على ذكائه ... إذ يشبه الإنسان الذكي بمن:

- يطلع زي الشعرة من العجين.

- فص ملح وداب (بعد أن فعل ما فعل).
- يوديه البحر ويرجعه عطشان.
- ينزل البحر ولا يتبلش.
- يفهمها وهي طايرة.
- الكتكوت الفصيح من البيضـة يصـيح ( أي ذكـي منذ صغره).
- زي المنشار طالع واكـل نـاز واكـل ( لا يضـيع فرصة دون استفادة).

هذا ويرى المصري أن الذكي هو من يمارس سياسـة "شيلني واشيلك" و "يا بخت من نفع واستنفع " و "الشاطر اللي يطاطي للريح" والشاطر هنا بمعنى الذكي ... ويرسم المثـل الطريق لهؤلاء فيقول:

- بدل ما تحلها بأسنانك حلها بإيدك.
- فرق شمله يخف حمله.
- سفيهك داريه واعمل كحكك ناعم واديه.
- فتح عينك تاكل ملبن ( هـي أصـلاً مـن أقـوال الموالد).

فالمصري الذكي كما يقال : "لحمه مر". فـ " مش كـل الطير اللي يتاكل لحمه" ... والمصري الذي يعتقد البعض أنه من السذاجة بحيث يمكن أن يؤكل لحمـه ... يلفـت نظـر الآخرين إلى أن السذاجة والطيبة ليست سمة للجميع، ويستنكر هذه النظرة له ... والمصري الذكي هو من يحسـم الأمور ... ويواجه، وهو من قال عنه المثل :

- يقطع المياة من فوق ( أي من المنبع أو البداية).
- يقطع العرق ويسيح دمه ( بحسم).
- قطعه ولا نحته.
- علي وعلى أعدائي يا رب.
- حط راسك مطرح ما تحط رجليك.
- في وشه ولا تغشه ( أو بدل مـا تغشـه قـول لـه في وشه ).
- على عينك يا تاجر ( أي بصراحة).
- خدوهم بالسوط لا يغلبوكم.
- اتغـدى بـه قبـل مـا يتعشـى بيـك( أي بـادر بالمواجهة).
- اللي تعرف ديته اقتله.

- اللي يتف تفه ما يلحسهاش ( أى لا يتراجع).
- عيش يوم ديك ولا ١٠٠ يوم فرخة.

والمصري الذكي الحكيم يقدر قيمه الوقت، ويعرف متى يصبر وينتظر، ومتى يثب ويواجه ... ولكـن لـه فلسـفته الخاصة في التعجل والتأني، وهو بأسلوبه الساخر يتهكم على من يضيعون الوقت – وبالتالي يضيعون الفـرص – وهـو يسخر ممن يؤدون العمل بعد فـوات أوانـه ... أو يـؤدون الواجب بعد انقضاء موعده، وفي ذلك تقول الأمثال :

- قال : عملوك مسحر، قال: فرغ رمضان.
- بعد العيد ما يتفتلش كحك.
- بعد سنة وست أشهر جاية المعددة تشـخر – اللـي ما يبكي على في الحي وأنا سـامعه ... بعـد مـا أموت يوفر مدامعه.
- يا معزي بعد سنة يا مجدد الأحزان.
- على ما ييجي الترياق من العراق. يكـون العليـل مات.
- موت يا حمار على ما ييجي العليق.
- على ماتتكحل العمشة يكون السوق خرب.

- كل وقت وله أدان ( مناسب له).
- كل شيء بأوان.
- زي شخاخ الجمـال تمالـي ورا ( تقـال للشـخص المتأخر دائما).
- لو كان ده الطهي على ده النهي، لا رمضـــــان خالص، ولا العيد جي.
- يوم الحكومة بسنة ( أو يومه بسنة ... أي بطيء).
- فتلة العويلة ممطوطة وطويلة.
- طول الفتلة يضيع الإبرة.
- الفاضي يعمل قاضي.
- اللي مش لاقي شغلة تشغله يقطـع بتاعـه، ويقعـد يوصله ( قمة السخرية من المتعطلين).
- تعالوا في دي الزحمة نطاهر القليط الأعمى ( أي في الوقت غير المناسب).
- وادي قاعدة ... راح النهار يا سـعده ( أي يضـيع النهار الذي يبدأ بالركود).

وإذا كانت الأمثال تسخر بهذا الكم ( ١٦ مثلاً ) ممـن ينجزون الأمر بعد فوات أوانه ... وتتهكم على المتعطلين ...

ومن يمطون في تنفيذ أو إنجاز أعمالهم ... بما يـؤدي فـي النهاية للمرض والموت والضياع والخراب – على حد مـا روي في الأمثال من تعبيرات – ناهيك عن الصور المزرية التي يصور بها المثل من لا يقدرون قيمة الوقت، والإنجــاز في الوقت المناسب، ويتأخرون عنه، فإن الأمثال تسخر أيضا ممن يستعدون للأمر قبل حدوثه، فتأتي مواقفهم ومشـاعرهم وتصرفاتهم سابقة لأوانها ... وتبدو مدعاة للسخرية والـتهكم أيضا ... وفي ذلك قالت الأمثال :

- قبل ما تحبل حضرت الكمون، وقبــل مــا تولــد سمته مأمون.
- قبل ما يبني الجامع اترصت العميان.
- ها تفرح قبل الهنا بسنة ؟!
- خلـي البكـا علـى راس الميـت ( أي لا تسـبق الأحداث).

ويبدو من النسبة بين الأمثال الساخرة من كلا الطرفين ( ١٦ : ٤ ) أن الغالبية العظمى من الشعب المصري لا تقدر قيمة الوقت، فتأتي دائما متأخرة، وأن النسـبة الأقـل لمـن يبالغون في تقدير الوقت، فيقلبون على الأمور قبل أوانها ...

ولذلك يحث المثل الشعبي المصريين على التقـدير الـدقيق للوقت، والإنجـــــــاز فـــــــي الوقـــــــت المناسب، ويوصف ذلك الاختلاف في مثل يقول:

- العصفور بيتفلى، والصــياد بيتقلــى ( نظــرا لاختلاف قيمة الوقت لدى كل منهما).

أما عن الحث على الإنجاز وقيمة الوقت فتقـول عنـه الأمثال بشكل مباشر.

- احييني النهاردة وموتني بكره ( أي انجز لـي مـا أريد النهاردة قبل بكره).
- اديني اليوم صوف وخد بكره خروف.
- الوقت من ذهب ( عربي متداول).
- الوقت كالسيف إن لـم تقطعـه قطعـك ( عربـي متداول)...
- لا تؤجل عمل اليوم إلى الغد (عربي متداول).

هذا ويرتبط بتقدير الوقت ودقته كشـكل مـن أشـكال الحكمة، موضوع آخر لا يقل عن أهميتـه وهـو "التعجـل والتأني" ... ونظرة المصري لهما، وتفضيله لأحدهما علـى

الآخر؛ كما يتضح من الأمثال الشعبية القائلة في التعجل وضرورته:

- خير البر عاجله.
- أطرق الحديد وهو ساخن.
- حلاوتها في حموتها.
- اللي سبق أكل النبق.
- كون في أول السوق يا جحا ... ولو بقص اللحى ( دعوة للتسابق).

هذه فقط الأمثال التي تحث على العجلة بشكل مباشر، وتحض عليها في مقابل كم من الأمثال ترى فيها الندامة، وترى أنها من الشيطان، وتسخر أيضا من المتعجلين، كما سلف ذكره، وكما سيتضح من بعض الأمثال التي تناولت التأني، والقائلة :

- العجلة من الشيطان.
- في التأني السلامة وفي العجلة الندامة.
- بيخطف الكبيبة من راس الحلة ( أي دون تروٍ يقتحم).
- هي الدنيا طارت؟!! ( تعبير يقال للمتعجل).

- الدنيا اتخلقت في ستة أيام ( تقـال للمتعجـل كـي يصبر).
- قال يا مستعجل عطلك ا ( أي كله بأمر ا ).
- امشي سنة ولا تخطي قنا.
- كل تأخيرة وفيها خيرة.

ومما سبق يتضح بجلاء حكمة المصري، الـذي يـرى الخير والسلامة، وعدم الوقوع في الخطأ مرتبطـًـا بالتـأني وعدم العجلة ... وهو أمر يرتبط ارتباطًا طرديا بما عـرف عن المصري من الصبر والأناة ... فالمصري "صبور" لأنه "متدين" – كسمة فرعية – وهو "صبور" لأنه "حكيم وذكـي" يقدر الأمور – كسمة فرعية أخرى تحتم عليه التـأني فـي أموره.

ومن فرط ذكاء المصري وحنكته ؛ يضــع أولويــات لبعض الأمور، التي يبدي فيه نفسه، ومصلحته على مصلحة الغير، بشكل قد يوحي أحيانًا بأنه قد تخلى تماماعـن سـمة أصيلة فيه وهي : التعاون والأثرة ... والبعد عـن الأنانيـة والغــرور ... بأســلوب قــد يبــدو للــبعض وكأنــه

تذاكي، يصل إلى حد التحامق – المشهور في فترات القهر – ومما قيل في هذا الصدد من أمثال.

- شيل بتاعك علشان أحط بتاعي، لحسن بتاعي، مستعجل!!.
- أنا ثم الطوفان ( عربي متداول).
- من بعد راسي ما طلعت الشمس.
- إن جاك الطوفان حط ولدك تحت رجليك.
- يا روح ما بعدك روح.
- كل واحد بيقول، يا نفسي ( أو كل واحـد بيـدور على حاله).
- قالوا ، إمتى تقوم القيامة يا جحا؟ قال لما أموت أنـا (فردية).
- شعرة من خنزير خير منه (استغلال).
- ما عاش مالي بعد حالي ( إذا مت ظمآن فـلا نـزل القطر).
- عض قلبي ولا تعض رغيفي.
- احبك يا سواري ... زي زندي لا ( أولويات تعكس الحكمة).

- فؤادي ولا ولادي.

ورغم ما تبدو من " غرور وأنانية" واضحة في الأمثال السابقة ... فإن المثل المصري يستدرك فيقول:

- من حب نفسه كرهته الناس.
- شاكر نفسه إبليس.
- كلاب ولقي عضمة (أو مسك عضمة)
- حبيب ماله ... حبيب ما له ( أي من يحب ماله لا يحبه أحد).

ومن حكمة المصري وفطنته حسن تقديره لـ "الاستحالة" ... وعدم الإمكانية، وسخريته ممن لا يستطيعون ذلك ... وممن يقدرون ذاتهم بأكثر من قدرتها ومقدرتها ... وفي ذلك تقول الأمثال :

- نقول ، تور ... يقول ... احلبوه !
- زي اللي بيدور على إبرة في كوم قش!
- عشم إبليس في الجنة!
- يعني هو البحر ها يجري مقبل ؟ ( ذلك لأن النيل يجري شمالاً ).
- من رابع المستحيلات.

- يعني اضرب الأرض تطلع بطيخ؟!
- في المشمش ( أي مستحيل أن يحدث).
- الرك على جمع الشمل ( وأصله، إن طلتهـــــــا اقطع ازارها، قال، ركك على لم الشمل).
- الرك على القبض.
- لما يشوف حلمة ودنه.
- لما يجيب الحبق، والنبق، وشوشة أمه، وأبــــــوه في الطبق.
- لما يشيب ويتحني، وعروق " صرمه " تنتني.
- لما يحلف على المايه تجمد والنـار تهمـد ( يقـال عن استحالة أن يصدق الكذاب).
- اللي راح راح يا قلبي ( أي مستحيل أن يعود).
- اللي انكسر عمره ما يتصـلح ( أو مـا يتصـلحش ... ويقال عكسه في معرض الصلح).
- كلمة يا ريت مـا عمـرت ولا بيـت ( أو عمرهـا ما تعمر بيت).
- زرعـت شـجرة لـو كـان ... ورويتهـا بمايـة يا ريت طرحت ميجيش منه.

واستكمالاً لتقدير المصري للاستحالة ... وضرورة البعد عن التمني و " قوله يا ريت " ولو كان " وعدم توقع عودة ما فات، والاكتفاء بالاستفادة منه كدرس أو عبرة، والاكتفاء بالتحسب لما هو آت، عن كل ذلك قالت الأمثال:

- تتفكروا تتعكروا ( أي لا فائدة من الفكر سوى الكدر).
- العايد في الفايت نقصان من العمر.
- هو الإنسان عقله دفتر ( محاولة للتناسي).
- راحت السكرة، وجت الفكرة.
- أن كنتوا نسيتوا اللي جرى هاتوا الدفاتر تنقرى ( لنتعظ ونتذاكر).
- العبد في التفكير، والرب في التدبر ( حكمة الإيمان والاتكال).

ومن حكمة المصري إيمانه الراسخ بأن لكل فعل رد فعل، وأن " الجزاء " – خيرا أو شرا – هو من صنع أيدينا، وإن كل المقدمات – بالعقل – تستتبعها توال من جنسها –

ومن غير المعقول أن يأتي شيء من نقيضه ... فإن ا   يجيز كل امرئ بما عمل شرا أو خيرا، وفي ذلك قالت الأمثال:

- الجزاء من جنس العمل ( عربي متداول).
- ميتعماش كيس حرير من ودن خنزير ( بالمعقولية).
- ميطلعش العلو إلا اللي معاه سلم ( بالإمكانيات).
- مكتوب على ورق الخيار، من سهر الليل نام النهار ( بالضرورة).
- من رش دش ( أو ماحش إلا من رش).
- من يزرع شيء يضمه.
- أملأ ايدك ورش تملاها قش ( أي من جد وجد).
- من دق الباب سمع الجواب.
- من قدم السبت يلقى الحد قدامه.
- الحاوي ما يمتش إلا بالتعبان.
- دجاجة حفرت على رأسها عفرت ( مثل سوري متداول).
- إن ربك لبالمرصاد ( عربي متداول).
- يمهل ولا يهمل ( عربي متداول).

- وقع في شر أعماله.
- جهنم مفيهاش مراوح ( بالعقـل، فـلا تفعـل مـا يدخلك فيها)!
- قالوا، يا ما البطيخ كسر جمال، قال : ويـــا مـــا الجمال كسرت بطيخ.

والمصري العاقل الحكيم الذكي ... يقـدر أنـه سـينال جزاءه من جنس عمله، ويؤمن بأن " ا لا يضيع أجر مـن أحسن عملاً " ويقول : " ربنا ما شفناه بالعقل عرفناه" وبنـاء عليه يتصرف بالعقل والحكمة والفطنة والذكاء ... بل ويبالغ كعادته حتى في استخدام ذكائـه ... فيمـا أسـماه الـبعض "الفهلوة المصرية" ... فهو الذكي البسيط في آن معا ... وهو المقدر للعواقب والمسرف المتلاف في آن معا ... وهو الذي وضعت أمثاله الشعبية قواعد راسخة لتعاملاته المادية... التي تعكس حكمة بالغة، وفطنة لا تبارى ... كما سيتضـح ممـا يلي:

فمن ذكاء المصري أن وضع قواعد للتعاملات الماديـة حدد فيها مفهومه " للقيمة والثمن" وتقويمه " للمـال " وأثـره على الآخرين وعليه، أو علـــى وضـــعه الاجتمـــاعي

والاقتصادي، وحدد بأمثاله الشعبية قواعد "البيع والشراء" و"الشراكة" وشروط "التعاقد والاتفاق" وضرورة "السعي على الرزق" رغم إيمانه بأن الرزق من عند ا ... وقدر المثـل قيمة العمل ... واحتراف المهن المختلفة ... واستكمالاً لتقويمه للحياة المادية تناولت الأمثال "التكالـب والتطفـل" و "الشـح والطمع" وفي المقابل "الاستغناء" ... فماذا قالـت عـن كـل ذلــك؟! وهــل ســتؤكد أن المصــري ذلــك الطيــب العاطفي ؟! أم أنه إنسان مادي يغلب قيمة المال ... ويقوم كل شيء بسعره وثمنه ؟! وليس بقيمته المعنوية!!.

قدر المصري للمال حق قدره، وأكد أثره على النـاس وعلى مالكيه ... وكيف يمكنه رفع شأنهم وإعلاء قدرهم !!

فقالت الأمثال:

- الفلوس بتعمي النفوس (وقيـل أيضـا، بتشـتري، وبتغير وبتذل النفوس).
- معاك قرش تسـاوي قـرش ... ممعكـش حاجـة متساويش حاجة.
- معاك مال ابنك ينشال ... ممعكش ابنك يمشي.
- بالفلوس على كل شيء تدوس.

- جيبه مغطي عيبه.
- الراجل عيبه جيبه.
- الاعتبار للمال مش للرجال.
- اللي معهوش ميلزموش.
- الفلوس بتتكلم ( إن الغني طويل الذيل مياس).
- أصلك فلوسك ... وجنسك لبوسك.
- الغني غنوا له.
- شخشخ يتلموا عليك.
- صاحب القرش صياد.
- دراهمي درهموني، وخلو لي في البلد مقدار ... من بعد ما كنت عمر بقيت الحاج عمار ( مثل من شمال إفريقية لكنه متداول).
- المال يجيب المال ... والقمل يجيب الصبان.
- الدراهم مراهم.
- جيب السبع ميخلاش.
- البحر يحب الزيادة.

من الأمثال السابقة ( ١٨ مثلاً ) يبدو المصري وكأنـه مؤمن بقيمة المال، وتقديمـه علـى غيـره مـن القـيم

المعنوية، التي يؤمن بها مثل الأصل ... ولكن من صـياغة هذه الأمثال نستطيع القول: بأن المصري الذي طالما عـانى من الفقر وممن تسيد الأغنياء عليـه ... يقـرر واقعـا بهـذه الأمثال، التي لا تخلو من رنة سخرية وتحسر في آن واحـد ... فإقراره بهذا الواقع الأليم، وهو احترام الناس للمال ومالكه ... لا يمنع أن المصري– أيضا من خلال أمثاله – قـد رأى أن القيمة الحقيقية لا تكمن من امتلاك المال وحده ... ولكـن في العمل الطيب، والسمعة الطيبة، وفي الاسـتمتاع بالمـال وليس مجرد اكتنازه، وأن ضياع المال ليس نهايـة العـالم، فالمال بيروح وييجي، ولن نحمل منه شيئًا معنا في الآخـرة ... وقد عبر عن كل هذه المعاني المناقضة أو الناقـدة لمـا سبق في أمثال أخرى تقول:

- الكفن ما لوش جيوب...
- يغور المال للي ماينزه صاحبه ( أو يلعن المال ...).
- هين قرشك ولا تهنش نفسك.
- اشتري راحتك بالفلوس.
- مال الكنزي للنزهي.
- الصيت ولا الغنى.

- ما تبكيش على اللي ضاع ماله، ابكـي علـى اللـي اتوقف حاله.
- تيوس شايلة فلوس ( سخرية من أصحاب المال).
- المال بيجي ويروح.
- المال والبنون زينة الحيـاة الـدنيا ( قـرآن كـريم صار مثلاً).
- حبيب ماله حبيب ما له ( فالمـال لا يجلـب حـب الناس بل عداءهم).

ويوضح هذا الكم من الأمثـال ( ١١ مـثلاً ) موقـف المصري من المال ، فهو إن كان ليس القيمة العليا ... وتعلوه قيم أخرى كالصيت والعمل الطيب ... إلا أنه يمكن للمرء أن يشتري به راحته ولا يهين نفسه ... بل ينزهها ... وأنه زينة للدنيا مع البنين، وهذه آية قرآنية يؤمن بها المصري، ويجابه بها من يقول بأن : " المال مش كل حاجة" وإن " السعادة مش بالمال".

وتوضيح هذه المعاني بنسبة ( ١٨ : ١١ ) أن المصري يقدر المال ... ولكن كوسيلة وليس كغاية في حد ذاته ... بـل إنه يتحسر على فقره ويسخر من الأغنياء ... خاصة وأنه قد

عانى لفترات طويلة من أن هؤلاء الأغنياء كانوا غالبا من اليهود أو الترك، ولذلك أطلق المثل القائل : "من ماله ولا يهنى له".

هذا وللتعاملات المادية قواعد تتعلق بالإسراف والإنفاق، تتناقض مع بعضها بشكل متواز، فبعضها يدعو لهذا، وبعضها يدعو لذلك كما يتضح كما يلي:

- القرش الأبيض ينفع في اليوم الأسود.
- اللي معاه قرش محيره، يجيب حمام ويطيره ( فهو حر في ماله).
- منحكم في ماله ما ظلم ( يضرب عن الحرية أيضا).
- يا مستكثر الزمن أكثر.
- عصفور في اليد خير من عشرة على الشجرة ( فالمصري لا يأتمن الغد).
- خسارة قريبة ولا مكسب بعيد ( لأن المصري لا يضمن تصاريف الأيام).

وعن تحبيذ الإنفاق والإسراف، وحب الاستزادة من المال وكثرته، قال المثل المصري:

- اصرف ما في الجيب يأتيك ما في الغيب.

- اللي معاه حنة يحني فاس جحشه.
- قال، ايش غرض الأعمى؟ قال : قفـــه عيـــون ( تمنى الكثرة).
- ما بين الخيرين حساب ( في الإنفاق).
- حلالك بلالك.
- ما عاش مالي بعد حالي ( فلأنفقه قبل موتي).

وترى الأمثال أن الإنسان غالبا ما يسرف فـي المـال الذي لا يخصه ... أما المال الذي تعب فـي تحصـيله فهـو حريص عليه، ومما تواتر في هذا الصدد:

- المال اللي ما هو لك عضمة حديد.
- اللي ما هو لك يهون عليك ( أو اللـي مـن مالـك ما يهون عليك).
- حمار ما هو لك عافيته حديد.
- المال اللي ما تتعب فيـه اليـد مـا يحـزن عليـه القلب.
- مال تجيبه الريح تأخذه الزوابع.
- اللي بيجي بالسهل يروح بالسهل ( وفيـه دعـوة للسعي).

وعن نظرة المصري للمال من حيث مصدره حـلال أم حرام؟ تعرضنا سلفًا لهذه النقطة، وفي الحديث عـن أمانـة المصري، وإيمانه بأن " بتاع الناس كناس". أي أن المـال الحرام يضيع ويضيع معه المال الحلال، ولذلك فالمصـري يهتم أكثر بأن يكون مصدره ماله من كده وعرقه وعملـه ... وليس سطوا أو حتى تسولاً، وفي ذلك تقول الأمثال:

- الحرام بيتاكل بإيه ؟! ( أو اللـي يتشـحت يتاكـل بايه)؟!.

ولذلك يسعى المصري للحصول على رزقه بالحلال، وبالكد والتعب والعمل ... فرغم إيمانه بأن " الرزق على ا " فهو يؤمن أيضا بالضرورة السعي وبخفة لاكتسابه، وبـأن تعلم صنعة خيرا من القعود عن العمل ... ولو كـان المـرء يمتلك قلاعا ... ذلك أن اليد العاملة الصانعة المنتجة أفضـل من اليد العاطلة ... ولأن البركة في الحركة والعمل، وممـا قيل في هذا الصدد.

- أكل العيش يحب الخفية ( أو الرزق يحب الخفية).
- اسعى يا عبد وأنا اسعى معاك ( على لسان الخالق).
- اجري يا عبد وأنا أعينك، وأقعد وأنا أهينك...

- محدش بياكلها بالساهل.
- قول يا عيني يا حيلي (أي اعتمد على جهدك).
- إن مال عليك الزمان ميل على دراعك (أي اعمل).
- الأيد البطالة نجسة.
- الحركة بركة.
- اعمل حاجتي بإيدي ... ولا أقول للكلاب يـا سـيدي ( عدم الحوجة).
- من جد وجد ... ومن زرع حصد.
- لا تؤجل عمل اليوم للغد ( عربي متداول).
- إن كتر شغلك فرقـه علـى الأيـام ( لا تسـتكثره فسينجز).
- سيدي بندق ما صدق (أي شمر وبدأ العلم فورا).
- عساكر الكرى متضربش بارود.
- صاحب صانعة خير من صاحب قلعة.
- لولاك يا كمي ما أكلت فمي ( تقال أيضا في الدعوى والضيافة).
- اللي يأكل على ضرسه، ينفع نفسه ( أي من لا يتكل على أحد ويسعى بنفسه).

- أن فاتك البدري شـمر واجـري ( دعـوة للسـعي المبكر).
- اشتغل لحد ما تكل، ولا تستحمل الذل.
- زي عفاريت القيالة مبتهدش.

ويؤكد المثل المصري على إتقان العمل وهو أمر يرتبط لديه بسمة "فنان" وسمة "متدين" فيقول:

- شغل المعلم لابنه (أي متقن).
- عمل من طب لمن حب.

ويصف المثل المصري العمل غير المتقن بأنـه "سـلق بيض" أو " كل شيء إن كان " وتقول عنه الأمثال أيضا:

- نغسل غسيل هلس ... ونتكل على الشمس.
- النجار "الخرى" يتكل على المعجون والسنفرة.

ومع ذلك فالمصري الساخر يصف أحيانًـا مـن يكـد ويعمل بهمة بأنه " حمار شغل" ولو أن هذا التعبيـر يعتبـر حديثًا نوعا وليس مثلاً قديما ... كما يرى المصري أن :

- أكل العيش مر ( أو صعب).
- العمر بيخاص مر ( أو صعب).
- العمر بيخاص والشغل مبيخاص.

- اجري ومد ... قال، ده شي يهد.
- التور اللي مـا هـو لـك عضـمه حديـد ( عـن الضغوط في العمل).
- اللـي تطبـل لـه يـرقص ( أي لا تلومـه علـى تقصير إذا لم تهيئ له المجال).
- وراه ليبــرك ( عــن مراقبــة العمــال حتــى لا يتكاسلوا).
- عليك يا صعيدي ولو بات ( لأن معظــم العمــال من الصعايدة).

هذا ونجد المصري " الذكي الفطن" الذي يقدر العمل ... يسخر من العاطلين والكسالى، كما يسخر من المتكالبين على المشاركة في عمل لا يستحق كل هذه الأيادي، وفــي ذلــك تقول الأمثال:

- زي حمير التراسة يتلكك على قول يس.
- أكل ومرعى وقلة صنعة.
- قاعد يرعـى الكـلاب بـالنص ( عاطـل ويـوهم بعمل لا فائدة منه).

- ست وجاريتين على قلي بيضتين ( تقال أيضا في المبالغة).
- الست والجارية على صحن بسارية ( تكرر في موضع سابق).
- لا هو سنة ولا فرض ( أو، لا في السنة و في الفرض ... أي عمل غير ضروري ويمكن تركه).
- من غسل وشه بعد غداه يا فقره بعد غناه ( أي من يستيقظ متأخرا نبشره بالفقر).

ومن التحليل الرقمي ( ٢٢) مثلاً تحض على العمل وإتقانه و ٧ أمثال تسخر من المتعطلين والكسالى، يتضح لنا أن المصري محب للعمل ... يقدره بل ويقدسه ... مع إيمانه بأن الرزق من عند ا – وهو عند المصري إيمان ديني با ، وإيمان غيبي بالحظ والبخت والاعتماد على الغيب وما يأتي به، وفي ذلك تقول الأمثال عن الرزق :

- أبو البنات مرزوق.
- كل عيل بييجي برزقه ( اتكال).
- اللي خلق الأشداق متكفل بالأرزاق.

- ربك بيـرزق الهـاجع ... والنـاجع ... والنـايم على صماخ ودنه.
- الرازق ا ، من كان رزقه على ا فلا يحزن.
- قبل ما يقطع من هنا بيوصل هنا عن الرزق.
- من حبه ربه واختاره جاب له رزقـه علـى بـاب داره.
- رزق يوم بيوم، والأرزاق على ا .
- الرزق وهايب ما هو نهايب.
- تجري يا ابن آدم جري الوحوش غيـر رزقـك لـم تحوش.
- ربنا بيرزق الدودة في الجحر.
- أهي أرض سوده والطاعم ا ( أي إزرعها).
- الأرزاق بيد ا .
- الفقي لما يسعد تيجي له خاتمتين في ليلة.
- كل لقمـة تنـادي أكالهـا ( أي لقمـة العـيش أو الرزق. ويقال أيضا في الضيافة والكرم).
- زي الفراخ رزقه تحت رجليه ( حظ).

- إجر يا مشكاح للي قاعـد مرتـاح ( فهـذا حظـه أن يكسب دون عمل، وهو رثاء لحال العامل).
- رزق الهبـل علـى المجـانين ( حكمـة ... فمـن أسباب الرزق أن يحتاج الناس لعمل بعضهم).

وبقدر تقديس المصري للعمل بقدر إيمانه بالاتكال على مقسم الأرزاق، وإيمانه بالحظ في مسألة الرزق ... الذي يراه نعمة من عند ا ... ولذلك يقول على من يـرفض العمـل "رفس رزقه برجليه" أو " رافـ ـس النعمـ ـة " ويسـ ـميه " البطران " وقد تناولت سلفًا الحديث عن الحظ، والبطـ ـ ـر وعدم رضا الناس عن أرزاقهم مهما كثرت وطلبهم للمزيد، رغم أنهم لن يحصلوا إلا المقسوم لهم، ولذلك يقول المثل:

- لما اتفرقت العقول كل واحد عجبه عقله، ولمـ ـ ـا انقسمت ( أو اتفرقـت ) الأرزاق محـدش عجبـه رزقه.

وبقدر التوازن بين الكفتين أو طرفي المعادلة، أي السعر والعمل في مقابل أن الرزق من عند ا ، بقدر ما تنبه المصري لنوع العمل أو المهن التـي تجلـب الـرزق وتضمنه، وتحتاج إلى مهارة أو شـطاره وضـرورة إتقـان

العمل، وذلك يرتبط بسمة " فنان " كما أسلفنا، وبسمة "ذكـي فطن" التي نتحدث عنها الآن، وفي " مجال المهن والأعمال" قامت الأمثال عن العمل بوجه عام:

- العمل باب الأمل.
- تراب العمل ولا زعفران البطالة.
- من لا يعمل لا يأكل أيضـا ( مـن أقـوال بـولس الرسول).
- بياكل مـن عـرق جبينـه ( وهـذا شـرف لـدى المصري، فهو لا يستعيب العمل مهما كان).
- الشغل مش عيب ... ما عيب إلا العيب ...
- لما أنا ست وإنت ست مين يكب الدست؟! ( يضرب في عدم الأنفة من أي عمل).
- أنا كبير وإنت كبير ... ومين يسوق الحمير؟! ( فلا تكبر في العمل).

هذا عن العمل ... وبالمقابل هناك أمثال عـن البطالـة وكراهية المصري لها سلف ذكرها فيما سبق، ونذكر فيمـا يلي بعضا منها يقول:

- الندب بالطار ولا قعـاد الراجـل فـي الـدار ( أي متعطل).
- الفاضي يعمل قاضي.
- اللي مش لاقي شغلة تشـغله يقطـع بتاعـه ويقعـد يوصله.
- زي الكلاب يحب الجوع والراحة.

أما عن تحبيذ الأمثال لمهن وأعمال معينـة كالزراعـة أو الفلاحة والتجارة أو البيع والشراء، والصناعة أو الصنعة اليدوية، ونذكر في مقابل العمل الحكـومي الـذي يحترمـه المصري، ويراه أضمن سبل العمل والرزق فتقـول عنهـا الأمثال:

- التجارة شطارة.
- بيع واشتري ولا تنكري ( أي لا تكون أجيرا ).
- صنعة في اليد.
- صاحب صنعة خير مـن صـاحب قلعـة ( ذكـر سلفًا).
- الميكانيكية باشوات متدارية.
- الفلاحة فلاحة (أي شطارة).

- ازرع كل يوم تأكل كل يوم.
- إداين وازرع، ولا تتداين وتبلع.
- إن فاتك الميري اتمرغ في ترابه.

ومن خلاصة التحليل الكمـي لهـذه الأمثـال نجـد أن المصري يحبذ التجارة والصناعة والزراعة، على أن يكـون الإنسان أجيرا عند أحد – أو حتى صاحب " عتـب " كمـا يقولون، أو صاحب أملاك ... ويحبذ المثل بنسبه (٢:٢: ٣ ) لهذه المهن في مقابل مثل واحد عن العمل الحكومي يطـال المصري بالتدله والتكالب إلى حد " التمرغ في تراب الميري أو العمل الحكومي ... وقد استمرت وجهة النظر هذه سـائدة لفترة غير قصيرة إلى أن كنت مؤخرا حينما بـدأ الاقتصـاد المصري سياسة الانفتاح وبدأ عدد غير قليل من المصـريين ... وبتشجيع من الحكومة – في الاتجاه إلـى العمـل الحـر أو الخاص بكل أشكاله الصناعية أو التجارية أو الزراعية، ولعل مـا زعـزع إيمـان المصـري بالعمـل الحكـومي "الميري" المضمون أن رزقه محدود، وقد أصبح أقـل مـن رزق هذه المهن ... مع الأخذ فـي الاعتبـار أن المصـري لا يأمن للأيام، ولا يميل للمجازفة، فهو حذر، ولذلك نجـده

يعمل حرا، ولكن عينه على العمل الحكومى، أو يحـ ـ ـتفظ بوظيفته الحكومية، فهو يعمل حرا في مشروع خاص فيمـا تبقى له من وقت أو يعين من يدير له عمله الحر ... ويتفرغ هو نصف الوقت فقط ... أو يحصل على إجازة مـن عملـه الحكومي للتفرغ لعمله الحر ... فالمصري لا يسـتقيل مـن العمل الحكومي بسهولة ... ويرتبط ذلك بكثير مـن سـماته وهي الحذر، والإيمان بتقلبات الحظ والبخت وعدم ضمانه ... وأيضا لأن العمل الحكومي عند المصري درب مـن دروب الوجاهة الاجتماعية والسلطة، ومركز مرموق ووظيفة ميري لا يفرط فيها في مقابل وهم في علم الغيب الذي لا يأتمنه ... ذلك أنه يؤمن إيمانًا قاطعا بأنه :

- سبع صناع والبخت ضايع ( أو سبع صـنايع فـي إيديه والهم جاير عليه).

وعن البيع والشراء نجـد كمـا كبيـرا مـن الأمثـال المصرية، التي تضع قواعد للتجارة وتحدد " الثمن والقيمة " وتحبذ الغالي والحسن وترفض الرخيص، وتتحـدث عـن شطارة التجار، وتغليبهم لمصالحهم، فالأمثال ترى أن:

- التجارة شطارة.

- التجارة مكسب وخسارة.
- زيارة وتجارة ( وتقال عن الحج والعمرة).
- الخسارة تعلم الشطارة.
- الخسارة اللي تعلم مكسب ( ما نقص من مالك ما زاد في عقلك).
- بيع الرخيص واشتري الغالي.
- الشرا يعلم البيع.
- خد المليح واستريح ( أي اشتري الجيد كي تكسب).
- غلا وسو كيل.
- نسينا الخميرة من سنة الغلا ( أي بطلنا الشراء).
- الغالي ثمنه فيه.
- التاجر لما يفلس يدور في دفاتره القديمة ( ويقال اليهودي لما يفلس).
- مال لحمتك مشغته؟! من جزار معرفة ( فالتاجر لا يراعي إلا مكسب).
- إذا نطق الديك ... شكك أديك ( عبارة يلتزم بها التجار).

- لولا اختلاف النظر لبارت السلع.
- بيع بخمسة واشتري بخمسة ... يرزقك ا عن بين الخمستين.
- الصدقة المخفية في البيع والشـراء. تقـال للبـائع والمشتري.
- ما يشكر السوق إلا للي باع جديه.
- خلي العسل في دنانه لحد ما يجلبه سعاره ( وتقـال أيضا في التزويج).
- العدد في الليمون ( تقال في البيع والشراء كناية عن الكثرة).
- كل شيء بثمنه ( إن البيع مرتخص وغال).
- بين البائع والشاري، يفتح ا (فالأمر تراض).

وكما وضعت الأمثـال قواعـد التعامـل بـين البـائع والشاري، ووصفتها على أنها علاقة تراضٍ، تحكمها عبـارة واحدة، أو دعوة: "يفتح ا " وعرفت المشتري بـأن التـاجر يراعي مصلحته ومكسبه، ويبديها على المعرفة أو الصـداقة وحددت له أن المليح والغالي أفضل، فكل شيء له سعره أو ثمنه، حددت أيضا للتجار علاقتهم ببعض، التـي تحكمهـا

معاملات مثل " الضمانة" و " الشراكة" ... فماذا قالت الأمثال في هذه الصدد؟! قالت رافضة للضمان:

- الضامن غارم.
- الضمانة أولها : شهامة، وثانيها، غرامة، وثالثها: ندامة.

وعن الشراكة قالت الأمثال غير محبذة لهـا ومحـددة للشركاء وضرورة أن يكونوا من الأجاويد ومشيرة إلـى أن المحاسبة بين الشركاء قد تفسد العلاقة بينهما ... وأن الإدارة إذا وزعت بين الشركاء قد تفسد العمل، عن كل قالت ذلـك الأمثال:

- يغور الشرك ولو في غدوة.
- قيراط ملك ... ولا فدان شرك.
- قط خاص ... ولا جمل شرك أو كلب خاص.
- إن كان لك قريب لا تشاركه، ولا تناسبه.
- العب وحدك تيجي راضي ( مثل شامي متداول).
- زي الفريك ميحبش شريك (قيلت في تعدد الزوجات سلفًا).

- المركب اللي ليها ريسين تغرق ( الشرك في الرئاسة مهلك).
- شريك سنة ما تحاسبه، قال ولا شريك العمر كله.
- الشركة مع الأجاويد ولا عدمها ( أو الشـرك فـي الأجاويد ولا عدمهم).

وحتى إذا اقتضى الأمـر أو الضـرورة أن نتشـارك فالأمثال وضعت قواعد " للاتفاق والتعاقد" . تـدور حـول ضرورة وضع شروط من البداية، حسما للنزاع فيما بعد ... وفي ذلك تقول الأمثال:

- الشرط نور.
- اللي أوله شرط آخره نور.
- الشرط عند الحرث، ولا المنازعـة فـي الجـرن. ( عن المشاركة في الزرع).
- المشروطة محطوطة.
- العقد شريعة المتعاقدين ( قاعدة قانونية متداولة).

واستدراكًا نعود للحديث عن القيمة والثمن، لـيس فـي التجارة وحسب ... ولكن في الحياة اليومية والمعاملات، بما يحقق مطالب الإنسان واحتياجاته ... فالمصري لـه نظـرة

أو وجهة نظر جديرة بالتقدير بالنسبة لتقويمه للأشياء، فهو رغم فقره يقدر الغالي ويفضله على الرخيص، ويقدر لكل شيء قيمته وتقول الأمثال في ذلك:

- كل برغوت على قد دمه.
- على أد فوله – أدفوا له.
- كل فوله مسوسة ولها كيال أعور ( مثل سوري ويقال في مصر، كل فولة ولها كيال).
- ما خف حمله وغلا ثمنه.
- الغالي ثمنه فيه.
- على قد لحافك مد رجليك ( تقال أيضا في الاقتصاد).
- على قد فلوسك طوح رجليك ( تقال في استئجار الأرجوحة).
- العدس بترابه وكل شيء بحسابه ( يكتفي الآن بالجزء الثاني من المثل).
- غالي السوق ... ولا رخيص البيت ...
- ما يغرك رخصه ترمي نصه ( تكرر سلفًا ).

وإذا كان المصري يفضل الغالي بمعنى أنه يفضل القيمة أو الشيء القيم ... فلا بأس من أن يتشاكى أحيانًا – بل ودائما – من الغلاء، ويصف الغلاء بالنار، ويقول:

- بالغلا والكوا.
- ثمنه شقله ( أو ثمنه الشيء الفلاني، أي غالي).
- بشيء وشويات.

ولذلك نجده في أمثال أقل نسبيا ( ١٠: ٢ ) يحبـــــذ الرخص فيقول:

- رخـيص وكـويس وابـن نـاس ( ترغيـب فـي الرخيص).
- أبو بلاش كتر منه واللي بفلوس حود عنه ( تضرب أيضا في الطمع في الشيء المجاني).

ومما سبق يتضح أن المصري فطن ذكي يقـدر لكـل شيء قيمته، وأنه قبل آلاف أو مئات السنين وصـل بأمثالـه الشعبية إلى القاعدة الاقتصادية التي تقدر للسلعة الغالية قيمتها ... وترى أن الفقير لابد أن يقتني الغالي، ولا يفـــــرح بالرخيص، لأن الغالي يعمر أكثر فلا يضطر للشـراء مـرة أخرى، ولا يضطر للاستغناء عنه سريعا فهذا ترف لا يملكه

... وهو ترف الاستغناء المبكر عن الممتلكات ... فالمصري يرى أن من يبيع رخيصا فكأنه باع الشيء القـيم " بتـراب الفلوس" كما يرى أن الجهد الذي بذل في صنعه يستحق أكثر من ذلك، ويرفع من ثمنه ولذلك يقول:

- الأجر مش قد المشقة.
- شيء مش جايب حقه أو ثمنه ( وتقال أيضا، مـــش جايب همه).

ومن ذكاء المصري أنه أعلى قيمة الاستغناء ... وحبـذ بأمثاله اعتماد المرء أو اكتفاءه بما يملك، وعدم الاتكال على ما لـدى الآخـرين وفـي ذلـك فهـو يعلـي مـن شـأن نفسه، حتى وإن كان محتاجا، ويتظـــاهر بـــذلك إعـــزازا لذاته، وفي " الاستغناء"، قالت الأمثال المصرية:

- حمارتك العارجة تغنيك عن سؤال اللئيم.
- حمارتك العارجة أحسن من فرس أخوك السليم.
- ما دام معايا القمـر ... ايـش علـى بـالي مـن النجوم.
- اللي خدته القرعة تاخـده أم الشـعور ( ويضـرب أيضا تهكما في مجال تعدد الزوجات).

- اللي فيه عيشة تاخده أم الخير.
- اللي ايدي مش في مقطعه عفريت لما يخطه.
- اللي ايدي مش مرجونته لا علـى بـالي منـه ولا من جودته ( تكرر سلفًا في الكرم).
- نقطنا بسكاتك ( أي لا نريد منك إلا الصمت).
- الشكوى لغير ا   مذلـة ( الاسـتغناء عـن النـاس حتى في مجرد الشكوى).
- النافع ا   يا حلبة.
- قول ... يا عيني يا حيلي ( أي اعتمد على نفسك).
- اللي يتشحت يتاكل بإيه ؟! ( يقصد بالمذلة، لـ ـ ـــ ذا يتعفف عنه).
- أعمل حاجتي بايدي ولا أقول للكلب يا سيدي ( فـي الاستغناء عن جهد الآخرين).
- بدل ما أقول للعبد يا سيدي أقضي حـاجتي بإيـدي ( في نفس المعنى).
- شعيرنا ولا قمح غيرنا ( فـي الاكتفـاء بمـا لـدى المرء).

- ألحس مسنى وأبـات مهنـي ... ولا كبابـك اللـي قتلني ( رفضا للمن).
- قطع الطشت الدهب إللى أطرق فيه الدم.
- يا نحلة لا تقرصيني ولا عايز منك عسل.
- ما يهرش لك إلا إيدك ( لا يحك جلدي مثل ظفري).
- ما يمسح دمعتك إلا إيدك ( بمعنى عدم الاتكال).
- إذا حضر الماء بطل التيمم ( عربي متداول).

وكمرادف للاستغناء نجد كما من الأمثال التي تسـتهين بما لدى الآخرين، وتقلل من قيمة الأشياء حتـى لا نتكالـب عليها ... بل نستغني عنها، وكنموذج لذلك:

- إيش يا خد الريح من البلاط.
- لا ينفع طبلة ولا طار.
- لو كان فيه الخير ما كان رماه الطير.
- قال: يا بويا ما نمش حداك؟! قال: يـــا بنـــي ريحتني من " فساك ".
- خلصت حاجتي من عند جارتي.
- كفانا من الدست مغرفة ( لنعرف ما به ونتركه).

- العينة بينه ( فيها الكفاية لنعرف الباقي ونستغنى عنه).
- اللي في الإيد تزهده النفس ( اللي تملكه الايد ... ).

وعن الاستغناء عن الناس خاصة من يبدأون بالاستغناء عنا تقول الأمثال:

- من باعك بيعه بأرخص الثمن.
- من باعك بيعه وارتاح من قهره، وإن كنت عطشان ما تورد على بحره.
- ما ياخد الروح إلا اللي خالقها ( فاستغن عمن يملكون من أمرك شيئًا، ويضرب أيضا في الشجاعة).

ويستدرك المثل المصري الذكي استدراكًا بسيطًا، يتضح في مثل واحد فقط، ليحجم المصري المعتز بذاته، المستغني بما لديه، ولو كان قليلاً، والمكتفي بجهده عن التطلع إلى ما لدى الآخرين، وحتى لا يغالى في الاستغناء، فيقول له في تحسب ذكي:

- اللي ما تحتاج وشه النهاردة ... بكره تحتاج قفاه ( أو يحوجك الزمان لقفاه ).

واستكمالاً لصورة المصري المستغني – رغم فقـره – عن الآخرين ... كما وضح من الأمثـال السـابقة الداعيـة للاستغناء بشكل مباشر ... نجد الأمثال تـدعو أيضـا لـذلك بأسلوب آخر، وهو رفض التكالب والتطفل، والطمع فيما لدى الآخرين، والسخرية من الشح والبخل، والـ ـ ـ ـ ـبخلاء ... فالمتطفلون والطامعون في ما لدى الآخرين وصفتهم الأمثال قائلة :

- إن شاف " بتاع " الميتة يقول: هاتوا منه حتيتة، وإن شاف " بتاع " الضعيف يقول : حتى ورغيف.
- عيشك يحلي لي يا خالي، قال: ده من سو بختي يـا ابن اختي.
- أنا غنية وأحب الهدية.
- البحر يحب الزيادة ( في الاستزادة والطمع).
- ما يملا عين ابن آدم إلا التراب ( من طمعه).
- جفن العين جراب، ما يملاه إلا التراب.
- البقة ولد مية، وتقول، يا قلة الذرية.
- ساعة البطون تتوه العقول.

- اللي بيجي منه أحسن منه ( اللي بيجي منه أحل من عينه).
- شعرة من خنزير خير منه.
- اللي تعطيه الوش يطلب البطانة.
- يمضغه ويرميه ... ولا يخليه (طمعا واستخسارا).
- وجع البطن ولا كب الطبيخ ( أو الحامض، بخلا، واستخسارا).
- خسر الطبخة عشان بنكلة كمون ( بخل).
- قال : يا جارية اطبخي، قالت: يا سيدي كاف ( يقال: اطبخي يا جارية ... كاف يا سيدي).
- شحات وعينه غليضة ( أو قوية ).
- أبخل من كلبة يزيد ( عربي متداول).
- بيأكل زي عيال المسلمين ( مثل يقوله الأقباط).
- من كرهه ربه ... سلط عليه بطنه ( وتقال أيضا، لسانه ).
- بطنه متسلطة عليه.
- سيدنا موسى مات، ناشف طري هات ( من أمثـال اليهود).

- غولة عملت فرح، قال: يكفيها وللا يكفي ولادها؟!.
- بياكل زي الغول !!
- القطة متهربش من بيت الفرح.
- الكداب خرب بيت الطماع.
- أنا ما بأريده، وابني يمد ايده.

وعدا التلميح والتوصيف، تصرح الأمثـال المصـرية برفض التطفل والطمع، وفي ذلك تقول بشكل مباشر:

- الطمع يقل ما جمع ( عربي متداول).
- القناعة مال وبضاعة.
- من كل بلاش راح بلاش.
- اللي ياكل بلاش ميشبعش.
- اللي ما يكفيش جماعة واحد أحق به.
- اللي ما هو في ايدك يكيدك، واللــي مــع النــاس بعيد ( فلا تطمح إليه أو تطمع فيه).
- إن كان حبيبك عسـل متلحسـوش كلـه ( رفـض لزيادة العشم والطمع فيما لدى الآخرين).
- اللقمة الكبيرة تقف في الزور.
- العيش من العيش والدناوة ليش؟!

- يا زايرين بيه وانتـوا تشـتهوه ... اقعـدوا جنـب الحيط وكلوه.

وهناك من التعبيرات الشائعة الكثير الذي يسـخر بـه المصري من البخلاء، كالقول : " قتلنـ ـ ـ ـا يهـ ـ ـ ـودي النهاردة"، والتي تقال للبخيل إذا أبدى كرما غير معتاد، أو " جعان أفت لك ؟!" كسؤال لا يقوله إلا بخيل " بيعزم عزومة مراكبية". معروف مسبقًا أنها لن تلبى، ولذلك يلح فيها، وهو متأكد أنها لن تحدث، ناهيك عما يتهكم به المصري على أهل دمياط! لشهرتهم بالحرص، فيقول على لسانهم:

- تتعشى ولا تنام خفيف؟ تنام هنا وللا اللوكاندة أريح.

والمصري الذكي المنتبه لكل هذه الأمور، والواعي لكل شيء، والمدرك لكل ما يدور حوله، يوصفه ويشرحه ... بل ويشرحه بأسلوب جزل وعبارة حكيمة يدرك بوجه عـام أن بلاده عامرة بخيرات كثيرة ... لكنه مع ذلك يتحسر قائلاً:

- مصر خيرها لغيرها ( أو لغريبها).

وفي هذا المثل خلاصة القول ... أو خلاصة مشـاعره تجاه ما يجابه في وطنه... فهو ليس دائما من يحصل خيرها

... وينعم بما فيها ... وإدراكه لذلك ذكاء في حد ذاته، يعكس فهمه وتقديره للأمور.

# الفصل الرابع

## الأمثال العربية المتداولة بين العامة

هناك من الأمثال العربية الكثير الذي يتسـق والأمثـال الشعبية معنى ... وإن اختلف منطوقه لفظًـا ... أو اختلفـت الصور التي يرسمها كل مثل أو يعبر عنها... وهناك أمثـال عربية ظل الوجدان المصري ... بـل واللسـان المصـري يحفظها ويرددها بمنطوق كلماتها أو ألفاظهـا الفصـحى ... وهي الأمثال العربية المتواترة بين الخاصة المثقفة، بـــل ويرددها بعض العامة أيضا، وتجري على ألسنتهم مجـرى العامية ... وكأنهم لا يدركون أنها غريبة علـى لهجـتهم ... أو طوعوها لتكون أقرب ما يمكن من لكنتهم ... لكن ما يهمنا هو مدى تعبير هذه الأمثال العربية عن قيم أصيلة في الشعب المصري، وسمات سائدة بين أفراده ... وإلى أي مدى أضاف الفتح العربي المصاحب لدخول الإسلام مصر إلى الموروث القيمي للمصريين الفراعنة، أو القبط قبل دخول الإسلام،

ولذلك سنفرد هذا الفصل للأمثال العربية المتداولة بين العامة ... كما سنخص الفصل الخامس بـالأقوال المـأثورة التـي استقاها الوجدان المصري، ورددها اللسان المصـري فـي

القرآن والحديث النبوي الشريف ... بما يعكس أثر العروبـة والإسلام، كرقيقة حضارية أضيفت إلى الرقائق الحضـارية المشكلة لهذا الإنسان، والمؤكدة لسماته، التـي تبيناهـا مـن فلسفته الشعبية المتمثلة في أمثاله العامية، على مدى الفصـل السابق – بكل مباحثه – والذي استخلصنا فيه للمصري ست سمات أساسية، تفرعت عنها عشرات السمات ... فهل أدخلت الأمثال العربية أو الحكمة العربية على المصري سمات لـم تكن فيه؟! أم كرست ما لديه من سمات أصيلة؟! ولعل ذلـك يردنا إلى حديث طالما قتل بحثًا ... واختلفت حوله الآراء ... ألا وهو: هل المصري الحديث خلاصة للحضارة الفرعونية القديمة؟! أم الحضارة العربية الإسلامية؟! أم أنه نتاج لهمـا معا ؟! هذا ما ستوضحه الصفحات القادمة.

قبـل الولـوج إلـى اسـتعراض نمـاذج الأمثـال العربية، التي مازالت حية ومتداولة، لابد من الإشارة إلى أن الأدب المصري القديم أو أدب الفراعنة كان يعج بالقصـص الشعبية والحكم والتأملات والرسائل ... ويهمنا منها هنا الحكم على وجه الخصوص، إذ تعتبـــر مرادفًـــا للأمثـــال

السائدة، ويقول " سليم حسن" في الجـزء الأول مـن كتابـه "الأدب المصري القديم أو أدب الفراعنة":

" تدل نتيجة البحوث التي قام بها علماء الآثار في تاريخ العالم القديم أن مصر كان لها قصب السبق في الإنتاج الأدبي في باب الحكم والتأملات، فإن (بابل) و ( آشور ) لم تتركـا شيئًا يستحق الذكر نسبيا في هذا المضمار، أما فلسطين جارة مصر فقد أنتجت فيه إنتاجا عظيما، وبخاصة في باب الأمثال والتعاليم الدينية وحكم سليمان و(المزامير) وكتاب ( أيوب)، وغيرها مما نجده في التوراة من هذا النوع من الأدب" [١].

وقد توصل هذا العالم الجليل إلى ثمان وثائق، تمثـــل سلسلة متصلة الحلقات من هذا النوع الأدبي، تمثـــل كـــل عصور التاريخ المصري، من الدولة القديمـة إلـى الدولـة الحديثة، مرورا بالعهد الإقطاعي والدولـة الوسـطى [٢] ... ترجمتها من الهيروغليفية مباشرة، وهـــي علـــى التـــوالي والترتيب التاريخي :

١ – حكم وأمثال بتاح حتب.

٢ – تعاليم كا جسني.

---

(1) سليم حسن ، المرجع المشار إليه ، ص ١٨١ ، مطبوعات كتاب اليوم – ١٥ ديسمبر ١٩٩٠.

(2) المرجع السابق ، ص ٢٤٣ .

٣ – التعاليم التي لقنت للملك مري كا رع.
٤ – وصايا أمنمحات الأول لابنه سنوسرت.
٥ – تعاليم سحتب أب – رع.
٦ – تعاليم خيتي بن دواوف لابنه " بيبي".
٧ – تعاليم آني.
٨ – تعاليم أمنموبي.

والمطالع لهذه الثروة الأدبية في المتون المشار إليها، يستطيع أن يلاحظ بدءا من تعاليم أو نصـائح آنـي نمـوا وتطورا كبيرين في الوعي الإنساني، كنتـاج للمـؤثرات الاجتماعية، والتفكير العميق الذي ساد هذا العصر، إذ بدأت تتناول أو تعترف بالوعي الإنساني، ويأتي ذكر المتعبدين– من غير تحفظ – إشارة إلى أنه أمر ا نفسه، فبعد أن كـان الورع الشخصي أو الضمير صار الإيحاء الإلهي الحق [1].

كل ذلك يؤكد للمصري تميزه بأهم صفاته السائدة والتي لا خلاف عليها ... والتي انبثقت عنها أو تفرعت منها سمات أخرى كثيرة ... وهي سمة " متدين " وما تفرع عنهـا مـن

---

([1]) المرجع السابق ، ص ١٨٥ وما تلاها.

سمات ... صبور وقانع وراض ومحسن، ومتواضـ ـ ـ ــع، ويقدس الموتى ومتواكل ويؤمن بالغيبيات ... الخ.

والمراجع لهذا المرجع المهم يستطيع أن يتأكد من صدق ما أذهب إليه، من أن المصري الفرعوني لم تأت الحضـارة العربية والإسلامية لتخلقه من عدم، أو تعيد تشكيله أو ترتيب قيمه رأسا على عقب ... أو تهبه من الحكمة والقيم ما لم يكن يتمتع به، لكنها فقط أضافت إلى روحه الغنية الخصبة ملامح تؤكد طبيعته السمحة، وروحه المتدينة، وإيمانه العميق با ، وبالخير، ففكرة الخلود القديمة قدم المصري كانـت الـدافع لتمسك المصري القديم بالقيم الفاضلة، وذلك ما أكده دكتـور سيد عويس في أكثر من موضع، في مؤلفاته عن المصريين ... فالمصري القديم الأصيل المؤمن الصادق يمكن أن نقـول أن تغيير اللغة بالنسبة لـه عنصـرا يقلـل مـن شـعوره بالذات(*)... ذلك من حيث السمات الأصيلة والمعاني التـي تناولتها الأمثلة ... وإن جاء اختلاف اللغة التي صيغت بهـا الأمثال الفرعونية عن اللغـة المتداولـة الآن – العربيـة – كعائق دون بقاء واستمرار الأمثال الفرعونية علـى ألسـنة

---

(*) أحمد قدري ، برنامج شاهد على العصر ، المذاع بتاريخ ٩ / ١٠ / ١٩٩١ ، البرنامج العام ، إذاعة القاهرة .

الناس، بمتنها الأصلي ... وإن كنا نستطيع التأكيد أن ما تناولته من معان وقيم وفلسفة ما زالت باقية حتى الآن، كما نستطيع أن نقول بأن هناك دلائل تؤكد على أن اللغة القديمة كانت " غنية بالاستعارات والتشبيهات، أي أنها ( لغة مثقفة ) و ( لغة إنشاء وتفكير) للشخص الذي يكتب بها" (١).

وقد حفلت كتب الأمثال القديمة بالحكمة والنصيحة عند المصريين القدماء ! بما يوضح مدى الذوق الرفيع لديهم، وأثره في سلوكهم ومعاملاتهم ... وأنها اشتملت على دراسة قيمة، وخلاصة تجارب الحياة، حيث رسمت لهم طريق السعادة، ووضعت بين أيديهم المثل العليا لكل من يريد النجاح في الدنيا والآخرة، ونظمت صلة الناس ببعضهم البعض(٢).

هذا وسنورد فيما يلي بعضا من الأمثال الفرعونية، على سبيل المثال لا الحصر؛ لتأكيد ما ذهبنا إليه، ممثلة لكل العصور، وفي شتى المضارب ... فمن تعاليم أمنموبي عن النفاق والكلام.

---

(1) عبد الحميد بسيوني ، أدب السلوك عند المصريين القدماء ، ص ٤٨ .
(2) المرجع السابق ، ص ٥٣ .

" الرب يمقت من يزور في الكلام. وكبر مقتًا عنده النفاق" [1].

ومن أقوال الكاهن عنخ شا شنقي في عين شمس، في القرن الخامس قبل الميلاد، عن التكافل، والصراحة، والعمل، وعن تفضيل العزلة على رفاق السوء – وهو معنى ورد في الأمثال العامية المصرية، كما ورد في الأمثال العربية أيضا – ومن حديث هذا الكاهن أيضا عن الزواج، والاختيار فيه، وعن العلم، والعقل، وعمل الخير أو الجميل الكثير مما سنجده متسقًا تماما مع ما هو متداول الآن :

- من حزن مع أهل بلده فرح معهم ( قيمة المشاركة والتكافل).
- لا تجعل لنفسك صوتين... وقل الأمر الواقع لكل إنسان ( الصدق وعدم المراءاة).
- اسمح لمن عمل ما كلف به بأن يرفع صوته.
- أعط الشغال رغيفًا أخذ رغيفين من كتفيه.
- اعلم أن العزلة خير من أخ شرير ( الوحدة خير من رفيق السوء).

---

([1]) المرجع السابق ، ص ١٣ .

- نعمة الممتلكات زوجة حكيمة.
- لا تهجر امرأة في دارك لأنهـا عقـيم ( قيمـة لـم يحتفظ بها المصري العربي).
- لا تقتل حية وتترك ذيلها.
- من نكح امرأة جاره نكحـت زوجتـه علـى عتبـة داره ( الجزاء من جنس العمل).
- من نكح زوجة على سرير نكحـت زوجتـه علـى الطين ( الجزاء مقرون بالفضيحة).
- تخير زوجا عاقلاً لابنتك، ولا تتخيـر لهـا زوجـا ثريا ( تفضيل قيمة العقل على المال).
- زوج ابنتـك لصـائغ ... ولكـن لا تـزوج ابنـك لابنته ( متداول حتى الآن).
- قد يستر الصمت حمقًا.
- قد يفضل البكم زلق اللسان ( إذا كان الكـلام مـن فضة فالسكوت من ذهب).
- آية الحكيم فمه.
- إنمـا يتـأتى التعلـيم بعـد رقـي الخلـق ( الأدب فضلوه عن العلم).

- رفيق الغبي غبي ... ورفيـق الحصـيف حصـيف ... ورفيق الأبله أبله ( صـاحبك مـن بختـك ... البيض الفاسد يتدحرج على بعضه).
- افعل الخير وارمه وسـط البحـر ( يتـردد حتـى الآن بنفس الألفاظ ).
- من هز حجر وقع على رجله ( اللـي يشـيل قربـه مخرومة تنزل على ظهره).
- من سرق متاع آخر لـن يبـارك لـه فيـه ( عـن الحلال والحرام ).
- يسرق السارق بالليل ويقيض عليه بالنهار [*]

ومن تعاليم الشيخ أمنموبي الأديب المتدين، في الفتـرة من القرن العاشر أو التاسع قبل الميلاد عن الكلام، وعـــن المكتوب أو ما نقول عنه الآن: " العبد في التفكير والرب في التدبير " يقول أمنموبي:

- لا تتعود على أن تجدف بلسانك.

---

[*] راجع محمد عبد الحميد بسيوني ، آداب السلوك ، ص ١٥ – ١٦ .

- لا تقضي الليل متخوفًا من الغد ... فما يعلم إنسان ما سيكون عليه الغد ... والإله دائما في فلاح ( تدبيره).
- والإنسان دائما في خيبة ظنونه[١].

ومن نصائح بتاح حتب التي تدور حول العلم، والرزق، والحق، والطمع، وتتشابه مع ما هو متداول الآن في المعنى، قوله:

- لا تتعال وتنتفخ أوداجك لأنك رجل عالم، واستشر الجاهل كما تستشر العالم (ما خاب من استشار).
- الالتزام بالحق ولو على نفسك.
- الحق هو الطريق السوي أمام الضال [٢] ( الحق أحق أن يتبع).
- الخبز يؤكل بأمر ا [٣] ( عن الرزق).
- الشر لا قبر له.
- احذر الشراهة فإنها مرض وداء لا يشفى.
- لا تكونن شرها في القسمة ولا تكونن ملحا إلا في حقك ولا تطمعن في مال أقاربك [١].

---

(1) المرجع السابق ، ص ١٢ – ١٣ .
(2) المرجع السابق ، ص ٥٨ – ٥٩ .
(3) المرجع السابق ، ص ٦٨ .

وعدا الاسترسال في ذكر نماذج من الحكم الفرعونية يمكن أن نؤكد أن هناك حوالي ٢٥٠ مثلاً ما زلنا نردده بنفس المفردات عن أصل فرعوني نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر :

- إن حبتك حية إطوق بيها.
- ثلاثة ما تتخبى ... الحب والحمل وركوب الجمل.
- المحبة ستار العيوب ( مراية الحب عامية).
- أحبك يا سواري ... زي زندي لا .
- حماتي مناقرة قال : طلق بنتها.
- الحلوة حلوة ولو صحيت من النوم والوحشة وحشة لو استحمت كل يوم.
- الحية تخاف الحوية ( إقلب القدرة على فمها ... ).

وبعد أن تثبت لدينا – إلى حد ما – الأصول القديمة للمثل الشعبي العامي في مصر، وكيف أن جذوره لفظاً ومعنى تمتد إلى العصر الفرعوني، وأن ما يحمله من قيم، وما يعبر عنه من فلسفة تبناها المصري القديم، واحتفظ

---

([1]) المرجع السابق ، ص ٧١ .

بها وجدان المصري المعاصر ... فعكست سـماته الأصـيلة السائدة.

وبعد ما تقدم نستطيع أن ننتقل إلـى مقارنـة ومقاربـة أخرى بين المثل العامي المصري، والمثل العربي الفصيح ... وما يفرز من قيم، وما يؤكد من سمات يتسم بهـا الإنسـان "المصري العربي المسلم " – بل والمسيحي أيضا – متـأثرا بالحضارة العربية الإسلامية، وباللغة العربية، التي أصبحت لغة المصريين بعد موت لغتهم المصرية القديمة، والانـدثار الجزئي للغة القبطية التي اقتصرت معرفتها علـى المتـون اللاهوتية، وعلى المتخصصين في علوم اللاهـوت ... ومـا تبقى في الكنائس من ترانيم الشمامسة، والطقوس الدينية ... لكنها لم تعد لغة حياة، بمعنى أنها لم تعد لغة حديث وكتابة، أو تأليف.

وقبـل أن نـورد نمـاذج مـن الأمثـال العربيـة المتداولة، لابد من التعـرض لسـمات الشخصـية العربيـة المصرية، والتي ترى د. فاطمة المصـري فـي تعـدداها للسمات التي يتفق فيها المصريون مع العرب، أو انتقلت إلى المصريين بالفتح العربي، والتأثر بكل ما هو عربي، من لغة

وآداب، وثقافة، وعلاقات إنسانية، ترى أن هناك ٤٧ سـمة تجمع بين المصريين والعرب، أو هي كما أسمتها : " سمات الشخصية العربية المصرية" ... وهنا الخلاف، إذ أرى أن الشخصية في الأصل مصرية ذات سمات أصيلة، ثـم كـان الفتح العربي والامتزاج بين الحضـارة الفرعونيـة والمـد العربي الإسلامي، بما حمل من قيم، وبما اتسم به العرب من سمات، فامتزجوا بالمصريين، وأثروا وتأثروا بهم، وأدخلت الديانة الإسلامية الكثير من المفاهيم والقيم، ولعب التزاوج، وعناصر الوراثة دورهما، فخرجت السمات التي أشارت لها د. فاطمة المصري، والتي يتفق بعض منهـا مـع السـمات المصرية التي استخرجتها من الأمثال الشعبية، بأصـ ـ ـيلها وفرعها ... ولذلك أورد مما ذكرت من سمات ما يلي:

- التفاخر والحساسية ( وهي عند المصـري اعتـزاز بالذات).
- المبالغة فـي التعبيـر عـن قدراتـه ( المصـري يغالي ويبالغ في كل شيء).
- الفردية والسلبية.

- كرم الضيافة ( وجوهر الكرم منح الطعام، ولـ ـ ذلك يهتمون به).
- الكرم يرتبط عند العرب بالإعلان عنه، ولذلك يعتبر دينًا في عنق المكرم.
- حب الظهور ( حتى أنه يستدين مـ ـن أجـ ـل زفـ ـاف أو جنازة كمقدرة على البذل، وفي المقاهي لإظهـ ـار الكرم، لدرجة الاضطرار لقبول كرم الآخرين).
- الكرم والسخاء أسلوب ووسـ ـيلة لإظهـ ـار الصـ ـداقة وإخفاء العداء ( دبلوماسية مصرية).
- الزيارات وسيلة لإظهار الكرم ... ولـ ـيس لتبـ ـادل وجهات النظر ( وأيضا لتبادل الفكاهات، وأخبـ ـــار الناس، وإشباع الفضول).
- الخوف من الفقر، وعدم الاطمئنـ ـان إلـ ـى ضـ ـمان الغذاء، وهو سبب الاهتمام بالطعام وتقديسه.
- المروءة أي الرجولة والفضيلة ( الشجاعة والكرم).
- يتمسك العربي برأيه بقوة وصلابة، ويحـ ـ ـاول أن يفرضه على الناس، وإذا اختلف معهم فإنه يعتبـ ـرهم

أعداء له ( وذلك يظهر على المستوى السياسي بالذات).

- التشكك وسوء الظن جعل العربي يحاول إخفاء ممتلكاته خوفًا من الضرائب والخدمة العسكرية، أو السلطة عموما ( ومن الحسد أيضا).
- المصريون أكثر تشككًا، ولهم دليلهم على ذلك من حوادث أليمة سببت لهم عدم الثقة بالناس.
- يحبون إخفاء أشياء كثيرة عنهم، قد تخجل أو حتى لا تخجل ( السرية والتحفظ) وخوفًا من الحسد.
- الميل إلى التستر ... والدعوة بالستر ( واعتبار التستر فضيلة).
- القدرية.
- الذلة والخضوع بسبب استبداد الأهل، وأيضا الحكام ... حتى بعد الاستقلال.
- الخضوع كي يحقق الأهداف، ولو أدى ذلك إلى التلون بلون جماعة ما.
- التدليس والتملق.

- التدخل في شئون الآخرين، ومعرفة حياتهم الخاصة. وانتقاد تصرفاتهم، وتصحيح خطئهم ( حزب أعداء النجاح أو من يطلق عليهم المصري الآن المبوخاتية).
- العربي يحتقر من هم دونه، ومع ذلك يشفق عليهم ويكرمهم ( وقد انطوت الأمثال الشعبية المصرية دائما على احتقار الغني بعد الفقر أو " الحداثة " والرثاء للفقر بعد الغني.
- عدم الشعور بالأمان من جانب المرأة، نتيجة تعدد الزوجات، وعلاقة العداء بين غير الأشقاء.
- الإيمان الذي يجلب الشعور بالأمان، والأمل في حياة أفضل مستقبلاً.
- لا يحب التغيير، خاصة ما يجلب من الغرب أو من الخارج، ويتمسك بالتقاليد ( ما ييجي من الغرب حاجة تسر القلب).
- يفضل العلاقات التي تعتمد على التقاليد الثابتة، لتظل الأمور في حدود المعروف والمضمون، كما قال

بذلك برجر، أي أنه يكره المغامرة ( ولـذلك يقـول اللي تعرفه أحسن من اللي متعرفوش).

- يميل إلى عدم قبول الجديد ... إلا إذا اتسق مع قديم ثابت متطوع بصحته (كذلك المصري لكنـه لـيس جامدا كما ذهبت د. فاطمة المصري فالتمسك بالقديم لا يعني لديه الجمود).
- يؤمن بالقضاء والقدر، ويرضى بهما، وذلك طريـق العربي للتخاص من الخوف من المجهول، ولإعــادة الاتزان النفسي، وتخفيف حدة الإحباط والصراع، في مجتمع مليء بالاضطهاد والظلم.

تلك إلى حد كببير السمات التي اصطبغت بها الشخصية المصرية من أثر الاحتكاك بالعرب، وبعضها كـان أصـيلاً فيها، في عصور ما قبل الإسلام والفتح العربي ... لكن مـا أوردته د. فاطمة المصري نقلاً عن – أو متأثرة بما ذكره – " برجر " عن الشخصية العربية، لا أتفق معها كثيـرا فـي بعضه لهذه الأسباب:

أولاً : لأنه رؤية غربية للشخصية العربية، أي صـــورة ذهنية غريبة عن العرب والمصريين بوصفهم عربا.

ثانيا : لأن الفتح العربي في رأيـي لـم يطمـس تمامـا الشخصية المصرية ... بل ظللها بـبعض السـمات الدخيلة عليها، ولـم ينسـخها تمامـا ... وإلا لمـا استشعرنا اختلافًا وتباينًا واضحا بـين المصـريين وغيرهم من العرب.

ثالثًا : لأنه بتحليل الأمثال الشعبية المصرية التي ما زالت متداولة لم تثبت بعض هذه السمات التي تبنتها عـن " برجر ".

رابعا : أنه بدراستي لصورة فرعية من الصورة العربيـة وهي صورة عرب الخليج، ومقارنـة سـماتهم الشخصـية وسـمات صـورتهم الذهنيـة لـدى الآخرين (*) اتضـح لـي أن فارقًـا كبيـرا بـين المصريين وغيرهم من العرب ... وحتى السـمات التي اشتركوا معهم فيها ... يختلفون معهم في درجة اتسامهم لها، وشدة تمسكهم بها ... وكدليل على ذلك أورد بعض هذه السمات، التـي أرى أنهـا سـمات عربية، اتسم بهـا بعـض المصـريين المولـودين

---

(*) صورة عرب دول مجلس التعاون الخليجي في الصحافة البريطانية " رسالة دكتوراه ، غير منشورة .

أو الأخلاط، أو " البزرميت " كما يطلق عليهم العامة المصرية، فالمصري فـي الأصـل معتـز بذاتـه وبمصريته – وما زال – وقد يزهو بمقدرته بتواضع ... لكن أسلوب الفخر والتباهي على الآخرين نمـط سلوك عربي، كمـا أن الحساسـية المفرطـة للنقد، والشعور بالكبرياء الجـريح أو التـي يمكـن جرحها بسهولة ... واعتبار أقل تشكك مـن الغيـر إهانة كبيرة، كلها مشاعر عربية في الأصل، تأثر بها بعض المصريين من أهل الوجه البحـري والمـدن الكبرى ... في حين لم يتأثروا بها كثيرا المصـري الأصيل (الصعيدي) الذي لا يفاخر بذاته ... ولكنـه يعتز بها ... ولا يجرحـه كثيـرا تفكـه الآخـرين و " تنكيتهم " عليه، فهو يقدر لذاته قدرها.

أما عن الفردية والسلبية، التي تعتبرها دكتورة فاطمـة المصري ثورة ضد الجماعات التي ينتمـي إليهـا ... فهـي سمات مستحدثة ودخيلة على الشخصية المصرية الأصيلة ... فالمصري كان محبا للعمل الجماعي الخلاق، ومبدعا فيه، وإلا ما ترك لنا آثارا عظيمة شارك فيها، وهي الآن تحمـل

اسم الملك، وليس اسم كل من حمل حجرا وأرساه في بنائهـا ... وحتى في الفنون المستحدثة ... تبدو الفرديـة أحيانًـا ... لكنها ليست السمة السائدة، فالمصري البناء – وهو السـواد الأعظم – ما زال يشارك بروح الجماعة في أعمال عظيمة، بدءا من العمارة وانتهاء بالأعمال الفنية الجماعية، التـــي تتطلب روح الفريق، مثل فنون : المســـرح والســـينما والأوبريت، التي ما زال المصري يعتبر رائدا فيها، في كل المنطقة العربية، وما زال الأكثر تفوقًا على كـل العـرب – رغم تقدم بعضهم فيها أيضا – وإن كنـت لا أنكـر بـروز الفردية والسلبية، وإطلالهما برأسهما الكريه، فـــي العقـــود الثلاثة الماضية : سواء على المستوى الاجتماعي في مجـال الإبداع بالنسبة للفنون التي يمكن أن تمارس – أو يمارسـها الفرد – بذاتية مطلقة.

أما عن روح الفوضى وعـدم الطاعـة للسـلطات ... والافتقار إلى الوعي الاجتماعي والمسئولية الوطنية ... فأرى – وهذا ليس دفاعا عن الشعب المصري – أنها سمة ظهرت – مؤخرا أيضا – على السطح ... لكن عكسها تماما ما زال يعتبر سمة كامنة تحت السطح، تتجلى وتظهر في الملمات،

والحروب، والمناسبات الوطنية، لكنها لم تنـدثر نهائيـا ... فالمطالع لفوضى الحياة المصرية، المتضحة في كل المناحي، قد يعجب إلى حد الذهول، وقد يتساءل هل هؤلاء المصريون هم أحفاد بناة الأهرام العظام؟!! وقد يتصور أن هناك عقودا من التيه، قد فصلت بين الجدود والأحفاد ... !! حتى وكـأن أناسا آخرين قد سكنوا الأراضي المصرية ... ليسـوا أحفـاد الفراعنة العظام ... لكنه ما يلبث أن يتبين المعـدن الطيـب الأصيل لهذا الشعب، وحبه للنظام، وطاعته للسلطات،
والتزامه بروح الجماعة، ووعيه الاجتماعي العالي، وإحساسه الراقي بالمسئولية الوطنية ... ولكن لماذا هذا التحول الظاهر في الشخصية المصرية ؟!... الحقيقة أن هذا موضوع آخر، قد يرجعه البعض إلى افتقاده للقيادة والقدرة ! أو افتقـ ـ ـاد المصري لفكرة الامتداد الإلهي للحاكم ( أو فكرة الفرعـون الإله) !! أو لكم الفساد السائد في الأوساط السـلطوية بكـل أشكالها ( الأبوية والقادية والحاكمة) أو لأن الناس كما يقول المصري ذاته : " أصبحت تخاف ولا تختشيش"!!
أو لافتقادهم لمشروع قومي ... المهـم أن شـرح الأسـباب

المؤدية إلى هذه الظاهرة الحديثة تحتاج إلى تعمق أكثر، وهي ليست موضوعنا في هذا الكتاب على أية حال.

أما عن عدم التعاون، عـ ـ ـــدم الثقـ ـ ـــة فـ ـ ـــي الآخرين، والشعور بالحاجة إلى الأمان الشخصي، وأيضـ ـا سوء الظن، والعداء المتطرف، الذي يصحبه تأدب مبالغ فيه، فهي في رأيي سمات عربية ... وليست مصرية، فالمصـ ـري من واقع تحليل أمثاله، الفلسفة التي تتبناهـ ـا ... " متعـ ـاون " ولديه شعور فطري بالأمان الناتج عن تدينه العميق، أيا كان دينه – وقد أسهبت سلفًا في شرح ذلك لكن العقود الأخيـ ـرة التي انفتح فيها المصري على العالم العربي ... وهاجر إلـ ـى النفط وأمواله بأعداد بلغت الملايين، مغيـ ـرا مـ ـن طبيعتـ ـه الرافضة للغربة والاغتراب ... المنتمية إلى حد العشق والوله لأرضه ووطنه، قد تأثرت إلى حد مـ ـا بالطـ ـابع العربـ ـي، أو بهذه السمة العربية ... لكنها – في رأيي – لم تتجذر في نفسه، ولم تتأصل في ذاته، إلى الحد الذي يلغي حبه للتعاون والتكافل، وإيمانه بروح الجماعة، وشعوره بالانتماء والأمان في بلده ... فهي – كما أرى – مرحلة لابد إلى انقضـ ـاء ... وسمة غير راسخة، لابد إلى زوال ...ويمكن بتخطيط وتوعية

أن يعود المصري المعاصر إلى طبيعته السمحة الطيبة غير العدوانية، التي أكدت الأمثال الشعبية أنها سمة سائدة فيها.

أما ما قاله " جاك بيرك" عن ولع العربي بالكلام الغني المنمق متمثلاً في الخطب والشعر والأغـاني ... وتفضـيله للقول على الفعل، وللكلمات على الأشياء ... فلا مفـر مـن الاعتراف بأن المصري المعاصر قد تأثر بـذلك كثيـرا ... حتى بات الاكتفاء بالتعبير عن الوطنية بالكلام، والغناء، والخطب الرنانة، بديلاً عن البذل والتضحية بالدم في سـبيل الوطن ... وإن كان لابد من الاستدراك هنا، والقــول بــأن المصري ما زالت وطنيته تظهر في الشدائد التي تلم بوطنـه وأهله، فيظهر من العمل – وليس القول – ما لم يكن يتوقعه الملاحظ أو المراقب لسلوكه اليومي والفردي السائد الآن.

أما عن الميول العدوانية، وسمة العداء – التي تناولتهـا د. فاطمة المصري – فهي سمة عربية، لم يثبـت تحليلـي لفلسـفة المثـل الشـعبي المصـري أنهـا سـمة مصرية، فالمصري ميال للتسامح والتصالح، والمهادنـــة والملاينة، كفلسفة شعبية سائدة ... كما أن إرجاعها للميـول العدوانية واستخدام التـأدب كأسـلوب أو وسـيلة لإخفـاء

العداء، الناتج – في رأيها – عن الفقـر والكبـت الجنسـي والاقتصادي والسياسي، كمولد لهذا العداء ... فأراه ظـاهري أيضا، وآني فقط، وعربي وليس مصري، فمصـر الفقيـرة دائما، والتي عانى ويعاني شعبها من كـل أشـكال القهـر والكبت، لم نجده ينفس – عبر تاريخها الطويل – عن هـذا القهر بالعدوان أو الميل له ... بل عبر عنه بالفنون الشـعبية المختلفة، والتنفيس عنه بالسخرية، والنكتة اللاذعة، والتحسر على انقلاب الأحوال، وعدم التقدير لذات المصري الكريمة، وأيضا ظهر هذا التنفيس في الشجن الخفي، الذي يسكن نفس المصري ... حتى في لحظات سعادته على قلتها، كما ظـل يظهر عبر القرون، كلما اشتد القهر في لونين لا ثالث لهمـا هما: "التصوف" أو التدين المبالغ فيه، وفـي "المجـون" أو التحامق، والاستعلاء على الأمور بهذين الأسلوبين، وليس بالعداء والعدوانية والعنف ... والملاحظ لما يجتـاح مصـر الآن، من عنف وإرهاب وتطرف، لابـد لـو تتبـع مصادره، ومصادر إذكائه وتمويله، ومنحه شرعية، سـيجد أنها مصادر غير مصرية، قد تكون عربية، أو إسلامية (ممن يدعون الإسلام دون فهم مستنير لجوهره ) ... لكنها أبدا لـم

تكن مصرية، ولن تكن ... إنما هي استغلالاً للروح الطيبة، وللسذاجة والأمية المصرية المتفشية، ورد فعل مفتعل للقهـر الذي طالما عانى منه المصريون، دون أن يجابهوه بـالعنف والإرهاب ... إذن هي ظاهرة دخيلة وليست سمة أصيلة.

هذا وأرى أن التعبير عن الصـداقة أو العـداء لـدى المصري قد يبدو في الكلام والمناقشات الحادة ... لكنه أبدا لم يكن حرق وقتل وسفك دماء ... إلا مؤخرا، وهــو ظــاهرة جديرة بالدراسة، قد تكون الأمية الثقافية، والنمطية والجمـود في التفكير، والتمسك بالموروث سببا لها ... لكنها على أيـة حال لم تبدأ – كظاهرة عامة فـي مصـر – إلا بـالتطرف الديني، الذي بدأ مؤخرا ولم يلتفـت إليـه إلا بعـد حـادث المنصة، وما تلاه من اغتيالات للشخصيات العامة، وسلســلة من العنف اجتاحت الحياة الاجتماعية المصرية، بـــــدأت بمسلسل قتل الأزواج، الذي لا يتفق وطبيعة المرأة – والمرأة المصرية بالذات – انتهى بسلسلة من الجرائم التي تقطع صلة الرحم ... وتمزق الروابط الأساسية القوية، التي يعتـز بهـا المصري، ويعبر عنها في أمثاله الشعبية، بوصفها عنصـرا من عناصر الاستقرار، الذي ينشده لحياته بل ويعشقه.

وإذا كان " برجر " يرى أن الشخصية العربية بما فيها من عداء، وعدم طمأنينة وسوء ظن، وغيره وتنافس ... يعوض عنها العربي بالتدين وأساليب الاستعطاف والكرم والتعاون ... فأنا – على ضوء دراستي لسمات المصري – أنزهه – واقعا وليس دفاعا – عن هذه السمات ... بل أرى فيه من السلبيات ما يتناقض مع هذه السمات، فهو مستكين يبالغ في التواضع إلى حد المسكنة، وهو كثير ما يحسن الظن بالآخرين، ويتسامح معهم، بل أن المصري الآن يفتقد إلى روح الغيرة والمنافسة الفاعلة، التي تجعله يعود إلى سابق عهده من الخلق والإبداع، والعمل الجميل الخلاق، والبناء، الذي يرجع به لمصر وجهها الحضاري الحقيقي ... ويعيد لنفسه سماتها الأصيلة.

من كل ما سبق نخلص إلى أن المصري تأثر بالفتح العربي والاحتكاك بالعرب ... ولكن ليس إلى الحد الذي يمسخ شخصيته الأصيلة ... وقد عددنا ما يتفق فيه مع الشخصية العربية، وما يختلف فيها عنها ... وقد وضح من استعراضنا السالف للأمثال العامية المصرية أن هناك كثيرا منها من أصل عربي متداول، وقد بينت ذلك أمام كثير من

الأمثال، ولا أجد غضاضة في هذا الفصل من ذكر كم مـن الأمثال العربية، التي ما زالت تتداول بين العامة والخاصـة المثقفة المصرية، إما بنصها، أو بمعناها ... وسنورد فيما يلي نماذج للأمثال العربية المتداولة لفظًا في مصر وفقًا لما ورد في " مجمع الأمثال " للميداني، ولما استطعت جمعة بنفسي، من ألسنة العامة، ومـن الكتابـات والأحاديـث الصـحفية والإذاعية والتليفزيونية، وهي على سبيل المثال لا الحصـر نصا:

- من نكث فإنما ينكث على نفسه.
- ما كل ما يتمناه المرء يدركه.
- السلطان من بعد عن السلطان.
- من راقب الناس مات هما.
- يكاد المريب يقول خدوني.
- رب العبـاد إذا وهـب لا تسـألن عـن السـبب ( الرزق).
- مصائب قوم عند قوم فوائد.
- الدين هم بالليل ... وذلة بالنهـار ( قـول للقمـان الحكيم).

- شر البلية ما يضحك.
- كل إناء بما فيه ينضح ( عن الأصل).
- تجوع الحرة ... ولا تأكل بثدييها ...
- أبصر من زرقاء اليمامة.
- تطلب أثرا بعد عين.
- جوع كلبك يتبعك.
- أجود من حاتم.
- كن جميلاً ترى الوجود جميلاً ( شعر متداول).
- عدو عاقل خير من صديق جاهل.
- الصديق عند الضيق.
- الحرب خدعة.
- الحديث ذو الشجون...
- من جد وجد.
- الحق أبلج والباطل لجلج.
- الحر حر ولو مسه الضر.
- أحبب حبيبك هونًا ما.
- أحمق من هبنقة.
- إما عليها وإما لها.

- إذا أخصب الزمان جـاء الغـاوي والهـاوي ( أي الجراد والذباب).
- إنما الشيء كشكله.
- الطيـور علـى أشـكالها تقـع ( البـيض الفاسـد يتدحرج على بعضه).
- قل لي من صديقك أقل لك من أنت ( لـه مـرادف فرعوني ومرادف عامي مصري).
- رب رمية من غير رام.
- كل فتاة بأبيها معجبة.
- ما لجرح بميت إيلام.
- من تأنى نال ما تمنى.
- الوقت من ذهب.
- باع كرمة، واشترى معصرة.
- مكره أخوك لا بطل.
- يبقى على شعرة معاوية.
- كالشعرة التـي قصـمت ظهـر البعيـر ( كالقشـة التي ... ... ).
- الوقت كالسيف إن لم تقطعه قطعك.

- لو ... تفتح عمل الشيطان.
- لا يصح إلا الصحيح.
- الخلاف في الرأي لا يفسد للود قضية.
- ليس من سمع كمن رأى (أو ليس الخبر كالعيان).
- لا يشكر ا من لا يشكر الناس ( كان متداولاً قبل قرن كأنه عامية).
- ما ضاع حق وراءه مطالب.
- قليل دائم خير من كثير منقطع.
- كل ممنوع مرغوب.
- تجري الرياح بما لا تشتهي السفن ( أو تأتي الرياح ... ... ).
- تحصيل حاصل.
- المال الحرام لا يدوم.
- القناعة كنز لا يفنى.
- رحم ا امرأ عرف قدر نفسه وكفى ا شره ( يكتفي الآن بالجزء الأول منه).
- الغاية تبرر الوسيلة ( مبدأ مكيافيللي، وقد صار مثلاً).

- الحاجة أم الاختراع.
- الجزاء من جنس العمل.
- العقل السليم في الجسم السليم.
- خير صديق في الوحدة كتاب.
- من علمني حرفًا صرت له عبدا.
- إن كنت لا تدري فتلك مصيبة، وإن كنـت تـدري فالمصيبة أعظم ( شعر قديم).
- المساواة في الظلم عدل.
- على الباغي تدور الدوائر.
- الاعتراف بـالحق فضـيلة ( أو الرجـوع للحـق فضيلة).
- لقد سبق السيف العزل.
- وداوني بالتي كانت هي الداء.
- بلادي وإن جارت علي عزيزة ( شـطر مـن بيـت شعر متداول).
- قد أعذر من أنذر ( قول لمعاوية بـن أبـي سـفيان متداول).

- سوء الظن من حسن الفطن ( سـوء الظـن لـيس سمة مصرية).
- إذا أنت أكرمت الكريم ملكته، وإذا أكرمـت اللئـيم تمردا ( شعر متداول).
- لكل زمان دولة ورجال.
- طريق الألف ميل يبدأ بخطوة ( مستحدث نسبيا).
- كل لبيب بالإشارة يفهم.
- إن أردت أن تطاع فأمر بمستطاع.
- كل يغني على ليلاه.
- خادم القوم سيدهم.
- الشيء بالشيء يذكر.
- أول الغيث قطرة.
- من عرف لغة قوم أمن شرهم.
- سرك أسيرك فإن نطقت به كنت أسيره ...
- صنعة في اليد أمان مـن الفقـر ( يكتفـي بـالجزء الأول فقط).
- كن ذئبا حتى لا تأكلك الذئاب.
- وهل يصلح العطار ما أفسده الدهر ؟!

- الشكوى لغير ا مذلة.
- كذب المنجمون ولو صدقوا.
- المصائب لا تأتي فرادى.
- لا يفل الحديد إلا الحديد.
- العفو عند المقدرة.
- مالا يدرك كله لا يترك كله.
- يقطع الشك باليقين.
- كالمستجير من الرمضاء بالنار.
- يذيقه الأمرين ( الفقر والهرم).
- زر غبا تزداد حبا.
- لو دامت لغيرك ما آلت إليك.
- المعنى في بطن الشاعر.
- أسد علي وفي الحروب نعامة.
- رجع بخفي حنين.
- العقد شريعة المتعاقدين.
- إذا كان الكلام مـن فضـة فالسـكوت مـن دهـب ( له أصل فرعوني أيضا ).
- عند جهينة الخبر اليقين ...

- قطعت جهيزة قول كل خطيب.
- إذا قالت حزامى فصدقوها، فخير القول ما قالته حزامى.

( مختصرة: القول ما قالته حزامى).

- صدرك أوسع لسرك.
- الحسود لا يسود.
- إذا أتتك مذمتي من ناقص، فهي الشهادة لي بأني كامل ( شعر متداول).
- هل يفتي ومالك في المدينة.
- إذا حضرت الملائكة ذهبت الشياطين.
- لكل مقام مقال.
- لا في العير ولا في النفير.
- لا تمازح الشريف فيحقد عليك، ولا الدنيء فيجترئ عليك.
- اتق شر غضبة الحليم
- لا تنه عن خلق وتأتي مثله.
- مقتل الرجل بين فكيه.

- ما أشبه الليلة بالبارحـة ( هنـاك مثـل فرعـوني عكس هذا المعنى).
- اليوم خمر، وغدا أمر ( من أقوال امرئ القيس).
- من حفر حفرة لأخيه وقع فيها.
- داين تدان.
- عز من قنع وذل من طمع.
- جنت على نفسها براقش.
- سلاح الضعفاء الشكاية.
- أملك الناس لنفسه من كتم سره.
- لا تؤجل عمل اليوم للغد.
- على قدر أهل العزم تأتي العزائم ( شعر متداول).
- من سل سيف البغي قتل به.
- الغضب ريح تهب فتطفئ سراج العقل.
- لا صديق لسيئ الأدب.
- المرء يعرف بأقرانه.
- إذا حسن البدء حسن الختام.
- رب ضارة نافعة.
- راح يدلي بدلوه.

- إذا عرف السبب بطل العجب.
- إذا حضر الماء بطل التيمم.
- عامل الناس كما تحب أن يعاملوك.
- حب لأخيك ما تحب لنفسك.
- الصحة تاج على رؤوس الأصحاء ... لا يـراه إلا المرضى.
- من طلب العلا سهر الليالي.
- إنما على الأرض القوى مسيطر.
- دعوة حق يراد بها باطل.
- بريء براءة الذئب من دم بن يعقوب.
- رب صدفة خير من ألف ميعاد.
- خير الكلام ما قل ودل.

وكما توجد أمثال عربية متداولة نصا ولفظًا بين العامة – أو لنقل بين الخاصة المثقفة المتعلمة حتى لا نكون مبالغين – فهناك أمثال عربية متداولة معنى فقط، بمعنى أن المصري أعاد صياغتها بلهجته العامية، أو التقط ما تقدم من صور، وقدمها بمفرداته العامية، ومن هذه النوعية عدد غير قليل من

الأمثال، نورد منها – على سبيل المثـال أيضـا ... ولـيس الحصر – النماذج التالية:

- إذا لم تستح فافعل ما شئت ( المتداول : اللــي مــا يستحي يفعل ما يشتهي).
- إياك أعني واسمعي يا جارة ( المتداولـة : الكـلام لك يا جارة وإنت عاملة حمارة).
- خلا لك الجو فبيضي وأصفري ( يكتفي القول: خلي لك الجو).
- أمران أحدهما مر ( يقابله : اختار أحسن الوحشين، أو : إيه اللي رماك على المر، قال: اللي أمر منه).
- ترى الفتيان كالنحل، وما يدريك ما الدخل ( يقابله: من برة هلا هلا ... ومن جوه يعلم ا ).
- جزيته كيل الصاع بالصاع ( يقابله: كال له الصـاع صاعين).
- حسبك من الشر سماعه ( يقابله ... إبعد عن الشـر وغني له).
- أنجز حر ما وعد (أو: وعد الحر دين عليه).

- من نام لا يشعر بشجو الأرق ( يقابله : عمر الشبعان ما يفت للجعان، أو: اللي إيده في المايـة مـش زي اللي إيده في النار).
- خالف تذكر ( يقابله: خالف تعرف).
- أخنى عليه الذي أخنى على لبد ( يقابله: أخنى عليـه الدهر، أو جار عليه الزمان).
- لا تكن يابسا فتكسر ولا لينا فتعصر ( يقابله: إمسك العصايا من النص، أو : خير الأمور الوسط).
- إذا لم تكن لي والزمان شرم برم، فـلا خيـر فيـك والزمان تراءى لي ( شعر له صـياغة حلمنتيشـية عامية).
- إن غدا لناظره قريب ( يقابل: بكره نقعد على الحيطة ونسمع العيطة).
- ألا من يشتري سهرا بنوم ( يقابله : اشـتري وجـع قلبه بإيديه).
- بلغ السيل الزبي ( يقابله: فاض الكيل).
- رب ساع لقاعد ( يقابله: اجري يا مشكاح للي قاعـد مرتاح).

- قلب له ظهر المجن ( وراه الوش التاني).
- ابكي من يتيم ( يقابله: متعلمش اليتيم بكا).
- حسبه صيدا فكان قيدا ( يقابله: تيجـي تصـيده يصيدك).
- بطن جائع ووجه مدهون ( يقابله: إملأ بطنك بـالتبن وادهن بقك بالسمن).
- ابنه على كتفه وهو يطلبه ( يقابله: يبقى ابني علـى كتفي وأدور عليه).
- بقدر السرور يكون التنغيص ( يقابله : آخرة الضحك نكد).
- بعد البلاء يكون الثناء( يقابله: مـا محبـة إلا بعـد عداوة).
- بذات فمه يفتضح الكذوب( يقابله: إذا كنت كذوبا فكن ذكورا).
- بشر مال الشجيع بحادث أو وارث ( يقابله: مـال الكنزي للنزهي).
- الهوى الهوان ( يقابله: الحب بهدلة).

- هيهات تضرب في حديد بارد( يقابله: أطرق الحديد وهو سخن).
- أنم من زجاجة على ما فيها ( يقابله: اللي في قلبه على لسانه).
- ما كل ما يعلم يقال ( يقابله الآن: ما كل ما يعرف يقال).
- العلم في الصدور لا في السطور ( يقابله: العلم في الراس مش في الكراس).
- الوحدة خير من قرين السوء ( المتداول الآن: الوحدة ولا رفيق السوء).
- إذا كان سقفك من زجاج فلا ترم الآخرين بالحجارة ( ياللي بيوتكم إزاز ليه ترموا الناس بالطوب، أو : اللي بيته من إزاز ما يحدفش الناس بالطوب).
- من الألفة عدم الكلفة ( يقابله: كتر الألفة ترفع الكلفة).
- يسب ويأسو ( يجرح ويداوي).
- من له في الغيب شيء ... إلا يناله ( يقابله المكتوب على الجبين لازم تشوفه العين).

- رب أخ لم تلده أمك. يقابله ( صديق صح أخير مـن أخ).
- رب مملول لا يستطاع فراقه ( يقابله : لا أحبـه ... ولا أقدر على بعده).
- بيضة اليوم خير من دجاجة الغد ( يقابله: بيضـتها ولا ليلتها).
- كل شاه برجلها معلقة ( يقابله: كل واحد معلق مـن عرقوبه).
- كل إناء يرشح ما فيه ( متداول: كل إناء بمـا فيـه ينضح).
- لن يهلك امرؤ عرف قدره ( المتداول: رحم ا امرأ عرف قدر نفسه).
- لما اشتد ساعده رماني ( ويسبقه أحيانًا: علمته الرمي ... ويقابله: علمناهم الشحاتة سبقونا على الأبواب).
- لا ناقتي في هذا ولا جملي ( المتداول: لا ناقـة لـه فيها ولا جمل).
- لا ينفع حذر من قدر ( يقابله: الحـذر مـا يمـنعش قدر).

- لا يذهب العرف بين ا والناس ( المتداول: لا يذهب المعروف، أو المعروف مبيضعش).
- مات حتف أنفه ( المتداول: رغم أنفه).
- المزاحة تذهب المهابة ( يقابله: الهزار يقل المقدار).
- من صدق ا نجا( يقابله: الصدق منجي).
- من أشبه أباه فما ظلم (المتداول:من شابه أبـاه فمـا ظلم).
- المرأة من المرء، وكل أدماء من آدم ( متداول: كلنا ولاد آدم).
- إذا ذهب الحياء حل البلاء (المتداول:إذا لـم تسـتح فافعل ما شئت).
- ما يحك جلدي مثل ظفري ( يقابله: ما يهرش لك إلا إيدك).
- معظم النار من مستصغر الشرر ( يقابله: تقـاوي البلاوي كلمتين فارغين).
- علي أن أسعى وليس علي إدراك النجاح ( يقابله: هو أنا مغسل وضامن جنة؟!).

مما سبق من نماذج نستطيع القـول بـأن الشخصـية المصرية – كما سلف ذكره في بداية هذا الفصل وفي الفصل الأول من هذا الكتاب – تأثرت على حد قول د. ميلاد حنـا بالفتح العربي كرقيقة من الرقائق الحضارية، التي تعاقبـت على مصر – وأتفق معه في ذلك – موضحة أنه مجرد تأثر بالاحتكاك واللغة والدين، ولـيس إعـادة خلـق للشخصـية المصرية الأصيلة، والمتفردة والعبقرية. ... بل لعله من نافلة القول أن أكرر ما ذهب إليه من قبلي كثيرون، ممن قالوا بأن مصر لا تذوب في الآخرين... ولكن الآخرين هم من يـذبون وينصهرون في بوتقتها ... فهي تؤثر أكثر مما تتأثر، وهــذا سرها ولغزها !! الذي حاول ثبر غـوره الكثيـرون، ممـن حاولوا معرفة كنهه وأسبابه، ولم يصلوا إلى سبب ... سـوى أنها مصر العظيمة وشعبها العظيم... لماذا ؟!! لا يسـعنا إلا الرد بالقول السائر"من غير ليه".. أو لعل هناك مبررات ترد على هذا الاستفسار ... ليس مجالها هذا البحث، ولذلك أشرت إلى الجوانب التي تأثر فيها المصري بالعربي، ومن يريد أن يدرك كم التأثير والتأثر بين الشخصية المصرية والشخصية العربية، فعليه بالعديد من الكتابات الأخرى، وفـي مقـدمتها

كتاب السيد ياسين " الشخصية والصورة الذهنيـة المنطبعـة عن العرب في الغرب بدوله المختلفة ... ويرصد تكـرارات مجدولـة ومرتبـة تنازليـا لسـمات الشخصـية العربية، يسـتعرض فيهـا معيشـتهم البدويـة ومسـتواها المنخفض، ومدى تفككهم والتنافس فيمـا بيـنهم ومسـتوى تعليمهم المنخفض، واتسامهم بعدم الأمانة وبأنه لا يوثق بهم، وكيف تسود بينهم اتجاهات غير ديمقراطية، وأن حقـوق النساء العربيات قليلة، كل ذلك في مقابل إشارات طفيفة إلى بعض لصفات الطيبة للعرب (*)

كما تجدر الإشارة هنا – قبل أن نختتم هذا الفصل إلـى ضرورة الرجـوع إلـى عـدد ممتـاز أصـدرته مجلـة " الفكر المعاصـر القـاهري " (**) بعنـوان " الشخصـية المصرية" تناول فيه عدد من الباحثين في دراسات متنوعـة شخصيتنا القومية، ومحاولات نقد الذات، والطـابع القـومي للشخصية، ومصر النهرية، والشخصـية المصـرية بـين الإيجابية والسلبية، وظـاهرة المـوت فـي حيـاة المصريين، وشخصيتنا بين القدرية والتواكلية، ونحـن

(*) السيد ياسين المرجع المشار إليه ص ١١٨ مكتبة مدبولي الطبعة الرابعة ١٩٩١ .

(**) أبريل ١٩٩٦ .

وظاهرة الاغتراب ونزعة الابتعاد عن الواقع، وشخصـيتنا من المأثورات الشعبية، وملامح من شخصية المرأة المصرية ... وبالمقارنة بين شتى الدراسات التي تناولـت الشخصـية المصرية والشخصية العربية ككل، أو الصـور الفرعيـة منها، يستطيع من يريد، أن يكتشـف المقارنـة بـين كـل الشخصيتين، وأيهما أقوى وأكثر تحديدا، وأكثر تـأثيرا فـي الأخرى، فالبعض يرى أن مصر بما كانت تمتلـك – ومـا زالت – منذ بداية القرن الموشك على الانتهاء – من وسائل اتصال: صحف وإذاعة وسينما وتليفزيون، قد أثـرت فـي الشخصية العربية، والمفاهيم السائدة فيها، وفـي فنونهـا ولهجاتها بأكثر ما حدث لها من تأثر خلال ١٤ قرنًا مضـوا ... وعلـى أيـة حـال فمجـال البحـث المفتـوح علـى مصراعيه، لمن يريد إثبات ذلك أو دحضه، بالدراسـة والتحليل لشتى المظاهر السلوكية، والفنون والآداب الشـعبي منها والفصيح.

هذا ولعل الدراسات التي أجريت بعـد هزيمـة ١٩٦٧ حول الشخصية القومية العربية، باعتبارها من بين عوامـل الهزيمة، وحاولت نقد الذات العربية والمصرية، من منطلـق

كونها ككل شخصية " فهلوية" وأعمق هذه الدراسات هي كتاب صادق جلال العظيم "النقد الذاتي بعد الهزيمة"، الذي رأى فيه أن الشخصية العربية تميل إلى إزاحة المسئولية عن النفس وإسقاطها على الغير، منطلقة من المنطلق التبريري.

هذا وقد أفاض د. حامد عمار في دراسته المسماة: " الشخصية الفهلوية" في إطار دراسة متكاملة جعل لها عنوانًا " التربية الاجتماعية للشخصية" ووضع لهذه الشخصية " الفهلوية" سمات أساسية نذكر منها " التكيف السريع لمختلف المواقف، وإدراك ما تتطلبه من استجابات مرغوبة، والتصرف وفقًا لمقتضياتها، إلى الحد الذي يراه مناسبا" وتتميز هذه القدرة على التكيف السريع بالمرونة، والفطنة، والمسايرة السطحية، والمجاملة العابرة، التي يقصد به تغطية المواقف، وتورية المشاعر الحقيقية بمعنى عدم وجود ارتباط حقيقي بين ما يقوله المرء وما يقوم به مظاهر سلوكية – وهو ما ذهبت إليه في هذا البحث، حينما تناولت سمة " ذكي فطن" ... كما ذكر حامد عمارة من السمات الفرعية للشخصية الفهلوية: النكتة المواتية كخاصية يتميز بها النمط المصري – وهو ما ذكرته في

الحديث عن سمة " ساخرة " – وهو أيضا ما أفرد له عـادل حمودة كتابا خاص، تعرضت لبعض أفكـاره فـي الفصـل الأول.

كذلك ذكر حامد عمارة: المبالغـــة فـــي تأكيـــد الذات، والميل الملح إلى إظهار القدرة الفائقة، والتحكم فـي الأمور – وقد تعرضت لهذا أيضا، كسـمة فرعيـة للسـمة المصرية الأصيلة السائدة "طيب عفوي" التي تفـرع عنهـا "تلقائي ومبالغ" في كل الأمور، فـــــــي الحـــــــزن والفـرح، والعطاء، والكرم، وتأكيد الذات، أي مبالغ بوجـه عام.

أمـــا عـــن ســـمة ســـيادة النظـــرة الرومانتيكيـــة للمساواة، حيـث يشـعر المصـري فـي قـراره نفسـه بالنقمة والسخط على الأوضاع، والتفرقـــة أي كـــان نوعهــا، أو دوافعها ومبرراتها، واتصــال ذلــك بعــدم الاعتراف بالسلطة أو الرئاسة، والتنكـر لهـا فـي أعمـاق الشعور" ... فقد تناولتها أيضا في مناقشتي لسمة " ساخر" وسمة "سلطاوي" أي يحترم من هم أكبر منه، ويخشـى كـل أشكال السلطة، الأبوي منها والسلطاوي الحاكم ...وإن كـان

يسخر من السلطة، ومن حكامه فهو يهادنهم، ويخشـاهم ... ولكن لا يحبهم ولا يحترمهم في قرارة نفسه ... حتى إذا أحب حاكمه – كما هو الحال في فترات القيادة الكرزميـة ( مثـل الحقبة الناصرية) – فقد كان عبد الناصر محبوبا، وله هيبته ... ولكن الأمر لم يخلو من نكات ساخرة منه، ومن عصره، وقد أوضح ذلك وأسهب فيه عادل حمودة في كتابه المشـار إليه سلفًا " كيف يسخر المصريون من حكامهم؟".

أما عن الطمأنينة إلى العمل الفردي وإيثاره على العمل الجماعي كسمة مكملة للشخصية الفهلوية – فقد أشرت سـلفًا إلى أن نتائج هذا البحث لم تؤكدها؛ لأن المصري من واقـع تحليل أمثاله الشعبية " متعاون" ... وطالما شارك في أعمـال جماعية خالدة، وقـد أوضـحت عـدم اتفـاقي مـع مـن قالوا: ... بفردية المصري، إذ أراها سمة دخيلة تتعلق بالحياة المادية للمصري، الذي تؤكد أمثاله كراهيته للشراكة ... لكنه بصفة عامة محب للآخرين ومتعاون، وإن بدأت تظهر هـذه النزعة الفردية مؤخرا، فهي سمة دخيلة ومستحدثة، قد تسود إذا ما استمر المد المادي وطغى ... أمـا إذا حـدث وعـاد

المصري لأصالته؛ بقليل من التوعية وتبـدل الظـروف ... فستتأكد من سماته الأصيلة، البعيدة عن هذا الاتجاه.

كذلك الحال بالنسبة لسيادة الرغبة في الوصـول إلـى الهدف بأقصر الطرق وأسرعها، وعدم الاعتراف بالمسـالك الطبيعية، وهي ظاهرة لا سـبيل إلـى إنكارهـا ... لكنهـا مستحدثة ... إذا لـم تثبـت مـن خـلال تحليـل الأمثـال الشعبية، التي أكدت أن المصري " متأني" يكره التعجل، وأنه " متقن لعمله يعلي قيمة العلم والعقل، والأصل، والعمـــل الطيب على قيمة المال ... ويفرق بدقة بين الحلال والحرام، ويكره الحرام، ويرى فيه انعدام البركة، وزوال الخيـــر كله؛ ولذلك فهذه السـمة الدخيلـة أرجعهـا إلـى العقـود الأخيرة، التي طغت فيها الماديات على المعنويات... لكننـي أتصور أنه لو أجرى آخر على التعبيرات الشعبية المستحدثة والسائدة الآن بين الشباب ... بل وبين كثير من فئات الشعب المصري ... فربما تثبت مثل هذه الدراسة بروز هذه السـمة الأخيرة.

ويؤكد ذلك أيضا أن حامد عمار نفسه.

" بحسه المنهجي الدقيق، حرص على أن يـورد تحفظـات متعددة بصدد هذا ( النموذج المثالي) الذي صاغه، واعتبره مجرد

( فرض) يحتاج إلى مزيد من المناقشة واستكمال الأدلة لتي تثبته أو تدحضه، ومن ناحية أخرى أكد أن هذه السمات جميعـا هـي وليدة الظروف السياسية والاجتماعية والاقتصادية، وأنـ ـ ـ ـواع المؤسسات والنظم التي ترتب كيان المجتمع وأنها ليست مقومات ( طبيعية) في المصري نشأت ونمت وستظل هي مقوماته أبدا، وإنما هي قابلة للتغير والتحوير" [١].

وفي هذا الاستشهاد دليلاً آخر على ما ذهبت إليه في هـذه الدراسة ... والتي أتعشم أن يتاح لي أن أعقبها بدراسة أخرى ... بدأت بالفعل فـي تجميـع مادتهـا لتحليـل مضـمون الأقـوال والتعبيرات، والتشبيهات، والكنايات العامية المصرية، وخاصـ ـة المستحدث منها ... بوصفه المعبر عن الفلسفة الحديثـة للشـعب المصري، التي تؤكد بقاء بعض السمات السالفة الذكر، وتنحـ ـي بعضها الآخر، وتوضح الانقلاب القيمي المصري، وإعادة ترتيب أولوياته أو إعادة ترتيب السلم القيمي المصري.

---

[١] سيد ياسين، الشخصية العربية ، ص ٢٢٦.

# الفصل الخامس
# الأمثال القرآنية المتداولة بين العامة

إذا كانت أبرز سمات المصري هي : " متدين" – وقـــد استعرضنا سلفًا العاميـة المصـرية المعبـرة عـن هـذه السمة، بكل ملامحها الفرعية – فلا شك أن الأمثال العربيـة التي ما زالت تتداول على ألسنة المصريين قد عكست أيضا – في جانب منها – سمة : " متدين " – كما أن المدقق لمـا يتواتر على ألسنة العامة في مصر من أمثال فصيحة سـيجد أن غالبيتها مأخوذة عن نصوص قرآنية، أو أحاديث نبوية ... وقد أشرت باقتضاب أمام بعض الأمثلة التي يتصور البعض من شدة ذيوعها أنها عامية – أشرت إلى أنها حديث نبـوي متداول، أو أية قرآنية متداولة ... لكني أفرد هذا الفصل لهذه النوعية بالذات من الأمثال نظرا لأهميتها؛ ولأنها تعبر عـن أهم سمات الشخصية المصرية؛ ولأنها تعتبر مـن المـداخل الإقناعية. التي يستخدمها المصريون للوصول إلى أهـدافهم مباشرة، ملخصــين الحكمـــة كلهـــا فـــي عبـــارة قرآنية، صات مثلاً من كثرة التداول، أو سنة نبوية لخصـها الحديث الشريف في عبارة وجيزة أقرب إلى الحكمة المصفاة

... مع ما فيها من صور تكاد تكون محسوسة لأمور معنوية مجردة ... أراد الرسول صلى ا  عليه وسلم أن يلج بها إلى النفوس الحائرة حول أمور كثيرة ... فنجح من خلالهـا فـي الوصـول – لـيس فقـط – إلـى القلـوب والمشـاعر والعواطف، ولكن حقـق باسـتخدامه لهـا اقتناعـا عقليـا، واستقرارا عميقًا في الوجدان ... دون أن يخاطـب مباشـرا بعبارات إرشادية مباشرة ... وإن لم يخل الأمر أحيانًـا مـن استخدام الخطاب المباشر، الذي تحول إلى حكمة من كثـرة تكراره على الألسنة بأسلوب تقريري؛ كالقول: " النظافة  من الإيمان" أو "الطهارة شطر الإيمان" لكنه قد حقـق باتجاهيـه التصويري أو التقريري – بعد أن صار مثلاً يضـربه كـل مؤمن – حقق بأقصر الطرق وأيسـرها ... اقتناعـا عقليـا وعاطفيا، رصده كثير من الباحثين في الدراسات الإسـلامية والإعلامية في آن واحد (*).

هذا وسنلاحظ أن الأمثال المستقاة مـن آيـات القـرآن وأحاديث الرسول صلي ا  عليه وسلم، قد نجحت بإعجـاز في أن تربط القضية أو الفكرة التي تتناولها بأشياء محسوسة

---

(*) للاستزادة في هذا الصدد راجع إحسان عسكر ( دكتور – فنون التبليغ القرآني ونظرياته) دار النهضة العربية، ١٩٨٦، وراجع أيضًا : سيد قطب، التصوير القرآني، منشورات دار المعارف، الطبعة العاشرة.

في الواقع المعاش، كما أنها – أي الأمثال – كأسلوب تعبيـر قد جاءت متفقة تماما مع طبيعة الإنسان، الميالة إلى سـماع الأمثال، وحفظها، وترديدها، وحبه لهذا النسق من الصياغة، لما تتمتع به من جمال الأسلوب، وسلامة العبارة، ودقـــة الألفاظ، و"إصابتها للمعنـى، وطرافتهـا التـي تتجـدد ولا تبلى"[1]؛ ولذلك يقبل عليها، ويسلم بحكمها، ويقـوم بتعـديل سلوكه وتصرفاته وفقًا لمطلوباتها؛ لأنها تلخص له المواقـف الواقعية وتبسطها في صورة مكثفة.

هذا وقد أكد القرآن الكريم على أهمية الأمثال؛ بوصفها صيغة تساعد على إعمال الذهن والفكر، وأيضـا ترشـيد السلوك، وتربية الحس النقدي، كما أنها – كعبارات تصويرية – تثير حب الاستطلاع، وتربيـــــة الحـــــس النقدي، كما أنهـا – كعبـارات تصـويرية – تثيـر حـب الاستطلاع والرغبة في التأمل ... رغم الأمثال القرآنية تتميز بالأسلوب الواضح الذي يبسط الحقائق، ويـورد الأدلـة والبراهين بما يقنع العقل.

---

(1) د. عبد الغني بركة ، أسلوب الدعوة القرآنية ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، ص ٢٩٩ .

وقبل أن نبدأ في استعراض الأمثال المستقاة من القرآن، تجدر الإشارة إلى الآيات القرآنية التي تتحدث عن الأمثـال كوسيلة شحذ للفكر مثل قوله تعالى:

- " وتِلْك الأمثَالُ نَضرِبها لِلناسِ لَعلهم يتَفَكرون " [١].

وقوله تعالى:

- " وضرب لَنَا مثَلاً ونَسِي خَلْقَـه قَـالَ مـن يحيِـي الْعِظَام وهِي رمِيم * قُـلْ يحيِيهـا الـذِي أَنْشَـأَها أَولَ مرةٍ وهو بِكُل خَلْقٍ علِيم " [٢].

- " وتِلْك الأمثَالُ نَضـرِبها لِلنـاسِ ومـا يعقِلُهـا إِلا الْعالِمون" [٣].

-" يا أَيها الناس ضرِب مثَلٌ فَاسـتَمِعوا لَـه إِن الـذِين تَدعون مِن دونِ ا ِ لَن يخْلُقُوا ذُبابا ولَوِ اجتَمعـوا لَـه وإِن يسلُبهم الذباب شَـيئًا لا يسـتَنقِذُوه مِنْـه ضـعفَ الطالِـب والْمطْلُوب " [٤].

---

[١] سورة الحشر، آية ٢١.
[٢] سورة يس ، الآيتان ٧٨ ، ٧٩.
[٣] سورة العنكبوت ، الآية ٤٣ .
[٤] سورة الحج ، الآية ٧٣ .

- " فَأَما الزبد فَيذْهب جفَاء وأَمـا مـا ينفَـع النـاس فَيمكُثُ فِي الْأَرضِ كَـذَلِك يضـرِب ا ُ الأمثَـالَ " ( سورة الرعد : الآية ١٧ ).
- " أَلَم تَر كَيفَ ضرب ا ُ مثَلاً كَلِمةً طَيبـةً كَشَـجرةٍ طَيبةٍ أَصلُها ثَابِتٌ وفَرعها فِـي السـماءِ " ( مثـل تصويري ).
- " ويضرِب ا ُ الأمثَالَ لِلنـاسِ لَعلهـم يتَـذَكرون " ( سورة إبراهيم الآية ٢٥ ). وأيضــا " وضــربنَا لَكُم الأمثَالَ " ( سورة إبراهيم، الآية ٤٥ ).
- " فَلاَ تَضـرِبوا ِ الأمثَـالَ إِن ا َ يعلَـم وأَنْـتُم لاَ تَعلَمون " ( سورة النحل : آية ٧٤ ).
- " ضرب ا ُ مـثَلاً عبـدا مملُوكًـا ... " ( سـورة النحل : الآية ٧٥ ).
- " ضرب ا ُ مثَلاً قَريةً كَانَتْ آمِنَةً مطْمئِنـةً يأْتِيهـا رِزقُها رغَدا ... " ( سورة النحل : الآية ١١٢ ).

- " انْظُر كَيفَ ضـربوا لَـك الأمثَـالَ فَضـلُوا فَـلاَ يستَطِيعون سبِيلاً " ( سورة الإسراء : الآية ٤٨ ).

وإذا أردنا تتبع سور القرآن الكريم وآياته لاستخراج ما ضرب فيها من أمثال، لخرجنـا بكتـاب كامـل فـي هـذا الموضوع ... لكني هنا أعطي نماذج وأمثلة فقط ... كما أني سأورد ما صار مثلاً بالعبارة المتداولة بين العامة – ولـيس بما صوره القرآن – من صور تمثيلية أو تشبيهية؛ ليقـ ـرب فكرة ما من الأذهان ؛ ولذلك كـان لابـد مـن الاسـتدراك هنا؛ لتحديد ما سنعتبره مثلاً، وما سنعتبره تصـويرا قرآنيـا بليغًا وقديرا كصورة؛ وليس كعبارة موجزة مختصرة، دالة، أقرب إلى التعريفات الخاصة بالأمثال الشعبية، مـن حيـث الإيجاز، والحكمة والتكثيف، والشرطية والسببية، والبلاغة، ومما سبق أن أشرنا إليه في الفصل الثاني من هـذا الكتـاب تعريفًا للأمثال.

وعوضا عن الاسترسال في الشـرح والإفاضـة فـي إيضاح ما نرمي إليه، نلـج مباشـرة إلـى صـلب مـا نقصده ونرجئ التعليق عليه إلى نهاية هذا الفصـل، والـذي أعتبره مسك الختام لهذه الدراسة، التي أرجو أن تكون منطلقًا جيدا لغيري من الباحثين المتخصصين، كل في مجاله كـي

يعمق هذه الفصول؛ لتصير كتبا وبحوثًا مستفيضة ومفيدة في آن معا.

فعن الأمثال المتداولة بين الناس، والمأخوذة عن نـص قرآني، نجد أن الإنسان المصري – "المتدين" و"الذكي" فـي آن واحـد – قـد اسـتطاع باقتـدار انتقـاء مـا يصـلح مثلاً، فحتـى الآيـات السـابقة التـي تتنـاول الأمثـال التصويرية، نجده اختزلها، واختار خلاصتها؛ لتصير مـثلاً على لسانه كالاكتفاء بالقول: "ضعف الطالب والمطلـوب" أو "يحيي العظام وهي رميم" محتفظًا باللفظ أو المنطوق القرآني وبنفس صياغته، ونجـده أحيانًـا يقتـبس المعنـى فقط، ويعيد صياغته بعاميته القريبة من وجدانه والأيسر على لسانه فيقول: "ا أعلم" عوضا عن قوله تعالى : " وهو بكل خلق عليم " ... فالمعنى واحد ... وإن كان المنطوق المتداول أشمل، مـن حيـث هـو تلخـيص وتعمـيم فـي آن واحد، لتكرار اسم ا العليم بكل شيء بخلقه، وبالغيـب، وبالصيرورة ... وبلا نهاية، فهو اختزال معجز وجامع مانع، يحسب للمصري المؤمن والذكي معا، ولـذلك سـوف أورد النص القرآني المأخوذ عنه المثل، وفي مقابله ما يتردد على

الألسنة، إذا كان مختلفًا عنه ولو في حرف واحد، أو تحريف له بالإضافة أو الحذف، أو تغيير تركيب الجملة وصياغتها، كما سيتضح فيما يلي لما ورد في بعض سور القرآن الكريم:

- " وعسى أن تَكْرهوا شَيئًا وهو خَير لكُم " ( سورة البقرة : آية ٢١٦ وفي نفس المعنى سورة النساء : الآية ١٩ ).
- " ... ولَكِن ا َ يفْعلُ ما يريد " ( سورة البقرة، الآية ٢٥٣ ) ( ويقول العامة، أنت تريد وأنا أريد ، وا يفعل ما يريد).
- " لاَ إِكْراه فِي الدين قَد تبين الرشْد مِن الْغَي " ( سورة البقرة الآية ٢٥٦ ) ( ويكتفي بالجزء الأول من الآية).
- " ... بلَى ولَكِن ليطْمئِن قَلْبِي " ( سورة البقرة : الآية ٢٦٠ ) (متداولة كما هي تقريبا).
- " ولاَ هم يحزنُون " ( سورة البقرة : الآيات ٢٦٢، ٢٧٤، ٢٧٧، وسورة آل عمران : الآية ١٧٠، وسورة المائدة، الآية ٦٩، سورة الأنعام:

الآية ٤٨، سورة الأعراف: الآية ٣٥، ســـــورة يونس الآية ٦٣ ... الخ).

- " قَولٌ معروفٌ ومغْفِرةٌ خَير مـن صـدقَةٍ يتْبعهـا أَذًى وا ُ غَنِي حلِيم " ( سورة البقرة : الآيـــــة ٢٦٣) ( يتــداول جــزء منهــا وأحيانًــا يكتفــي بالقول: " ا الغني" ).
- " يؤْتِي الْحِكْمةَ من يشَاء" ( سورة البقرة الآية ٢٦٩).
- " وأَمره إِلَى ا ِ" ( سورة البقرة : الآية ٢٧٥ ).
- " ... فَنَظِرةٌ إِلَى ميسرةٍ " (سورة البقرة : الآية ٢٨٠).
- " ولاَ تَكْتُموا الشهادةَ" ( ســورة البقــرة : الآيــة ٢٨٣).
- " لاَ يكَلِّفُ ا ُ نَفْسا إِلا وسعها" (سورة البقرة: الآية ٢٨٦) وأيضا " لا نكلف نفسا إلا وسعها" ( سورة الأنعام: الآية ١٥٢ ) ( سورة الأعراف : الآية ٤٢ ).
- " ... وتَرزقُ من تَشَاء بِغَيرِ حِسابٍ " ( ســورة آل عمران : الآية ٢٧ ) ( ويقال، يرزق من ... ).
- "إِن ا َ يرزقُ من يشَاء بِغَيرِ حِسابٍ " ( ســورة آل عمران: الآية ٣٧).

- " إِذَا قَضى أَمرا فَإِنما يقُولُ لَه كُن فَيكُون" ( ســـورة آل عمران: الآية ٤٧).
- " ... موتُوا بِغَيظِكُم إِن ا َ علِيم بِـذَاتِ الصـدورِ " ( سورة آل عمران الآية ١١٩) ( المتداول، موتـــوا بغيظكم أيها الكافرون).
- " ... وتِلْك الأيام نُداوِلُها بين النـاسِ " ( ســورة آل عمران: الآية ١٤٠).
- " حسبنَا ا ُ ونِعم الْوكِيلُ" ( سورة آل عمران : الآية ١٧٣). ( دعاء متداول).
- " كُل نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْموتِ ... وما الْحياةُ الدنْيا إِلا متَاع الْغُرورِ " ( سورة آل عمران : الآية ١٨٥ ).
- " فَلاَ جنَاح علَيهِما أَن يصلِحا بينَهما صلْحا والصـلْح خَير " ( سورة النساء : الآية ١٢٨ ) ( ويكتفي الآن الجزء الأخير فقط.
- " الرجالُ قَوامون علَى النساءِ ... " ( سورة النســاء الآية ٣٤ ).
- " أَن النفْس بِالنفْسِ والْعين بِالْعين والأَنْـف بِـالأَنْفِ والأُذُن بِالأُذُن والسن بِالسن " ( سورة المائدة، الآيــة

٤٥ ) ( ويكتفي بالقول : العين بالعين والسن بالسن، وهو انتقاء ذكي).

- " لاَ يخَافُون لَومةَ لائِمٍ " ( سورة المائدة، الآية ٥٤).
- " عفَا ا ُ عما سلَف " ( سورة المائدة ، الآية ٩٥ ).
- " لاَ تَسأَلُوا عن أَشْياء إِن تُبد لَكُم تَسؤْكُم " ( سـورة المائدة ، الآية ١٠١).
- " فَقُطِع دابِر الْقَومِ الَّذِين ظَلَموا ... " ( سورة الأنعام، الآية ٤٥ ). وأيضا " وقَطَعنَا دابِر الَّذِين كَذَّبوا بِآياتِنَا وما كَانُوا مؤْمِنِين " ( سورة الأعراف، الآيـــــة ٧٢)، " ويقْطَع دابِر الْكَافِرِين " ( سورة الأنفال، الآية ٧) ( التعبير، يقطع دابر ... متداول بين العامة).
- " قُلْ هلْ يستَوِي الأعمى والْبصِـير ... " ( سـورة الأنعام، الآية ٥٠ ).وأيضا : " هلْ يستَوِي الأعمـى والْبصِير أَم هلْ تَستَوِي الظُّلُماتُ والنور " ( سـورة الرعد، الآية ١٦ ).
- " ولاَ تُسرِفُوا إِنه لاَ يحِب الْمسرِفِين " ( سورة الأنعام ، الآية ١٤١) ( المتداول ، ا يحب المسرفين).

- " ولاَ تَزِر وازِرةٌ وِزر أُخْرى ... " ( سورة الأنعام، الآية ١٦٤. سورة الإسراء، الآية ١٥ ).
- "أَتَقُولُون علَى ا ِ ما لاَ تَعلَمون " ( سورة الأعراف، الآية ٢٨).
- " ... وكُلُوا واشْـربوا ولاَ تُسـرِفُوا ... " ( سـورة الأعراف، الآية ٣١ ).
- " ... ما نَزلَ ا ُ بِها مِـن سـلْطَانٍ ... " ( سـورة يوسف، الآية ٤٠).
- " فَلاَ تُشْمِتْ بِي الأعداء ... " ( سورة الأعراف، الآية ١٥٠).
- " وأَصلِحوا ذَاتَ بينِكُم وأَطِيعوا ا َ ورسولَه إِن كُنْتُم مؤْمِنِين " ( سورة الأنفال، الآية ١).
- " فَلاَ تُولوهم الأَدبار " ( سورة الأنفال، الآية ١٥).
- " ليقْضِي ا ُ أَمرا كَان مفْعولاً " ( سورة الأنفال، الآيتان: ٤٢، ٤٤).
- " ولَكِن ا َ سلم ... " ( سورة الأنفال، الآية ٤٣).
- " ... ولاَ تَنَازعوا فَتَفْشَلُوا وتَذْهب رِيحكُم واصـبِروا إِن ا َ مع الصابِرِين " ( سورة الأنفال، الآية ٤٦)

وأيضا : " وا ُ مع الصابِرِين " ( سورة الأنفال، الآية ٦٦).

- " ... وأَن ا َ لَيس بِظَلامٍ للْعبِيدِ " ( سورة الأنفال، الآية ٥١).
- " ذَلِك بِأَن ا َ لَم يك مغَيرا نعمةً أَنْعمها علَى قَومٍ حتى يغَيروا ما بِأَنْفُسِهِم " ( سورة الأنفال، الآية ٥٣) والمتداول: " إِن ا َ لاَ يغَير ما بِقَومٍ حتى يغَيروا ما بِأَنْفُسِهِم " ( سورة الرعد ، الآية ١١).
- " وإِن جنَحوا لِلسلْمِ فَاجنَح لَها وتَوكَّلْ علَى ا ِ " ( سورة الأنفال، الآية ٦١).
- " لاَ تَحزن إِن ا َ معنَا " ( سورة التوبة، الآية ٤٠).
" قُل لن يصِيبنَا إِلا ما كَتَب ا ُ لَنَا هو مولاَنَا وعلَى ا ِ فَلْيتَوكل الْمؤْمِنُون " ( سورة التوبة: الآية ٥١).
- " ... ذَلِك بِأَن ا َ لَم يك مغَيرا نعمةً أَنْعمها علَى قَومٍ حتى يغَيروا ما بِأَنْفُسِهِم " ( سورة الأنفال، الآية ٥٣).، والمتداول : " إِن ا َ لاَ يغَير ما بِقَومٍ حتى يغَيروا ما بِأَنْفُسِهِم " ( سورة الرعد، الآية ١١).

- " وإن جنحوا للسلم فاجنح لهـا وتوكـل علـى ا ِ " ( سورة الأنفال، الآية ٦١).
- " لا تحزن إن ا َ معنا " ( سورة التوبة، الآية ٤٠).

" قل لن يصيبنا إلا ما كتب ا ُ لنا هو مولانا وعلـى ا ِ فليتوكل المؤمنون " ( سورة التوبة، الآية ٥١).

- " ليس على الضعفاء ولا على المرضـى ولا علـى الذين لا يجدون ما ينفقون حرج " ( سـورة التوبـة الآية ٩١) ( المتداول : ليس على المريض حرج).
- " الأعراب أشد كفرا ونفاقا ... " ( سورة التوبة آيـة ٩٧) معنى : العرب جرب، ويا أهل العراق يا أهـل الشقاق والنفاق).
- " وقل اعملوا فسيرى ا ُ عملكم ورسوله والمؤمنون ... " ( سورة التوبة، الآية ١٠٥).
- " أفمن يهدي إلى الحق أحق أن يتبع " ( سورة يونس الآية ٣٥).
- " وأنا بريء مما تعملون " ( سورة يونس، الآية ٤١).
- "إن وعد ا ِ حق " ( سورة يونس ، الآية ٥٥).

- " ويحق الله الحق بكلماته ولو كره المجرمون " ( سورة يونس، الآية ٨٢).
- " وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو ... " ( سورة يونس، الآية ١٠٧).
- " فمن اهتدى فإنما يهتدي لنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها " ( سورة يونس، الآية ١٠٨، وفي نفس المعنى في سورة الإسراء الآية ١٥).
- " ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا " ( سورة هود، الآية ١٨).
- "بسم الله مجراها ومرساها " ( سورة هود، الآية ٤١).
- " وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب " ( سورة هود، الآية ٨٨).
- "إن الحسنات يذهبن السيئات " ( سورة هود ، الآية ١١٤).
- " فأدلى دلوه ... " ( سورة يوسف، الآية ١٩) ( المتداول : أدلى دلوه).
- " وشهد شاهد من أهلها " ( سورة يوسف : الآية ٢٦).

- " إن كيدكن عظيم " ( سورة يوسف، الآية ٢٨) ( المتداول تعميم على كل نساء الأرض، إن كيـدهن عظيم).
- " حاشَ ِ " ( سورة يوسف: الآيتان : ٣١، ٥١).
- " أضغَاثُ أحلاَمٍ " ( سورة يوسف، الآية ٤٤) ( تعبيـر دارج وليس مثل).
- " إن النفْس لأمارةٌ بِالسوءِ " ( سورة يوسف، الآيـة ٦٨) ( متداولة بدون كلمة قضاها).
- " ادخُلُوا مِصر إن شَاء ا ُ آمِنِين " ( سورة يوسف، الآية ٩٩). وأيضا : " ادخُلُوهـا بِسـلاَمٍ آمِنِـين " ( سورة الحجر، الآية ٤٦).
- " ألاَ بِذِكْرِ ا ِ تَطْمئِن الْقُلُوب " ( سورة الرعد، الآية ٢٨).
- " إن ا َ لاَ يخْلِفُ الْمِيعاد " ( سورة الرعد، الآية ٣١).
- " لِكُل أجلٍ كِتَاب " ( سورة الرعد، الآيـة ٣٨ ) ( متداولة كما هي تماما).
- " لَئِن شَكَرتُم لأزِيدنكُم " ( سورة إبراهيم، الآية ٧).
- " فِيهِ شِفَاء لِلناسِ " ( سورة النحل، الآية ٦٩).
- " إن أحسنْتُم أحسـنْتُم لأنْفُسِـكُم وإِن أسـأْتُم فَلَهـا " ( سورة الإسراء، الآية ٧).

- " ... وما كُنا معذِبين حتى نَبعثَ رسولاً " ( سـورة الإسراء، الآية ١٥).
- " فَأُولَئِك كان سعيهم مشْكُورا " ( سورة الإسراء: الآيـة ١٩). ( والمتداول: سعيكم مشكور، وتقال في مناسـبات العزاء).
- " ولاَ تُبذر تَبذِيرا " ( سورة الإسراء، الآية ٢٦)، " إِن الْمبذرِين كَانُوا إِخْوان الشـياطِين ... " ( سـورة الإسراء، الآية ٢٧).
- " ولاَ تَجعلْ يدك مغْلُولَةً إِلَى عنُقِك ولاَ تَبسطْها كُـل الْبسطِ فَتَقْعد ملُوما محسورا " ( سورة الإسراء، الآية ٢٩).
- " إِن ربك يبسطُ الرزقَ لِمن يشَاء ويقْدِر إِنـه كَـان بِعِبادِهِ خَبِيرا بصِيرا " ( سورة الإسراء، الآية ٣٠).
- " إِن الْعهد كَان مسؤُولاً " ( سورة الإسراء، الآية ٣٤).
- " وأَضل سبِيلاً " ( سورة الإسراء، الآيـة ٧٢ ) ( متداولة كما هي وتضرب فيما هو أسوأ).
- " جاء الْحق وزهقَ الْباطِلُ إِن الْباطِلَ كَان زهوقًـا " ( سورة الإسراء، الآية ٨١).

– " قُلْ كُل يعملُ علَى شَاكِلَتِهِ ... " ( سورة الإسراء، الآية ٨٤).

تلك كانت نماذج من آيات ا المحكمات، التي اسـتقى منها الوجدان المصري أمثالاً، يضربها في مواقف مختلفـة، وتعبيرات سادت على ألسنة العامة من الناس، والخاصـ ـ ـة المتعلمة والمتدينة، وأيضا تشبيهات وكنايات، وصورا بلاغية استخدمت وكأنها عامية دارجة... بل إن البعض قد لا يدرك وهو يرددها مرجعها، أو من أين استقاها ؟!!.

وتلك مقدرة مصرية آثرت اللهجة، ومنحتها بعدا لغويـا جميلاً، إلى جانب البعد الإيماني ، والثراء اللفظي، علـ ـ ـى سبيل المثال لا الحصر – مرتبة وفقًا لورودها في المصحف، وليس وفقًا لمضاربها أو استخداماتها ؛ لأن موضوع تصنيفها وفقًا للموضوعات أمره وشرحه يطول ... أتمنى أن يتحقـق لي أو لغيري من الباحثين في كتاب آخر ... وما أردته فقط هو التأكيد على أن المصري قد تأثر كثيرا بأمثـال العـرب وأخذ منها - كما وضح في الفصل السابق – كما تأثر أكثـر بآيات القرآن وأخذ عنها بعض التعبيرات، والحكم والأمثال، وردها وأبرزها وأكد عليها لأنها اتفقت مع اقتناعه وفلسفته

الخاصة، وأكدت كغيرها من الأمثـال العربيـة الفصـحى والعامية أو الشعبية على الكثير من سماته، والمتتبع لهـا – كما وردت سلفًا – سيجدها تتناول تباعا موضوعات: إعـلاء إرادة ا وتأكيد سمة مؤمن ومتدين واتكالي، وموضـــوع إيمانه بالحرية، وبأنه " لا إكراه في الدين" ورفضـــه للمـــن والأذى، وإيمانه بأن الأمر له من قبل ومن بعد، وأن الهـدى من عنده، فهو يهدي من يشاء كما " يؤتي الحكمة من يشاء" ولا يكلف نفسا إلا وسعها، ويأمرنا بشكل مباشر بعـدم كـتم الشهادة، كما يأمر بقوامة الرجل على المرأة، وإصـلاح ذات البين في " الصلح خير " ويؤمن بالجزاء لأن " العين بـالعين والسن بالسن" و "أن ا يرزق من يشاء بغير حساب" وهـذا يتسق وإيمان المصري المطلق بأن الرزق من عنده، وأن "كل نفس ذائقة الموت" و " لكل أجل كتاب".

هذا وقد تمسك المصري بآيات تتسق وتسـامحه فـردد "عفا ا عما سلف " و " إذا جنحوا للسلم فاجنح لها"، كمـا ردد ما يتسق وإيمانه بالعدل والحق، وضرورة أن لا يخـاف في قول الحق " لومة لائم" وأن " الحق أحق أن يتبع"، وأن "وعد ا حق"، و " أن ا لا يخلف الميعاد"، وأن يقطع دابر

القوم الذين ظلموا، كما تمسك بالآيات الداعية لعدم الإسراف والتبذير، والداعية للصبر، والمطمئنـــة إلـــى "أن ا   مـــع الصابرين" و " إن ا   معنا" وردد الآيات المؤكدة على أن كل ما يصيب المرء من عند ا   وبأمره، ولذا يجب التوكل عليه، وذلك في قوله تعالى: " قل لن يصيبنا إلا ما كتب ا   لنا"، وقوله " إن يمسسك ا   بضر فلا كاشف إلا هو "، كمـــا ردد المصري وكتب وعلق لافتات في عمله أو حانوته، أو فـــوق سيارته - إذا كانت مصدرا لرزقه – مما يؤكد إيمانه بكـل ذلك، وإيمانه بالعمل، وضرورة إتقانه، وقناعته بأن ا   : "يرى عملكم ورسوله والمؤمنون" ، مع الإيمان بأنه " بسم ا مجراها ومرساها" وأنه " ما توفيقي إلا با   عليـه توكلـت وإليه أنيب" ... إلى آخر ما ورد فيما ذكرت من آيات، ومـــا حواه القرآن الكريم من حكم، تمسك بها المصري ووضـعها نصب عينيه، وصارت مثلاً على لسانه.

هذا وسيلاحظ المطالع لهذه الآيات، أن المصـــري قـــد اختار من عبارات القرآن أيضا تعبيرات سائدة في الكتابـات الصحفية، وفي الاستشهادات الشفوية، مما لا يرقى إلـى أن يكـون مـثلاً ... لكنـه تعبيـرا بليغًـا كـالقول ( أدلـى

بدلوه) أو ( أضغاث أحلام) أو ( حاشا ) أو : " شهد شاهد من أهلها" أو " ولا هم يحزنون" أو " أضل سبيلاً" أو " نظرة إلى ميسرة" أو " زهق الباطل" إلى غير ذلك كثير مما ذكرنا ومما لم نذكر ... ناهيك عما وضح من تبني المصري كمـا هي عادته – حتى في أمثاله الشعبية – لوجهتي نظر ... فكما آمن بأن الهدى من عند ا ، لم ينكر على الإنسان قدرته على الاختيار بين الصالح والطالح، ودوره فيما يمسه مـن خيـر أو شر؛ ولذلك ردد أيضا الآيات القائلة بذلك، ومنهـا نـذكر قوله تعالى : " إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم"، وإن أسأتم فلها". وقوله : " من اهتدى يهتدي لنفسه ومن ضل فإنمـا يضـل عليها".

ذلك عن الاشتقاق اللغوي من القرآن في مجال الأمثـال ... فماذا عن نحت الأمثال من الحديث النبوي الشريف ؟!

لعلنا ذكرنا في معرض تناولنا للأمثال الشعبية أنها ( عربيـة متداولة) أو ( حديث متداول)، أو ( مأثور متداول) ... قـد يكون ورد على لسان أحد الصحابة أو التـابعين ... وصـار مثلاً على ألسنة العامة ... لكنا نكثف القول هنـا علـى مـا يتداول في هذا الصدد، إما كمثل أو كدعاء نبوي صار دعاء

شائعا على ألسنة العامة، أو أمر أو إقرار بأمر، جاء على لسان الرسول (صلي ا عليه وسلم) ... وسنتبع في ذلك أيضا نفس أسلوبنا السابق، من إيراد لنماذج من هذا النمط، ثم تحليلها أو التعليق عليها؛ حتى يشاركنا القارئ ما نذهب إليه ويطلع معنا عليها، بل ويسبقنا إلى تقويمها وتحليلها، قبل أن يقرأ رأينا فيها؛ لذلك أورد فيما يلي على سبيل المثال أيضا لا الحصر نماذج من هذا النوع من الأمثال المستقاة من أحاديث الرسول ( صلي ا عليه وسلم).

- الصدقة تدفع البلاء.
- كلكم راع وكل راع مسئول عن رعيته.
- الحياء شعبة من شعب الإيمان.
- إذا لم تستح فأصنع ما شئت ( المتداول فأفعل ما شئت).
- الطهور شطر الإيمان ( مطلع حديث من الأربعين النووية).
- النظافة من الإيمان.
- و في خلقه شئون.
- العمل عبادة.

- إماطة الأذى عن الطريق صـدقة ( مـأخوذ عـن حديث نووي).
- الكلمة الطيبة صـدقة (جـزء وسـط فـي حـديث نووي)
- استفت قلبك ( جزء وسط من حديث نووي).
- من كان يؤمن با واليوم الآخـر فليقـل خيـرا أو ليصمت ( المتداول قل خيرا أو فاصمت).
- اتبع السيئة الحسنة تمحوهـا ( جـزء فـي وسـط حديث نووي).
- إن مع العسر يسرا ( جـزء مـن حـديث نـووي وآية من القرآن أيضا).
- إياكم ومحدثات الأمور، فـإن كـل محدثـة بدعـة وكل بدعة ضلالة، وكــل ضــلالة فــي النــار ( نووي).
- لا ضرر ولا ضرار ( متداول بنصه كما هو).
- البينة على المدعي واليمين على من أنكر.
- اللهم اجعل خير أيامنا خواتيمها( دعاء متداول).
- إن الحرب خدعة.

- سلام على من اتبع الهدى ( مـن رسـالة الرسـول صلى ا عليه وسلم إلى هرقل قيصر الروم).
- تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم.
- من يهد ا فلا مضل له ومن يضـلل فـلا هـادي له ( من خطبة الوداع).
- ألا هل بلغت ؟ اللهم فاشهد ( من خطبة الوداع).
- فاتقوا ا فـي النسـاء واستوصـوا بهـن خيـرا ( المتداول، استوصوا بالنساء خيرا ).
- إنما المؤمنون إخوة ( من خطبة الوداع).
- كلكم لآدم وآدم من تراب ( السائد: كلنا ولاد آدم).
- إن الذنوب تغير النعم( والسائد الذنوب تذهب النعم).
- الجنات تحت أقدام الأمهات.
- إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى.
- المال مال ا وأنا عبده ( المتداول، والمال مـال ا وكلنا عبيد ا ).
- ما اجتمع رجل وامرأة إلا وكان الشيطان ثالثهما.
- إن بعض الظن إثم.
- إن ا جميل يحب الجمال.

- اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا واعمل لآخرتك كأنك تموت غدا.
- أعط الأجير أجره قبل أن يجف عرقه.
- أول الغيث قطرة.
- من عرف لغة قوم أمن شرهم.
- النساء ناقصات عقل ودين ( متداول بفهم خاطئ).
- من يتوكل على ا فهو حسبه.
- الكمال وحده.
- لا يلسع المؤمن من جحر مرتين ( المتداول، لا يلدغ المؤمن ... ).
- أنصر أخاك ظالما أو مظلوما.
- أعقلها وتوكل.
- من تواضع رفعه.
- من رأى منكم منكرا فليغيره ... ( مـن الأحاديـث النووية).
- احفظ ا يحفظك ( من الأحاديث النووية).
- أن تعبد ا كأنك تراه ... فإن لم تكن تراه فإنه يراك ( متداول بصيغة الأمر).

- إن الحلال بين وإن الحرام بين ( جزء من حديث طويل).
- إن ا طيب لا يقبل إلا طيبا ( جزء من حديث طويل من الأربعين النووية).
- دع ما يريبك إلا ما لا يريبك ( متداول كما هو نصا).
- طلب العلم عبادة.
- من حسن إسلام المرء تركه مالا يعنيه ( هناك أمثال شعبية في هذا المعنى).
- الدين المعاملة.
- لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه ( من الأربعين النووية) ( متداول أيضا ).
- الدين النصيحة ( من الأربعين النووية).
- من يرد ا به خيرا يفقهه في الدين.
- اطلبوا العلم ولو في الصين.
- اطلبوا العلم من المهد إلى اللحد.

تلك هي الأقوال المستقاة من أحاديث الرسول ( صلى ا عليه وسلم) والتي يمكن أن نعتبرها صارت مثلاً على ألسنة العامة من المصريين. وقد ذكرنا ضعفها مما استقاه

المصريون من القرآن الكريم، ولعل ذلك يكون مصداقًا لسمة "متدين" التي اعتبرناها ثاني سمة مصرية، بعـــد ســـمة "ساخر" والتي قلنا بمقتضاها أن المصري "متدين" وهو يعبـد عدة آلهة، و"متدين" وهو أول الموحدين في عصر الفراعنة، و "متدين" وهو مسيحي – وقد أوردنا سلفًا عدة أمثال مستقاة من الإنجيل ومن أقوال بولس الرسول، وأخيرا " متدين" وهو مسلم كما أوضحت النماذج السالفة الذكر، والتي تناولت كثيرا مـــن القـــيم التـــي يـــؤمن بهـــا المصـــري ويتمســـك بها، وتعكس – فـي نفـس الوقـت – سـماته الأساسـية والفرعية، كالتعاون والتكافل الاجتماعي، الذي تحققه الصدقة والإحسان، والتي تناولتها الأحاديث النبوية الشريفة، مؤكـــدا أنها تدفع البلاء، وشارحة لكل ما يمكن اعتبـاره صـدقة ... حتى لو كان الإنسان غير ثري ولا يملك ما يتصـدق بـه – وهو حال معظم المصـريين الفقـراء – فالكلمـة الطيبـة صدقة " وإماطة الأذى عن الطريق صدقة" وشارحة لكل مـا – يعتبر إيمانًا كالنظافة والطهور والحياء وكـل مـا يمكـن اعتباره عبادة كطلب العلم وكالعمل.

هذا وقد وضعت الأحاديث الشريفة شروطًا ومواصفات للعمل الفعلي، من إتقان وحسن أداء، كما أمرت بسرعة منح الأجير أجره، كما أفاضت الأحاديث في شرح معنى الدين، بوصفه حسن معاملة الغير، والنصح لهم، والتفقه فيه، وترك ما لا يعنينا.

كما فرقت الأحاديث بين الحلال والحرام، وضـ ـرورة استفتاء النفس في ذلك وترك ما يريب إلى ما لا يريب، وعمل الطيب حتى يقبلنا ا . إلى غير ذلك ممـا أوضـحت العينة التي أوردتها من الأحاديث النبوية، والتي وضح مـن تمسك المصريين بها، وترديدهم لها، ما تعكسه من سـمتهم الأصيلة " متدين " وما تفرع عنها من سمات: متعـ ـاون – متواضع – محب للخير له وللآخرين – خجول" حلو اللسان أمين صبور، متوكل على ا راض.

ولعل هذا الفصل – على ما اعتراه من اقتضاب – قـد أوضح إلى حد ما ما قصدته منه، ولعله قد يكون فاتحة خير لغيري من الباحثين المتخصصين لتناوله كنواة لبحوث أكبـر وأعمق، وأخيرا لعله مسك الختام لفصول هذا الكتاب،

وإن اضطرت في النهاية أن أسطر خاتمة لـه لابـد منهـا لاستخلاص النتائج ورصدها باختصار.

# فصل الختام

تلـك كانـت أبـرز السـمات المصـرية السـت الأساسية: ساخر، متدين، طيب عفوي، عاشـــــــق للاستقرار، فنان وذكي فطن، إلى جانب ما تفرع عنها مـن سمات تابعة بلغ عددها ٤٣ سمة فرعية، تشعبت منها أيضـا سمات ثانوية بلغ عددها ٧٠ سمة أصيلة فيـه مـن حيـث الثبات، وأن أسميناها ثانوية من حيث هي فرع مـن فـروع السمات التابعة، وذلك ما سيوضحه الرسم المرفق، الـــذي يصور " بورتريه" للإنسان المصري الأصيل، قبل أن تلحق به الكثير من التغيرات – التي سبق وأشرت إليها – خـلال العقود الثلاثة الماضية، تلك الإشارات التي أوحـت إلـي أن أضع مؤلفًا آخر، يتناول سمات المصري المعاصر، الـذي يرى بعضنا أنه مختلف تماما عن والده أو جده، وأنه قد بـدأ ينبذ الفلسفة الشعبية لأجداده، وتراثهم القيمي، ويصيغ لنفسـه فلسفة جديدة، عبرت عنها منحوتاته اللفظية الجديدة، أو مـا نسميه: " التعبيرات الشعبية المستحدثة" التي تنسخ تماما مـا كان سائدا من معان وقيم راسخة، عبـرت عنهـا الأمثـال الشعبية القديمة، التي ما زال بعض المصريين يرددونها بما

يعكس إيمانهم بما تنادي به، وفي نفـس الوقـت يرفضـها الشباب ويقول عكسها، حتى بتنا نستشعر تناقضا بين فئـات الشعب المصري، تجعلنا نتصور أن الشخصـية المصـرية متناقضة مع نفسها، ولعل ذلك ما عبر عنه عـادل حمـودة حينما تناول مقومات الإنسان المصري العادي، وأن معرفــة طبيعته ستتيح لنا على حد قوله:

" تفسير التناقض الواضح الذي يعيش فيه طوال حياته، فهو يهاب الموت ويعشق الجنس – ويخشـى ا ولا ينـتج سوى نصف ساعة في اليوم – يصف نفسه بالفهلوة ويضـع تحويشة العمر في شركة الريان – يفخر بأن حضارته قديمة قدم التاريخ، ويقضي حاجته بجانب آثارها ... ويقـول عـن بلاده أم الدنيا ويصر على أن الـذي بناهـا فـي الأصـل حلواني" [1].

هذا إلى جانب ما ذهب إليه شيخ الاجتماعيين د. ســيد عويس في كتابه " الازدواجية فــي التــراث الــديني المصري" متحدثًا عن التناقض الملموس حاليا، في كثير من الظواهر المجتمعية في مصر، ليس في التراث الديني وحسب

---

(1) عادل حمودة ، النكتة السياسية ، ص ٨٩.

... ولكن في الواقع الثقافي الحي في المجتمع المصري المعاصر، الذي لم يتفق الآن على كثير من المفاهيم التي تبدو أحيانًا – وعلى حد قوله – " متعارضة " أو " متنافرة " فدكتور عويس يرى أن " الواقع الحي المعاصر يؤكد الاختلاف والتباين والتنافر السائد في المناخ الثقافي الاجتماعي – ذلك لأن التناقض بين ما يقال وبين ما يعمل أصبح من سمات هذا المناخ " [1].

وقد ذهب دكتور عويس إلى القول بأن " مفهوم المواطن الصالح" لم يتفق عليه حتى الآن، ولذلك نستشعر هذا التناقض بين ما يؤمن به المصري وما يمارس من سلوك، وذلك يعتبر معوقًا يقف في سبيل النهوض بالمجتمع المصري المعاصر، ولذلك نشعر أن المصري يعتنق قيما متناقضة، فيختار أعضاء المجتمع في مجالات متماثلة حول كيف يسلكون أو يمارسون السلوك المتوقع منهم، فيشعرون باغتراب أو يعيشون في ظل مواقف اجتماعية تسود فيها حالة من حالات " اللامعيارية " ... ويعلل د. عويس ذلك قائلاً:

(1) المرجع المشار إليه ، ص ٩ .

" لعل وجود هذه القيم المتناقضة يرجع إلى ظاهرة التغيير الثقافي والاجتماعي التي يواجهها المجتمع المصري في الوقت الراهن ... وربما يرجع إلى التغيرات العديدة التي واجهها المجتمع المصري في خلال عمره الطويل وأهمها التغيرات في الحكام من غير المصريين والتغيرات في اللغة فضلاً عن التغيرات في الدين [١].

ويستشهد د. عويس في هذا الصدد بعدد من الأمثال الشعبية التي تحمل معان متناقضة، وقيم متباينة ... لكني وإن اتفقت معه تماما في أن تغير الحكام واللغة والدين كانوا عوامل مهمة في الشعور بتبني هذه القيم المتناقضة ... إلا أنني أرى أن هذه الحصيلة من الأمثال التي بقيت على ألسنتنا كل هذه العقود والقرون ... لم تنشأ أو تصاغ في عصر واحد ... بل هي حصاد حقب متباينة تماما : لذا لا أتفق تماما مع من يرون في الشخصية المصرية تناقضا غير مبرر، أو غير مفهوم، فقد صاغ هذه الثروة الشعبية من الحكمة عبر عصور مختلفة، كان فيها سيد أحياناً ومسودا أحيانًا أخرى، فابتكر بحكمته لكل مجال مقال، وجعل لكل موقف مخرج ينفس به عن مكنون نفسه في المواقف المختلفة ... إلى جانب أن الأمثال تعبر عن فئات وطبقات متباينة من الشعب المصري:

---

([1]) المرجع السابق ، ص ٣٤ – ٣٥ .

المتعلم والجاهل والمثقف، والفلاح والموظف، والتـــاجر والعامل، والمالك والحاكم والمحكوم، ولكل من هؤلاء مستلزماته اللغوية في التعبير، كما أن مصر باتساعها الجغرافـي واقتسـام أرضها بين صحراء وجبال ووديان الذي انعكس علـى سـكانها بتباين شديد في العادات والقيم والطبائع بين أهـل باديـة وأهـل ريف، وأهل حضر ... ولكل هؤلاء مفرداتهم، وأسـاليبهم التـي تعبر عن خصوصيتهم، كما وأن الأمثال بالذات تتبنى – كما سبق القول – كل وجهات النظر، دون أن يمثــل ذلــك تعارضــا أو تناقضا، لأن لكل مثل موضعه في الاستشـهاد أو مضـربه فـي الحديث ... حتى وإن بدا ذلك للبعض تحبيذًا ودحضا لأمر واحد.

وحتى بالنسبة لبعض السمات التي يرى البعض فيها تناقضا كالشجن الدفين في النفس المصرية، وحب النكتة والفكاهـة أرى فيه وجهين لعملة واحدة، من حيث هو استعلاء علـى المواقـف بالتحسر والشجن غير المعلن والمصحوب بالسخرية من الموقف برمته، والتهكم عليه، ويتفق معي في ذلك د. عـــادل صـــادق إذ يقول بأن الشجن إحساس راق وسام. وهـو إحسـاس بمعنـى الحياة، التي تفضي بالضرورة إلى الموت وفراق الأحباء، والمصري بعراقته واستقراره على ضفتي الحياة، ومراقبتــــه لدورتها، ودورة الفصول، تولد لديه هذا الشجن الرقيق، أمـــا

النكات فهي قدرة لديه على رؤية الشيء على حقيقته ... فلا تناقض داخل المصري [١].

وحتى إذا ما كان هناك تناقضا فهو بين الشخصيات المنفردة والفئات المصرية المتباينة الطباع، أو الطبقات المختلفة، وأيضا – ويظهر هذا بوضوح – بين الأجيال المتعاقبة، وإن بقي للمصري المعاصر بعض من سمات أجداده الأصيلة، وكنموذج لها سمة المجون أو التحامق التي طالما أشرنا إليها في غضون هذا المبحث، فهي سمة أصيلة في الشعب المصري، ربما بقيت له من أجداده الفراعنة ... فقد كانوا يقدسون الجنس ولا يخجلون منه، وقد أشار إلى ذلك هيرودوت إذ قال إن:

" المجون والألفاظ البذيئة الفاضحة عادة في الشعب المصري منذ العصر الفرعوني حينما كانوا يحتفلون بعيد الإخصاب فتحمل النساء تماثيل لرجال عضو التذكير فيها بطول باقي الجسم ... متغنين بإله الإخصاب أوزوريس ... والرجال يتبادلون الأنخاب والنكات الجنسية [٢].

ولعل هذه السمة بالذات سمة أصيلة وما زالت مستمرة في هذا الشعب العظيم ... فهو رغم تدينه وحسن أدبه ... ساخر فكه،

---

([1]) د . عادل صادق ، حديث مذاع في برنامج " آدم وحواء " التليفزيون المصري القناة الثانية ، الجمعة ٢٦ / ٤ / ١٩٩٦ .

([2]) هيرودت يتحدث عن مصر ، ترجمة د . صقر خفاجة ... الهيئة العامة للكتاب ١٩٨٧ ، ص١٤٧ .

إلى حد المجون والتحامق، ولذلك فقد أكدت ذلك من البداية بجعل أبرز وأول سماته، " ساخرة " ثم " متدين " واستتبعتها بالضرورة باقي السمات كما سيتضح من الرسم المرفق.

ولا أجد ختاما لمؤلفي هذا خيرا من الوعد بدراسة أخـرى بدأت في تجميع مادتها بالفعل، وهي رصـد لسـمات المصـري المعاصر، وكل ما اعترى المجتمع المصري من تحولات، مستخلصا لهذه لسمات من واقع مـا يتداولـه العامـة الآن مـن تعبيرات مستحدثة.

**عزة علي عزت**

# المراجع


- د. إحسان عسكر، فنــون التبليــغ القرآنــي ونظرياته، دار النهضة العربية، ١٩٨٦.
- أحمد أمين، قاموس العــادات والتقاليــد والتعــابير المصرية ... مكتبة النهضة المصرية.
- أحمد تيمور، الأمثال العامة، مركـــز الأهـــرام للترجمة والنشر – الطبعة الرابعة ١٩٨٦.
- أحمد صادق الجمال، الأدب العامي في مصر.
- السيد ياسين، الشخصــية العربيــة بــين صــورة الذات مفهوم الآخر. – مكتبــة مــدبولي، الطبعــة الرابعة، ١٩٩١ ...
- الميداني، مجمع الأمثال، تحقيق على قاسم، منشــورات مكتبة المعارف، بيروت، ١٩٨٦.
- جون لويس بوركهارات، العادات والتقاليد المصرية في الأمثال الشعبية في عهد محمد علي ( ١٨٣٠م). تحقيق د. إبراهيم أحمد شعلان.
- رأفت عبد الحميد، ملامح الشخصية المصــرية فــي العصر المسيحي، روزاليوسف، ديسمبر ١٩٧٣.

- سليم حسن، الأدب المصري القديم أو آداب الفراعنة، كتاب اليوم ١٩٩٠/١٢/١٥، منشورات أخبار اليوم ( جزآن).
- د. سيد عويس، الازدواجيـة فـي التـراث الـديني المصري، دار الموقف العربي، ١٩٨٥.
- د. سيد عويس، قراءات في موسوعة المجتمع المصري، مطابع روزاليوسف، الطبعة الأولى، ١٩٨٨.
- د. سيد عويس، من وحي المجتمع المصري المعاصر، كتاب الهلال العدد ٤٦٣، يوليو ١٩٨٩.
- د. سيد عويس، أمثال وتعبيرات شعبية مصرية، كتــاب اليوم، مؤسسة أخبار اليوم، العدد ٣١٦، ديسمبر ١٩٩٠.
- سيد قطب، التصوير القرآني، منشورات، دار المعارف، الطبعة العاشرة.
- صقر خفاجة، هيرودوت يتحدث عن مصر، الهيئــة العامة للكتاب، ١٩٨٧.
- عادل حمودة، النكتـة السياسـية – كيـف يسـخر المصريون من حكامهم.
- د. عبد الغني بركة، أسلوب الدعوة القرآنية ، مكتبة وهبة، القاهرة.

- عبد الهادي عفيفي، البيئة ومشكلات المجتمع، الأنجلو، ١٩٧٣.
- د. عز الدين إبراهيم، متن الأربعين النووية في الأحاديث الصحيحة النبوية للإمام يحيي بن شرف الدين النووي، دار القرآن الكريم – بيروت – الطبعة الحادية عشرة، ١٩٨٣.
- د. عزة على عزت، صورة عرب دول مجلس التعاون الخليجي في الصحافة البريطانية، رسالة دكتوراه غير منشورة.
- د. فاطمة المصري، الشخصية المصرية من خلال دراسة بعض مظاهر الفلكلور المصري.
- محمد إبراهيم أبو سنة، فلسفة المثل الشعبي المكتبة الثقافية ٣٨١، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٤.
- محمد صفوت، الأمثال الشعبية، مكتبة مصر، الفجالة، القاهرة، ١٩٧٨.
- محمد عبد الحميد بسيوني، آداب السلوك عند المصريين القدماء، المكتبة الثقافية، العدد ٣٨٢، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٤.

- د. ميلاد حنا، الأعمدة السبعة للشخصية المصرية، كتاب الهلال، العدد ٤٥٧، يناير ١٩٨٩.
- د. يوسف إدريس، عن عمد اسمع وتسمع، مكتبـ ـة مصر، الفجالة ١٩٨٥.
- Moroe Berger, the Arab World Tobay a double Day, Anchor.

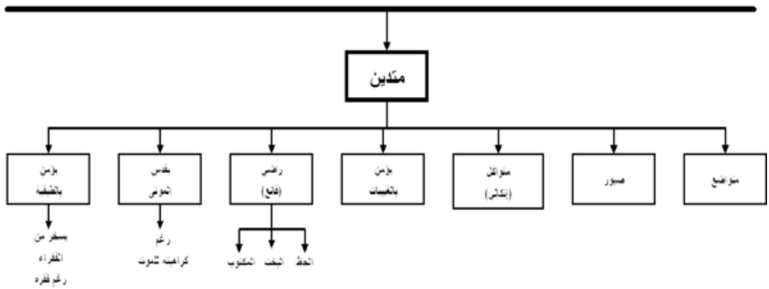
**صحف ومجلات:**

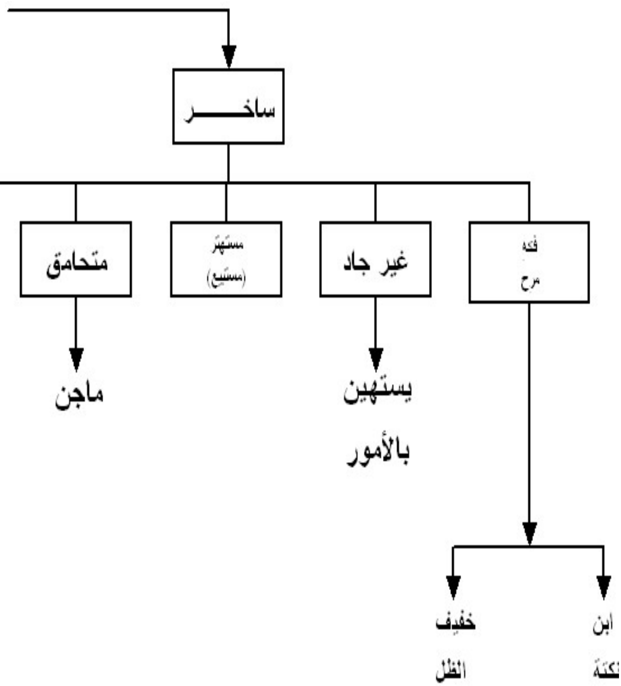
- عبلة الساعاتي، الأهرام – ملحق الجمعة ١٩٩٦/٦/٧، ص ٦، موضوع بعنوان " التماحيك والتلاكيك ... سلوك اجتماعي جديد".
- عدد من الباحثين، مجلة الفكر المعاصر، عدد ممتاز بعنوان الشخصية المصرية، ١٩٦٩، القاهرة.

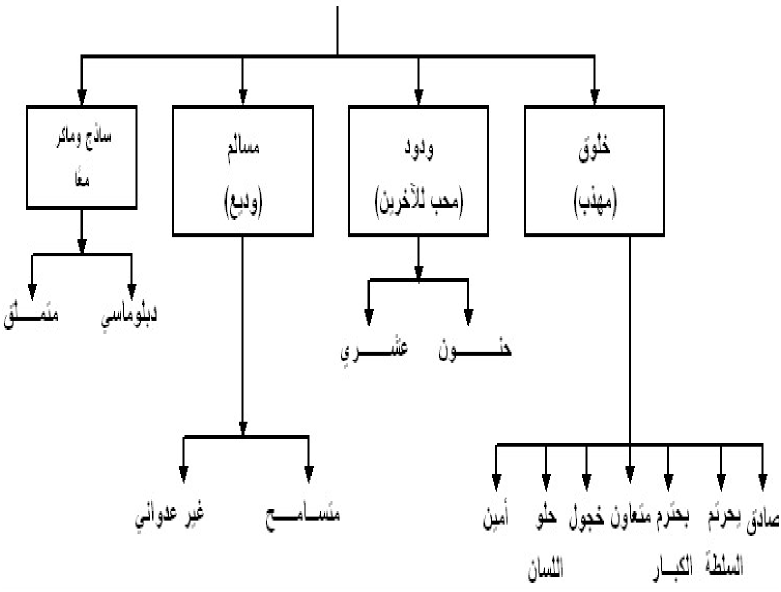
**أحاديث إذاعية وتليفزيونية :**

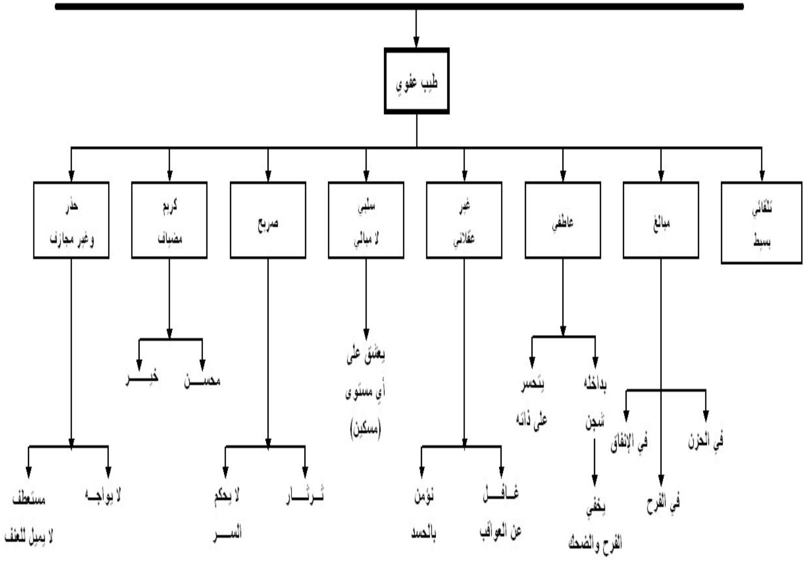
- أحمد قدري، برنامج شاهد على العصر، المـ ـ ـذاع بتاريخ ١٩٩١/١٠/٩، البرنامج العام، إذاعة القاهرة.
- برنامج المنتدى الثقافي، المـــذاع يـــوم الأربعـــاء ١٩٩٥/٩/٢٧، القناة السابعة.
- برنامج حديث المدينة، المذاع يوم الثلاثاء ١٠/١٠/ ١٩٩٥، القناة الأولى.

- د. عادل صادق، حديث تليفزيوني، برنـــامج آدم وحواء، مذاع يوم الجمعة ١٩٩٦/٤/٢٦.
- د. يوسف إدريس، حديث تليفزيوني القناة الثانية.

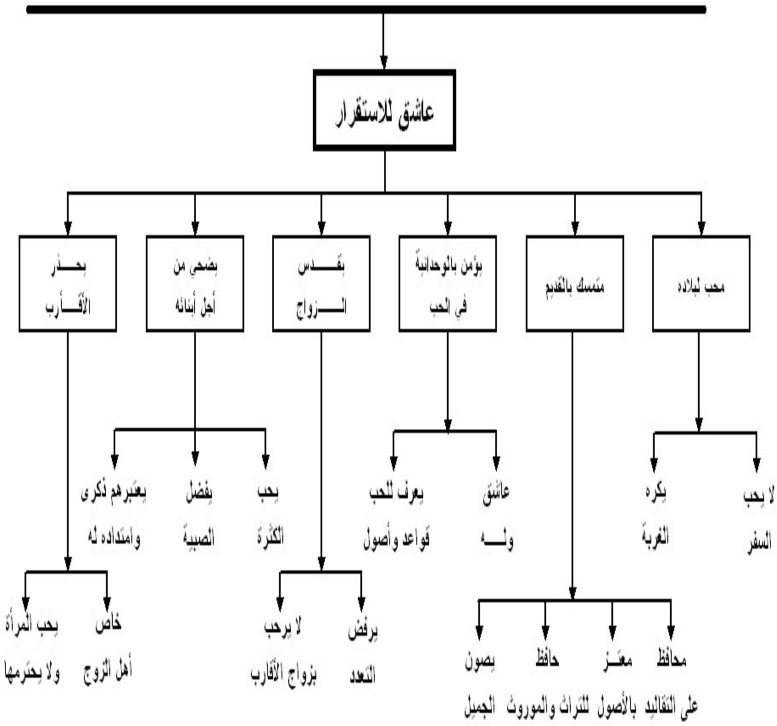

متدين
متواضع
صبور
متواكل
(إتكالي)
يؤمن
بالغيبيات
راضي
(قانع)
الحظ
البخت
المكتوب
يقدس
الموتى
رغم
كراهيته للموت
يؤمن
بالطبقية
يسخر من
الفقراء
رغم فقره


ساخـــــــر
فكه
مرح
غير جاد
مستهتر
(مستيع)
متحامق
شامت
يستهين
بالأمور
ماجن
ابن
كتة
خفيف
الظل

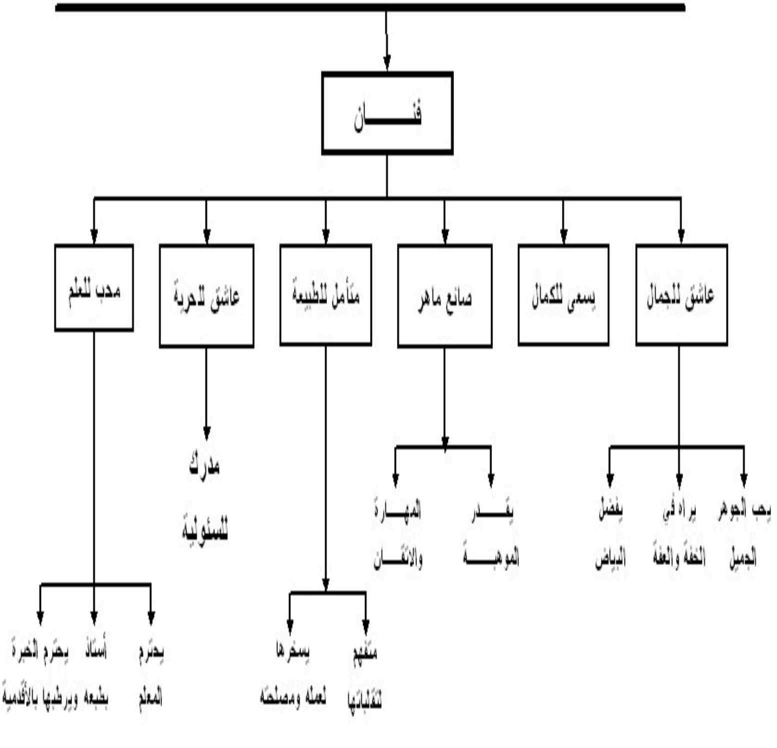

خلوق
(مهذب)
ودود
(محب للآخرين)
مسالم
(وديع)
ساذج وماكر معًا
صادق
يحترم السلطة
يحترم الكبار
متعاون
خجول
حلو اللسان
أمين
حنون
عشري
متسامح
غير عدواني
دبلوماسي
متملق

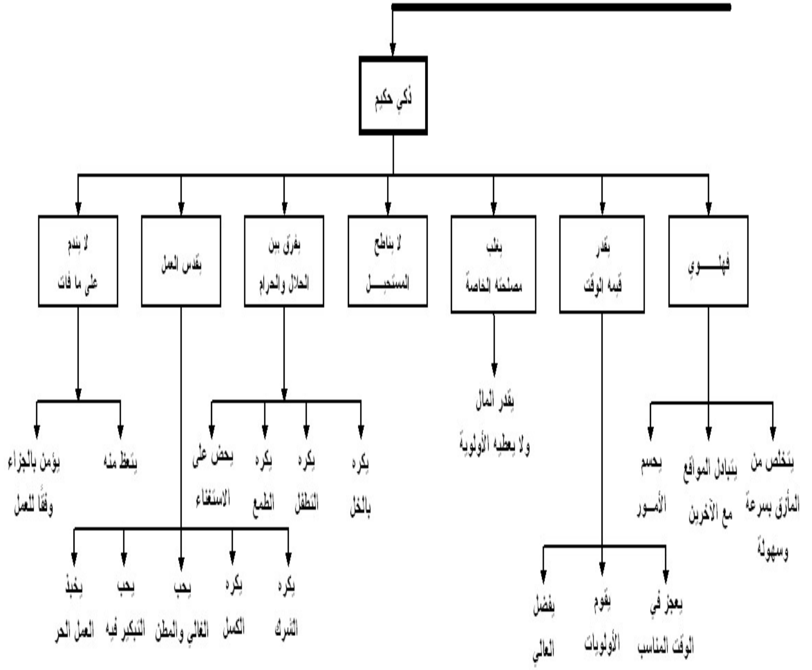


طيب عفوي
تلقائي بسيط
مبالغ
عاطفي
غير عقلاني
سلبي لا مبالي
صريح
كريم مضياف
حذر وغير مجازف
في الحزن
في الإنفاق
في الفرح
بداخله شجن
يخفي الفرح والضحك
يتحسر على ذاته
غافل عن العواقب
نؤمن بالحسد
يشفق على أي مستوى (مسكين)
ثرثار
لا يحكم السر
محسن
خير
لا يواجه
مستعطف لا يميل للعنف



عاشق للاستقرار
محب لبلاده
متمسك بالقديم
يؤمن بالوحدانية في الحب
يقدس الزواج
يضحي من أجل أبنائه
يحذر الأقارب
لا يحب السفر
يكره الغربة
عاشق وله
يعرف للحب قواعد وأصول
يحب الكثرة
يفضل الصبية
يعتبرهم ذكرى وامتداده له
محافظ على التقاليد
معتز بالأصول
حافظ للتراث والموروث
يصون الجميل
يرفض التعدد
لا يرحب بزواج الأقارب
خاص أهل الزوج
يحب المرأة ولا يحترمها


فنان
عاشق للجمال
يسعى للكمال
صانع ماهر
متأمل للطبيعة
عاشق للحرية
محب للعلم
يحب الجوهر الجميل
يراه في الخفة والعفة
يفضل البياض
يقدر الموهبة
المهارة والاتقان
متفهم لتقلباتها
يسخرها لعمله ومصلحته
مدرك للمسئولية
يحترم المعلم
أستاذ بطبعه
يحترم الخبرة ويربطها بالأقدمية



ذكي حكيم
فهلــــوي
يقدر قيمه الوقت
يغلب مصلحته الخاصة
لا يناطح المستحيـــل
يفرق بين الحلال والحرام
يقدس العمل
لا يندم على ما فات
يتخلص من المأزق بسرعة وسهولة
يتبادل المواقع مع الآخرين
يحسم الأمـــور
يعجز في الوقت المناسب
يقوم الأولويات
يفضل العالي
يقدر المال ولا يعطيه الأولوية
يكره بالخل
يكره التطفل
يكره الطمع
يحض على الاستغناء
يكره الشرك
يكره الكسل
يحب الغالي والمطن
يحب التبكير فيه
يحبذ العمل الحر
يتعظ منه
يؤمن بالجزاء وفقًا للعمل